

عَقِيدَةُ النَّصَرَةِ فِي مِيزَانِ الْإِسْلَامِ

مِنْ كَلَامِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ

مؤلف: بنصره من الكتاب المقدس

حقيقة الخطيئة والصلاب والفداء
حقيقة التثليث واللاهوت المسيح
هل النصارى مؤمنون أم كفار

ما حكم الأثر على عقيدة النصارى؟
تحريف الكتاب المقدس حقيقة أم خيال؟
ما حقيقة بولس، وما أثره في دين المسيح؟

وقية الرد على مستحلي الالمام بالعصومة



محمد بن يحيى بن يوسف

تأليف

عمر بن أحمد بن سنان

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ [آل عمران: ٦٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد؛ الوتر الصمد؛ الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؛ -سُبْحَانَهُ، وتعالى- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ؛ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا؛ -عَزَّ وَتَقَدَّسَ مِنْ مَلِكٍ قَدِير-؛ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ!

ثُمَّ الصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ، وَآلِ كُلِّ أَجْمَعِينَ؛ أَمَّا بَعْدُ :

فإنَّ موضوعَ «عقيدة النصارى» من الأهمية بمكان؛ ليس بذاته؛ وفقط؛ ولكن أيضاً- لأنه حديث الساعة، وكم كثر فيه اللُّغَطُ؛ واستبدَّ عليه الغلط، واستحكم منه الشُّطَطُ!!.

فمن قوم استباحوا دماءهم، وأعرضهم بغير وجه حقٍّ، وخالفوا عهدَ الله، وعهدَ رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكانوا عاراً على الأمة؛ وسبباً لكلِّ مُلَمَّةٍ مُدْهِمَةٍ!، وإنا لنحمدُ الله -جل وعلا- أن طَهَّرَ قلوبنا؛ قبلَ أيدينا من الدماءِ المعصومة؛ نعم؛ قلوبنا قبلَ أيدينا؛ فكم من يدٍ نظيفةٍ ظاهراً من الدماءِ، ومن ورائها قلوبٌ مُترعةٌ بالجثثِ، والأشلاء!!^(١).

ومن قومٍ حكموا بإيمانهم -أي؛ والله بإيمانهم-؛ فناقضوا دينَ الله -جلَّ وعزَّ-، ودينَ رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ وكانوا وبالاً على المسلمين، وحرَباً على هذا الدين؛ فوجبَ البيانُ ردًّا لكيدِ الكائدين من التكفيرين الغلاة المُفْرِطينَ، وصدًا لمكرِ المُتَهَوِّكين من العلمانيين الجُفَاة المُفْرِطينَ!، والحقُّ فضيلةٌ بين رذيلتين؛ ليس جفاءً، ولا شططاً؛ قال -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

^١ انظر كتاب «حقيقة تنظيم الدولة .. داعش»، للمؤلفين، وقد بينا فيه حقيقة هذا التنظيم الدموي وبراءة الإسلام منهم وبراءتهم منه، وقد طبع بفضل الله الطبعة الأولى بدار المنهاج مصر، والطبعة الثانية -وبها زيادات مهمة- بدار المنهج الجزائر.

فإن الكتاب الذي حكم بكفرهم، هو نفسه الذي أمر بحسن معاملتهم وبرهم فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، فلا ينبغي للمرء أن يخلط بين العقيدة فيهم والمعاملة لهم، فقوم فرطوا في العقيدة فيهم فحكموا بإيمانهم وقوم أفرطوا في المعاملة لهم فاستباحوا دماءهم، والحق لا إلى أولئك ولا إلى هؤلاء، وهذا ما نريد بيانه في هذا البحث -إن شاء الله-.

وإننا لنقدم هذا الموضوع الشائق، ونقدم على هذا الأمر الجليل الشائك؛ ونحن نحاول جاهدين أن ننأى بأنفسنا بأنفسنا عن كل خطأ، وخطئ، وخطئ، وخطئ؛ وإننا لتتوخي إصابة الحق بالحق؛ فيما قد سطرناه جل ما جل منه، أو دق!، ولسنا -ولله الحمد- نبتغي من وراء ذلك تجديفاً، أو تجريئاً، وإننا مرادنا أن يكون الأمر جلياً دعوةً، وتوضيحاً = نقلاً صحيحاً، وعقلاً صريحاً!.

نعم؛ نعلم أنه موضوع شائق!، ونعي أنه -أيضاً- شائك!؛ ولكننا ننعي -أيضاً- بأفئدة تنفطر حالنا، وما تردت إليه أمتنا من تخلٍ عن ثوابتها!؛ بل إننا ننعي أنفسنا -وما نبرؤها-؛ إذ لسان حالنا قبل مقالنا = وما حيلة المضطر إلا ركوبها!!؛ فلو لا الاضطرار؛ ما كان من شيء مع الاختيار؛ فأى عار، وأي سنار!!.

فنقول: حينما صار الأمر ذائعاً شائعاً -لا في الأروقة الخاصة؛ بل في كل نادٍ، ووادٍ- أن حكم الإسلام في النصارى أنهم مؤمنون!!، ويوشك أن يقول القائل: ((مُسلمون!!))؛ هنا لابد من وقفة، وبيان!، ولما كان الأمر في هذه البلاد -حرسها رب العباد- موكولاً إلى مؤسسته الدينية = الأزهر؛ كان إسناد الأمر إليه من خلال نصوص علمائه؛ أولى، وأحرى!.

نقولُ هذا؛ ونحنُ على يقينٍ لا يتزعزعُ؛ أنَّه لا كهنوتَ في ديننا؛ فالإسلامُ لا يمثله إلا كتابُ اللهِ وسنةُ نبيه؛ ولكنَّ على درجاتِ التَّنَزُّلِ، لا دركاتِ التَّنَازُلِ، وبغيةِ الوصولِ إلى الحقِّ سلكنَا هذا السَّبِيلَ! (٣).

وإنَّا لنمُدُّ أيدينا صادقينَ إلى كلِّ مُتَجَرِّدٍ للحقِّ أمينٍ؛ من الطرفينِ كليهما أجمعينَ؛ ونقولُها صراحةً : فليأتوا بدليلٍ من كتابهم بعهديه، أو كتابنا على ما زعموه : ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

نناشدُهم أن ينظروا نظرةَ الباغي للحقِّ، لا الباغي عليه؛ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ إنَّ ما جاء به مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلَّم- هو هو ما جاء به عيسى -صلى الله عليه وسلَّم- والنبيونَ من قبلهم -صلى الله عليهم وسلَّم-؛ قالَ اللهُ -جلَّ، وعزَّ- : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ بل إنَّ ما تقولونه في محمد نبيِّ الله -صلى الله عليه وسلَّم- هو هو ما كان أعداءُ المسيح يقولونه له، وفيه؛ وكذلك كلُّ أعداءِ رسولٍ، ونبيٍّ؛ قالَ اللهُ -سبحانه- : ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، وقال -تقدستُ أسماؤه- : ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]؛ ومع ذلك فإنَّنا لا نقنطُ، بل ندعو بالهداية، ونقنطُ، ونستبشرُ؛ بل ونُبشِّرُ كلَّ مَنْ جاهدَ نفسه بصدقٍ؛ رجاءَ إدراكِ الحقِّ أنَّ الوصولَ وشيكٌ؛ قالَ -تعالى- : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٢ تنبيهٌ لأولي الألباب: يجدر بنا تنبيه إخواننا من أهل السنة الخُلص! أن هذا الكتاب يخرج مخاطبا فئة من الناس خفيت عليهم حقيقةٌ قد دونت فيه، مستشهدا بكلام من يثقون به من علماء الأزهر، ولذلك تجده مدونا بلسانهم، وهذه إشارة لأولي الألباب، والله المستعان.

وإننا -في الوقت نفسه- لنربأ برجالات الأزهر، وغيرهم ممن يمتون إلى العلم بصلية؛ نربأ بهم عن مثل هذا الموقف، وما كان ينبغي لمثلهم مثل هذا الموقف في مثل هذه القضية؛ ونذكرهم بأنه كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق؛ فإن الساکت عن الحق شيطان أخرس!.

وما كان أحوجكم، وأحوجنا إلى مثل موقف الثلة المؤمنة بأرض الحبشة؛ إذ لا ظهير لهم، ولا معين؛ ومع ذلك جهروا بها، وصدعوا، وعصموا دينهم؛ فعصموا!!؛ بل كانوا سبباً في إسلام ملك الحبشة؛ وكان ذلك سبباً في حفظ ملكه؛ ولعله من الجدير بنا هاهنا ذكر هذه القصة -على طولها لعظيم فائدتها، وجليل أثرها- فنقول أخرج الإمام أحمد في مسنده، وغيره في غيره عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً اتتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم وقالوا لهما اذعنا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم . قالت فخرجنا فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعنا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ثم قالاً لكل بطريق منهم إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشraf قومهم لنردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فثيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لهما نعم.

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد



بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ . قَالَتْ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ صَدُقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا فَلِيَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ .

قَالَ فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ لَا هَا اللَّهُ أَيُّمَ اللَّهُ إِذَا لَا أَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي قَالَتْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيَّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَائِنْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمُحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جَوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَتْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ

مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ فَأَقْرَأْهُ عَلَى . فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)
قَالَتْ فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لَحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا
مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلَقًا
فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَاللَّهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ غَدَاةٍ عِيَهُمْ عِنْدَهُ ثُمَّ اسْتَأْصَلَ
بِهِ خَضِرَاءَهُمْ . قَالَتْ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ - وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا - لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ
أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا . قَالَ وَاللَّهِ لَا خَيْرَ لَنَا مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ . قَالَتْ ثُمَّ غَدَا
عَلَيْهِ الْعَدَدُ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلَهُمْ عَمَّا
يَقُولُونَ فِيهِ قَالَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ - قَالَتْ وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ - فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي
ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ . قَالَتْ
فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ .

فَتَنَاخَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَاتَّعْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -
وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِّمْ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِّمْ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِّمْ فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنْتِي
أَذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ - رَدُّوا عَلَيْهَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ
اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَى مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسُ فِي فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ . قَالَتْ فَخَرَجَا
مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرٍ دَارٍ مَعَ خَيْرٍ جَارٍ... الحديث .

وَإِذْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الرِّجَاءَ لَا يَنْقُطُ فِي قِيَامِ رَجَالَاتِ الْأَزْهَرِ بِرَبِطِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لَا بِمَذْهَبٍ عَقْدِيٍّ ؛ أَيَّا مَا كَانَ ! ، وَلَا فَهْيٍّ ؛
أَيَّا مَا يَكُونُ ! ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الْفُرْقَةِ ، وَالتَّشْرِذِ ؛ فَضَلًّا عَنِ الْمُخَالَفَةِ الصَّرِيحَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - ،

وأمرِ رسولِهِ -صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- بالاعتصامِ بحبلِ اللهِ = بوحِيهِ -جَلَّ وعَزَّ- ؛ وإنْ لم يكنْ إلا مخالفةُ إجماعِ القُرُونِ المُفضلةِ الأولى قبلَ إحداثِ الفرقِ لكفى؛ فليتدبرْ كُلُّ مُتدبرٍ، واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ!.

وصلى اللهُ وسلَّمَ على عَبْدِهِ، ورسولِهِ مُحَمَّدٍ

وعلى آلِهِ، وصَحْبِهِ، وسلَّمَ

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

المؤلفان

٢٢ من محرم ١٤٣٩ هـ

الموافق ١٢ / ١٠ / ٢٠١٧

تمهيد

بعد أن بينا لك -عزیزنا القارئ- في المقدمة الموضوعَ المبحوث، وعرفناك به، وأشرنا إليك إشاراتٍ توجزُ لك ما أردناه؛ فإليك في هذا التمهيد؛ الخريطة الكلية للبحث من خلال هذه النقاط :

أهمية الموضوع، وأسبابه، ومنهج البحث، وخطته الإجمالية، ليكون ذلك عوناً في تصور المراد، والإحاطة به!.

أهمية الموضوع:

تکمن أهمية الموضوع في :

أ_ تعلقه بأصل الدين؛ وهو الإيمان بالله -تعالى-، وتوحيده؛ إذ تصحيح اعتقاد التثليث؛ نقض للتوحيد!.

ب_ تعلقه بالنصوص القرآنية، والنبوية إخباراً، وحكماً؛ فإما أنها هي الصادقة، أو من قال بخلاف ذلك؟!.

ج_ تعلقه بإجماع الأمة؛ مُدْ كانت، والأمة لا تجتمع على ضلالة!.

د_ وغير ذلك مما يأتي في طيات البحث.

أسباب الموضوع:

وترجع أسباب البحث إلى نقاط منها :

أ_ أهمية الموضوع -كما مر معنا-؛ فأهميته من أسباب بحثه.

ب_ كثرة اللغط حوله في هذه الآونة الأخيرة.

ج_ إرشاد من ضلَّ من المسلمين عن الصراط المستقيم.

د_ دعوة غير المسلمين إلى دين الإسلام العظيم.

منهج البحث:

أولاً: لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على كتاب التفسير الذي أخرجه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المسمى (التفسير الوسيط)^(٣) وجعلناه كالمترجم لبحثنا، ثم عضدنا ما نقلناه منه بالنقل عن الكتب الأخرى لدى علماء الأزهر، والسبب في اعتماد هذا الكتاب خاصة -أو بمعنى آخر- جعله أصل البحث؛ هو الآتي:

أ- أن هذا الكتاب موضوع لتفسير أقدس النصوص عند المسلمين؛ ألا وهو كتاب رب العالمين، فواضعوه يقولون للقراء: إليكم المعنى الصحيح لكتاب الله -عز وجل-، فليست جملة وتراكيبه مجرد آراء شخصية، أو أفكار عقلية، وإنما هو بيان، وتفسير لكتاب الله رب العالمين.

ب- أن واضع هذا الكتاب ليس عالماً واحداً، أو عالماً اثنين؛ بل هم طائفة من كبار علماء الأزهر في هذا الزمان؛ تجاوز عددهم العشرة؛ ولهم ثقلهم العلمي.

ج- أن الكتاب لم يخرج مُعبّراً عن رأي شخصي لعالم -وإن كان أزهرياً- وإنما خرج يمثل الأزهر كله؛ فقد أخرجه مؤسسة دينية متمثلة في الهيئة العليا للبحوث الإسلامية؛ ألا وهي ((مجمع البحوث الإسلامية))؛ فهو مُعبّر -ولا شك- عن المذهب الحقيقي، أو الرسمي للأزهر!

ثانياً: ارتأينا أن يكون ترتيب الكتابة في البحث ترتيباً موضوعياً، بحيث لم نراع ترتيب المصحف الشريف، أو التفسير، وإنما نورد كلام علماء مجمع البحوث في الموضوع الواحد؛ سواء كان تحت آية واحدة، أو أكثر، في سورة واحدة، أو أكثر؛ فإن ذلك في نظرنا، وإن كان أكثر مشقة من مجرد السرد؛ إلا أنه أنفع للقارئ، والباحث؛ بإذن الله رب العالمين.

ثالثاً: رأينا أنه لا بد أن نورد للقارئ المتجرد، والباحث المدقق؛ توثيقاً لما يُذكر بنصوص من الكتاب المقدس -عند النصارى- مع بيان اسم السِّفر، ورقم الإصحاح، ورقم الفقرة، وذلك ليسهل عليه أن

^٣ وهناك كتابان بهذا الاسم؛ الأول: ما أخرجه مجمع البحوث، والثاني الذي كتبه شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي، وقد نقلنا عنها في هذه الرسالة مع التفريق بينهما، والله الموفق.

يرجع، ويستوثق بنفسه -إن شاء!-، مع التنبيه على أن استشهادنا ببعض النصوص من الكتاب المقدس -عندهم- لا يعني اعتقادنا بصحتها جملةً، وتفصيلاً!!، بل هو من قبيل قوله -تعالى- : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٣) ﴿[آل عمران: ٩٣، ٩٤]، وعملاً بالمبدأ الذي يؤمنون هم به، وهو ما ورد في إنجيل لوقا (١٩ / ٢٢) «مَنْ فَمِكَ أَدِينَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ».

وقد جعلنا الأصل في النقل ما هو مشهورٌ بينهم من التراجم؛ ألا وهي: ترجمة «فان دايك»، وإذا نقلنا عن غيرها -من التراجم المعتمدة عندهم!- بيننا ذلك.

الخطّة الإجمالية:

وهذا البحث -بفضل الله- يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول؛ وخاتمة، وفي كل فصلٍ مباحثه:

١_ مقدمة:

وفيهما التعريف بالبحث.

٢_ التمهيد:

وفيه : أهمية الموضوع، وأسبابه، ومنهج البحث، وخطته الإجمالية.

٣_ الفصل الأول:

وفيه : قضية تحريف الكتاب المقدس -عندهم- من خلال كلام علماء الأزهر، وعلماء النصارى أنفسهم؛ مع ذكر بعض الشواهد من الكتاب المقدس بعهديه!.

٤_ الفصل الثاني:

وفيه : قضية الصلب، والفداء من كلام علماء الأزهر؛ مع مناقشتها من خلال نصوص الأناجيل الأربعة!.



٥_ الفصلُ الثالثُ:

وفيه: قضيةُ التثليث، وإلهية المسيح -صلى الله عليه وسلّم- ؛ عرضناها كما ناقشها علماء الأزهر، وكما ناقشها علماء الكنيسة؛ مع ذكرِ نصوصِ التوحيدِ من الكتابِ المقدسِ!!.

٦_ الفصلُ الرابعُ:

وفيه: حقيقة بولس، وأثره على النصرانية، وشهادته على نفسه، وحكم المُنصفين عليه!.

٧_ الفصلُ الخامسُ:

وفيه: حكمُ النصارى بعضهم على بعضٍ!؛ وحكمُ علماء الأزهر عليهم!، مع بيان الفارق بين التكفير، واستباحة الدماء المعصومة والبر وحسن المعاملة!.

٨_ الخاتمةُ:

وفيهما: نتائج البحث، وتوصيات عامة.

والله الموفق!

وإلى الفصل الأول.

الفصل الأول: تحريف الكتاب

إِنَّ الْحُكْمَ عَلَى مِلَّةٍ، أَوْ طَائِفَةٍ، أَوْ فِرْقَةٍ؛ إِنَّمَا يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ النَّظَرِ فِي مُعْتَقِدِهَا؛ فَاِلْمُعْتَقَدُ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْحُكْمِ عَلَى طَائِفَةٍ مَّا؛ إِيْمَانًا وَكُفْرًا، وَلَمَّا كَانَتِ الْمُعْتَقَدَاتُ إِنَّمَا تُبْنَى عَلَى أَسَاسِ النُّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَ كُلِّ طَائِفَةٍ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِلْقَاءِ الضَّوِّءِ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي يَسْتَقِي مِنْهُ النَّصَارَى عَقِيدَتَهُمْ؛ وَكَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِمُ الْمُقَدَّسُ: «إِلْيَافَانُ بِالْخَيْرِ، وَالْخَيْرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ»^(١)، فَمَا هُوَ حُكْمُ الْإِسْلَامِ عَلَى «كِتَابِ النَّصَارَى الْمُقَدَّسِ»^(٢)؛ كَمَا بَيَّنَّهُ عُلَمَاءُ الْأَزْهَرِ؟!

أولاً: بعض نصوص القرآن^(٣) الدالّة على تحريف أهل الكتاب = ((اليهود، والنصارى)) كتابهم!، وتفسير علماء الأزهر له:

١_ قَالَ اللَّهُ -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

جاء في التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية (١/ ٦٠٣) في تفسير هذه الآية:

«رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى جَمِيعًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَفُوا التَّوْرَةَ، وَالْإِنْجِيلَ، وَأَلْحَقُوا بِكِتَابِ اللَّهِ -تعالى- مَا لَيْسَ مِنْهُ!».

وَالْمَعْنَى: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْخَائِنِينَ جَمَاعَةً مِنْ عُلَمَائِهِمْ: يُحَرِّفُونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَمِيلُونَ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ، لِتَظُنُّوا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- حِينَمَا تَسْمَعُونَهُمْ: أَنَّ مَا حَرَفُوهُ هُوَ مِنْ صَمِيمِ كِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ

^(١) (رومية ١٠/ ١٧).

^(٢) المقصود بالكتاب المقدس؛ أي: ما يؤمن به النصارى ممّا يُطلقون عليه «العهد القديم، والعهد الجديد».

والمقصود بالعهد القديم: التَّوْرَةُ أي: أسفارُ نبيِّ الله موسى -صلى الله عليه وسلم- الخمسة، وما لحقها من أسفارِ الأنبياء، والمزامير، وغيرها.

والمقصود بالعهد الجديد: الأناجيل الأربعة، وسفرُ أعمالِ الرُّسل، ورسائلُ بولس، ورسائلُ التلاميذ، وسفرُ الرؤيا، ومجموع ذلك كلّهُ يُسمّى عندهم «الكتاب المقدس»!، على خلافٍ بينهم في عددِ أسفاره؛ فَمَثَلَةُ أسفارُ ترفضها طوائفٌ منهم!!.

^(٣) والآيات الدالّة على تحريف أهل الكتاب للكتاب كثيرة، وتعليقُ أهل العلم عليها تفسيرًا، وبيانًا لحقيقة التحريف، وصوره كثيرٌ، ولم نرد الإطالة تخفيفًا على القارئ؛ وما قلَّ وكفى؛ خيرٌ ممّا كثر، وألهى؛ والله الموفق.

على رسولهم؛ وما هو - في الحقيقة - من الكتاب، بل من كلامهم؛ ويؤكدون نسبته إلى الكتاب بقولهم: هو من عند الله، وما هو من عند الله؛ بل من عند أنفسهم، ويقولون على الله الكذب بنسبته إليه، وهم يعلمون أنهم عليه - سبحانه - يكذبون!!.

وكما وقع التحريف في القراءة، وقع في تأويل النصوص في الكتابة!.

ولهذا ترى التناقض، والتكاذب، والتهاوت بين نسخها، فمن يقرأ الأناجيل الأربعة، يجد الاختلاف بينها واسع النطاق!؛ وبخاصة: فيما تورده عن صلب المسيح - عليه السلام^(٧)، وكذلك التوراة!!.

وأما احتجاج الرسول بقوله: ﴿فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ فيحمل على أن الرسول كان يعلم بقاء بعض ما يفي بالغرض سألماً عن التغيير؛ فإنهم لم يغيروا جميع ما في التوراة؛ إنما لجهلهم بدلالة ما بقي على المقصود، أو لصرف الله إياهم عن تغييره^(٨) انتهى.

وقال شيخ الأزهر - السابق - محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط له (٢/ ١٥٧):

«أي: إن من هؤلاء اليهود فريقاً يلوون ألسنتهم في نطقهم بالكتاب، ويحرفونه عن وجهه الصحيح، لتظنوا أيها المسلمون أن هذا المحرف الذي لووا به ألسنتهم من كتاب الله الذي أنزله على

^٧ وسيأتي الكلام عن الصلب، وبيان تناقضهم فيه في فصل مستقل إن شاء الله.

^٨ قال أحمد بن عبد الحليم الحارثي - رحمه الله - في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٤٧):

«وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَدَّعُونَ أَنَّ كُلَّ نُسخَةٍ فِي الْعَالَمِ مِنْ زَمَنِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِكُلِّ لِسَانٍ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ بِذَلِكَ أَلْفَاظُهَا، فَإِنَّ هَذَا لَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ قَدْ يَقُولُ ذَلِكَ، كَمَا فِي بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ يُجَوِّزُ الْإِسْتِنْبَاءَ بِكُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ نُسخِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَقْوَالُ وَنَحْوُهَا مِنْ أَقْوَالِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا ... وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ يَدَّلَانِ عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ الْمَوْجُودَيْنِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِمَا مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْجُزْمُ بِتَبْدِيلِ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ الَّتِي فِي الْعَالَمِ مُتَعَدِّدٌ وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهِ وَلَا عِلْمَ لَنَا بِذَلِكَ وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ كُلَّ نُسخَةٍ فِي الْعَالَمِ بِجَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ مِنَ الْكُتُبِ مُتَّفِقَةٌ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ هَذَا يَمَّا لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِاخْتِبَارِهِ وَامْتِحَانِهِ وَإِنَّمَا يُعْلَمُ مِثْلُ هَذَا بِالْوَحْيِ وَلَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُقَابِلَ كُلَّ نُسخَةٍ مَوْجُودَةٍ فِي الْعَالَمِ بِكُلِّ نُسخَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ بِالْكِتَابِ الْأَرْبَعَةِ وَالْعَشْرِينَ وَقَدْ رَأَيْنَاهَا مُخْتَلِفَةً فِي الْأَلْفَاظِ اخْتِلَافًا بَيِّنًا، وَالتَّوْرَةُ هِيَ أَصْحَحُ الْكُتُبِ وَأَشْهَرُهَا عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَعَ هَذَا فَنُسخَةُ السَّامِرَةِ مُخَالِفَةٌ لِنُسخَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَتَّى فِي نَفْسِ الْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ ذَكَرَ فِي نُسخَةِ السَّامِرَةِ مِنْهَا مِنْ أَمْرِ اسْتِقْبَالِ الطُّورِ مَا لَيْسَ فِي نُسخَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهَذَا يَمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ التَّبْدِيلَ وَقَعَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُسخِ هَذِهِ الْكُتُبِ، فَإِنَّ عِنْدَ السَّامِرَةِ نُسخًا مُتَعَدِّدَةً.

أنبيائه، والحق بأن هذا المحرف ليس من كتاب الله في شيء، وإنما هو من عند أنفسهم نطقوا به زوراً، وهتافاً إرضاءً لأهوائهم. وقوله: **مِنَ الْكِتَابِ** هو المفعول الثاني لقوله **لِتَحْسَبُوهُ**. والمخاطب بقوله: **﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾** هم المسلمون، وقال: **﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾** بتكرار لفظ الكتاب، ولم يقل وما هو منه، للتنبيه على أن كتاب الله المنزل على موسى، وعيسى - عليهما السلام - بريء كل البراءة من تحريفهم وتبديلهم، ومما يزعمونه ويفترونه عليه؛ ثم بين - سبحانه - أنهم قد بلغت بهم الجرأة في الكذب، والافتراء أنهم نسبوا هذا الذي حرفوه، وغيروه من كتبهم إلى الله - تعالى - فقال: **﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**. أي: أن هؤلاء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ ليوهموا غيرهم بأن هذا المحرف من الكتاب، لا يكتفون بهذا التحريف، بل يقولون: **﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**؛ أي: هذا المحرف هو نزل من عند الله هكذا، لم نقص منه حرفاً ولم نزد عليه حرفاً، والحق أن هذا المحرف ليس من عند الله ولكنهم قوم ضالون؛ يقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون» انتهى.

قال علامة الأزهر الشيخ محمد رشيد رضا^(١) في تفسير المنار (٣ / ٢٨٤):

«قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: هَذَا اللَّيُّ هُوَ أَنْ يُعْطِيَ النَّاطِقُ لِلْفَظِّ مَعْنَى آخَرَ غَيْرَ الْمَعْنَى الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهُ. مِثَالُ ذَلِكَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَكَلِمَةِ ابْنِ اللَّهِ وَتَسْمِيَةِ اللَّهِ أَبَا لَهُ وَأَبَا لِلنَّاسِ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالًا مَجَازِيًّا، وَلَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَنَقَلَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَسِيحِ وَحْدَهُ أَيْ فَهُمْ يُفَسِّرُونَ لَفْظًا بِغَيْرِ مَعْنَاهُ الْمُرَادِ فِي الْكِتَابِ يُوْهِمُونَ النَّاسَ أَنَّ الْكِتَابَ جَاءَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ: **﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

^١ وهو واحد من علماء الأزهر ومن أكبر تلاميذ الأستاذ محمد عبده، وينقل عنه في تفسيره بقوله: «قال الأستاذ الإمام»، وقد نقل شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط كثيراً من تفسيره المنار - أي: رشيد رضا -، وفي بعض المواضع كان يوصي بالرجوع إلى تفسير المنار؛ فمن ذلك قوله في هامش (٦ / ٢٥٨) من تفسيره الوسيط: «راجع تفسير المنار ص ٣٧٧ وما بعدها؛ ففيه كلام مفيد عن عقيدة اليهود، والنصارى».

أَكَّدَ الْحَبْرَ بِتَعَمُّدِهِمُ التَّحْرِيفَ وَسَجَّلَ الْكَذِبَ الصَّرِيحَ عَلَيْهِمْ ؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُمْ لَا يُعَرِّضُونَ وَلَا يُؤَرِّضُونَ وَإِنَّمَا يُصَرِّحُونَ بِالْكَذِبِ تَصْرِيحًا لِفَرْطِ جَرَاءَتِهِمْ وَعَدَمِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَهُمْ رَسْمٌ ظَاهِرٌ وَجَنَسِيَّةٌ هِيَ مَصْدَرُ الْغُرُورِ ؛ إِذْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ جَمِيعُ مَا يَجْتَرِمُونَ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ، وَمِنْ سُلَالَةِ أَوْلِيكَ النَّبِيِّينَ انتهى.

٢- قوله -تعالى- : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط لهم (٢/ ١٠٣٥):

«بعد أن بيّن الله شرور اليهود وآثامهم، أتبعه ذكر قبائح النصارى فقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ...﴾. والضمير في قوله: ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ عائد على النصارى. والمعنى: أي وأخذنا العهد والميثاق على النصارى: بالثبات على الطاعة، وتصديق الرسل واتباعهم.

وعبر بقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ بدلا من قوله: (ومن النصارى)، للإيدان بأنهم على دين النصارى بزعمهم، لا حقيقة الواقع؛ لعدم عملهم بموجب دينهم، ومخالفتهم لما في الإنجيل من التوحيد، والتبشير بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

^١ جاء في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين «بشارات الأنبياء والرسل به قبل مجيئه» (٣/ ١ / ٥٥):

«وكذلك جاء في القرآن الكريم: أن أهل الكتاب يجادلون النبي - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فهذه الآية صريحة في أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - مكتوب في التوراة والإنجيل. والمراد بكتابته فيها: ذكر مبعثه ودعوته وشيء من نوعته، وهذا المعنى موجود في الكتابين يقيناً، فقد نزلت الآية على مسمع من علماء الأمتين: اليهودية والنصرانية، فمنهم من يؤمن به - عليه الصلاة والسلام -، ويخبر بها في كتبهم من ذكره بصفته وعلاماته، ومنهم من لا ينكر أن يكون قد ذكر في الكتابين رسول هذه النعوت والعلامات، ولكنه يكابر في أن المراد منه المصطفى -

وقيل: للإشارة إلى أنهم لقبوا أنفسهم بذلك، على معنى أنهم أنصار الله، مع أنهم لا ينصرون - بكفرهم وسوء أعمالهم - إلا الشيطان.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: فسلكوا طريق اليهود في نقض العهد والميثاق، وتركوا نصيباً وافراً مما ذُكِّرُوا به في كتابهم، من عقيدة التوحيد، ومن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: فكان جزاؤهم أن بث الله فيهم العداوة والبغضاء، حتى صارت صفة ملازمة لهم.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة، وعقائدهم المتنافرة.

وقد حدث هذا عبر الأجيال إلى يومنا هذا؛ فكل طائفة من طوائفهم: تُكفِّر الأخرى، وتحرم التزاوج منها. وبالرجوع إلى التاريخ، تعرف هذه الحقيقة القرآنية الجليلة، ولا يزالون كذلك إلى يوم القيامة.

﴿وَسَوْفَ يُنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: وسيجازيهم الله - يوم القيامة - بما صنعوا في الدنيا، من نكث العهد، ونقض الميثاق، وتحريفهم الكتاب الذي أنزل عليهم» انتهى.

وقال شيخ الأزهر - السابق - محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط (٤ / ٨٦):

صلوات الله عليه -، ويقول: المقصود منه نبي آخر. وفي مثل هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقد تصدى لجمع هذه البشائر من كتابي التوراة والإنجيل طائفة من أهل البحث والعلم، وبينوا وجه انطباقها على حال النبي - صلى الله عليه وسلم - بحيث لا تأخذ الناظر شبهة في أنه الرسول الذي بشرت الأنبياء بمبعثه وعموم رسالته.

ومن هذه البشائر الباقية في التوراة والإنجيل إلى هذا العهد: ما جاء في سفر التثنية من التوراة: «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

والنبي المماثل لموسى - عليه السلام - في الرسالة العظيمة والشريعة المستأنفة، هو سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وإخوة بني إسرائيل هم العرب؛ لأنهم يجتمعان في إبراهيم - عليه السلام -؛ ولو كان النبي الموعود من بني إسرائيل، لقال: من أنفسهم. وقوله: "وأجعل كلامي في فمه" يوافق حال النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأمية وعدم تعاطي الكتابة.

هذه بشارة نذكرها على وجه المثل. وإن شئت الزيادة، فارجع إلى الكتب التي عنيت بجلب نصوص تلك البشائر، وبيان أنها لا تنطبق إلا على حال محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ ككتاب «هداية الحيارى» لابن القيم، وكتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمه الله الهندي.

«والمعنى: وكما أخذنا على بنى إسرائيل الميثاق بأن يعبدوا الله وحده، ويطيعوا أنبياءه، ويستجيبوا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشرت به الكتب السماوية، فقد أخذنا - أيضًا - من الذين قالوا: إننا نصارى الميثاق بذلك، ولكنهم كان شأنهم في الكفر، ونقض العهود؛ كشأن اليهود، إذ ترك هؤلاء الذين قالوا إننا نصارى قدرًا كبيرًا، ونصيبًا عظيمًا مما ذكروا به على لسان عيسى - عليه السلام -؛ فقد أمرهم بتوحيد الله، وبشرهم بظهور رسول من بعده هو محمد - صلى الله عليه وسلم -، ودعاهم إلى الإيمان به، ولكنهم استحبوا الكفر على الإيمان، فكان دأبهم؛ كدأب بنى إسرائيل في العناد، والضلال» انتهى.

وقال - أيضًا - رحمه الله - في تفسيره (٢/ ٢٢):

«ومن الأدلة على أن التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم ليست؛ هي التي أنزلها الله على موسى: انقطاع سندها^(١١)، واشتمالها على كثير من القصص، والعبارات، والمتناقضات التي تنتزه الكتب السماوية عن ذكرها^(١٢). وكذلك الحال بالنسبة للإنجيل؛ إذ ليست هذه الأناجيل التي يقرؤها المسيحيون اليوم؛ هي الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى؛ وإنما هي مؤلفات ألفت بعد عيسى - عليه السلام - ونُسبت إلى بعض الحواريين من أصحابه^(١٣).

^{١١} قال الكاثوليكي «جان ميلز»: «اتفق أهل العلم على أن نسخ التوراة الأصلية، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر «بختنصر»، ولما ظهرت نقوؤها بوساطة «عزرا» ضاعت تلك النقول في حادثة «أنتيوخوس» إظهار الحق (١/ ٢٢٩).

ويقول كيرت: «الكتاب المقدس المتداول حاليًا لا يحتوي على التوراة، والإنجيل المنزّلين من الله، ولقد اعترف علماء باحثون باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس» انتهى من «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» (ص: ٣٢) لإبراهيم خليل أحمد وكان قسيسًا؛ فأسلم!، والله الحمد.

وإذا ثبت التحريف في العهد القديم ثبت بطلان الدين به؛ وهذا مبطل للديانتين جميعًا؛ فأما اليهودية؛ فظاهر، وأما النصرانية؛ فلأن اعتماد دينها عليه تشريعًا، وحكمًا؛ فدينهم قائم على العهدين جميعًا؛ فإذا بطل أحدهما بطلت الديانة؛ فكيف؛ وقد بطلا جميعًا بشهادة علماءهم أنفسهم؟!

^{١٢} وسيأتي - إن شاء الله - في مبحث «حقيقة الكتاب المقدس» أمثلة كثيرة على ذلك.

^{١٣} وقد اعترف علماء النصارى بهذه الحقيقة؛ فجاء في مقدمة الترجمة العربية المشتركة التي قام عليها علماء من كل الطوائف النصارى؛ قالوا في (ص: ٩):

تكونت اللائحة القانونية لأسفار العهد الجديد على مراحل:

أول مجموعة تكونت هي رسائل بولس! التي تكلمت عنها رسالة بطرس الثانية (٣: ١٥ - ١٦) ثم الأنجيل، وسفر الأعمال، وبعد نقاشات بين الكنائس!! قبلت الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة يعقوب، وبطرس الثانية، ويهوذا، وسفر الرؤيا!!
إن قراءة هذه الكتب خلال العبادة والاقتراس منها لتثبيت العقيدة ساعد الكنائس على تحديد الكتب القانونية للعهد الجديد واستبعاد الكتب الأخرى المنحولة والاتفاق اليوم تام بين الكنائس فيما يخص أسفار العهد الجديد» اهـ.

تأمل رحمك الله في هذا الاعتراف الذي يبين أن كل الأسفار -التي منها يتكون العهد الجديد- لم يكتب حرف منها في زمن المسيح بل بعده وأولها رسائل بولس الذي إليه تنسب هذه الديانة!!، وأما الأنجيل فكتبت واعتبرت قانونية بعد كتابة رسائل بولس! -وانتبه- ثم تأمل كيف يتم اعتبار قانونية الأسفار (أي اعتبار الأسفار مقدسة كتبت بإلهام) فهو أمر راجع إلى ما تراه الكنيسة!!.

وجاء في مقدمة الترجمة اليسوعية للعهد الجديد (ص ١٢-١٣) تحت عنوان (نص العهد الجديد): «بلغنا نص الأسفار السبعة والعشرين في عدد كبير من المخطوطات التي أنشأت في كثير من مختلف اللغات. وهى محفوظة الآن في المكتبات في طول العالم وعرضه. وليس في المخطوطات كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هي كلها نسخ، أو نسخ النسخ للكتب التي خطتها يد المؤلف نفسه أو أملاها إملاء.... وليس لدينا على البردى سوى أجزاء من العهد الجديد بعضها صغير وأقدم الكتب الخط التي تحتوي العهد الجديد أو النص الكامل كتابان مقدسان على الرق يعودان إلى القرن الرابع وأجلها المخطوطة الفاتيكانية، سميت كذلك لأنها محفوظة في مكتبة الفاتيكان وهذا المخطوط مجهول المصدر ...

إن نسخ العهد الجديد التي وصلت لدينا ليست كلها واحدة بل يمكن للمرء أن يري فيها فوارق مختلفة للأهمية ولكن عددها كثير جدا، على كل حال هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو ألفاظ أو ترتيب الكلام ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها، واكتشاف مصادر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير فأن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال القرون الكثيرة بيد النساخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء، التي تحاول دون أن تتصف أية نسخة كانت مهما بذل فيها من جهد بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه.

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا عن حسن نية أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي وهكذا أدخلوا الي النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ...

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل علي مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقوب بمختلف ألوان التبديل ظهرت في أعداد كبيرة من القراءات».

وبعد هذا الاعتراف - ويقولون: (الاعتراف سيد الأدلة)!- لنا أن نسأل الآن: إذا كان أولا: الأصل مفقود، وثانيا: اختلفت النسخ اختلافا واضحا، وثالثا: تدخل النساخ في النص فغيروا وبدلوا، فكيف نثق بعد في هذا الكتاب أو ننسبه إلى الله!!؟.

أما الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والذي وصفه الله بأنه هداية للناس؛ فهو غير هذه الأناجيل^(١٤) انتهى.

وقال - رحمه الله - في تفسيره (٤ / ٨٩):

"والمراد بالكتاب في قوله: ﴿تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، والإنجيل؛ فقد امتدت أيدي اليهود، والنصارى إلى هذين الكتابين؛ فغيروا وبدلوا فيهما على حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم" انتهى.

يقول علامة الأزهر الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (٦ / ٢٣٤):

«والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة وغيرها (وكذا كتب النصارى) هو أن التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في تلك الكتب، ما له من دافع، وأنها كتب غير متواترة، فالتوراة التي كتبها موسى - عليه السلام -، وأخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل بحفظها - كما هو مسطور في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثية الإشتراع - قد فقدت قطعاً، باتفاق مؤرخي اليهود والنصارى، ولم يكن عندهم نسخة سواها، ولم يكن أحد يحفظها عن ظهر قلب، كما حفظ المسلمون القرآن كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الأسفار الخمسة التي يسمونها إلى موسى فيها خبر كتابته التوراة، وأخذ العهد عليهم بحفظها، وهذا ليس منها قطعاً، وفيها خبر موته وكونه لم يقم بعده أحد مثله إلى ذلك الوقت؛ أي الذي كتب فيه ما ذكر من سفر التثية، وهذا نص قاطع في كون الكاتب كان بعد موسى بزمن يظهر أنه طويل، وكون ما ذكر ليس من التوراة في شيء، ومن المشهور عندهم أنها فقدت عند سبي البابليين هم. وفي هذه الأسفار ما لا يخص من الكلم البابلي الدال على أنها كتبت بعد السبي. فأين التواتر الذي يشترط فيه نقل الجمل الغير الذين يؤمن تواترهم على التبديل والتغيير في كل طبقة من الطبقات، بحيث لا ينقطع الإسناد في طبقة ما؟ والمرجح عند محققى المؤرخين من الإفرنج أن هذه التوراة الموجودة كتبت بعد موسى

^{١٤} وسيأتي إن شاء الله - تعالى - بيان ذلك موثقاً بنصوص من كتبهم.

بِبُضْعَةِ قُرُونٍ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ بَعْدَ السَّبْيِ عِزْرَا الْكَاهِنُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ أَرْتَحْشَشْتَا الَّذِي أَذِنَ لَهُ بِذَلِكَ ؛ إِذْ أَذِنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ أَوْضَحْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَسُورَةِ النَّسَاءِ، وَسَنَزِيدُهَا بَيَانًا...».

وَأَخَذَ يُبَيِّنُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- حَالَ الْيَهُودِ؛ ثُمَّ قَالَ فِي (٦/ ٢٣٨):

«بَيَّنَ اللَّهُ لَنَا أَنَّ النَّصَارَى نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ كَالْيَهُودِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكْتُبْ مَا ذَكَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَمَجِيدِهِ وَالْإِرْشَادِ لِعِبَادَتِهِ، وَكَانَ مِنَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْعَوَامِّ، وَأَمْثَلُهُمْ حَوَارِيُّوهُ وَهُمْ مِنَ الصَّيَّادِينَ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْيَهُودُ فِي عَدَاوَتِهِمْ وَمُطَارَدَتِهِمْ، فَلَمْ تَكُنْ هُمْ هَيْئَةً اجْتِمَاعِيَّةً ذَاتُ قُوَّةٍ وَعِلْمٍ تُدَوِّنُ مَا حَفِظُوهُ مِنْ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَتَحْفَظُهُ، وَيَظْهَرُ مِنْ تَارِيخِهِمْ وَكُتُبِهِمْ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَبْتَغُونَ بَيْنَ النَّاسِ فِي عَصْرِهِمْ تَعَالِيمَ بَاطِلَةٍ عَنِ الْمَسِيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ كَتَبُوا كُتُبًا سَمَّوْهَا الْأَنْجِيلَ كَثِيرُونَ جِدًّا، كَمَا صَرَّحُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ الْمُقَدَّسَةِ وَتَوَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، وَمَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْأَنْجِيلُ الْأَرْبَعَةُ الْمُعْتَمَدَةُ عَنْدهُمْ الْآنَ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ مِنْ تَارِيخِ الْمَسِيحِ عِنْدَمَا صَارَ لِلنَّصَارَى دَوْلَةٌ بِدُخُولِ الْمَلِكِ قُسْطَنْطِينَ فِي النِّصْرَانِيَّةِ، وَإِدْخَالِهِ إِيَّاهَا فِي طَوْرٍ جَدِيدٍ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ.

وَهَذِهِ الْأَنْجِيلُ عِبَارَةٌ عَنْ تَارِيخٍ نَاقِصٍ لِلْمَسِيحِ، وَهِيَ مُتَعَارِضَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ مَجْهُولَةٌ الْأَصْلِ وَالتَّارِيخِ، بَلْ وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي مُؤَلَّفِيهَا وَاللُّغَاتِ الَّتِي أَلْفَوْهَا بِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِ أَوَّلِ سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» حَقِيقَةَ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، وَكَوْنِ هَذِهِ الْكُتُبِ لَمْ تَحْوَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ، كَمَا تَحْتَوِي السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عِنْدَنَا عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَهَذَا الْقَلِيلُ مِنَ الْإِنْجِيلِ قَدْ دَخَلَهُ التَّنَاقُضُ وَالتَّحْرِيفُ.

وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْهِنْدِيُّ فِي كِتَابِهِ (إِظْهَارِ الْحَقِّ) الْمَشْهُورِ، مِائَةَ شَاهِدٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، عَلَى التَّحْرِيفِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ فِيهَا، نَقَلْتُ بَعْضَهَا عَلَى سَبِيلِ النَّمُودَجِ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ النَّسَاءِ (٤: ٤٦) وَمِنْهَا مَا عَجَزَ مُفَسِّرُو التَّوْرَةِ عَنْ تَحْلِيلِ الْجَوَابِ عَنْهُ، وَجَزَمُوا بِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا

كُتِبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَاغَهُ فِي (ص ١١٣ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ جُزْءِ التَّفْسِيرِ الْخَامِسِ، ط الْهَيْئَةُ) انتهى.

وقال أيضا في تفسير المنار (٦/ ٣٠):

«إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ يُصَدِّقُونَ دَعَاةَ النَّصْرَانِيَّةِ، وَجَادِلِيهِمْ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْجِيلَ مُحْفُوظَةٌ عِنْدَهُمْ مِنْ عَهْدِ الْمَسِيحِ إِلَى الْآنَ!، وَأَنَّهَا مُسْلَمَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ فِرْقِهِمْ، وَمَعْرُوفَةٌ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ يَخْتَلِفُ فِيهَا اثْنَانِ!!؛ وَلَكِنَّ مَنْ طَالَعَ كُتُبَهُمُ التَّارِيخِيَّةَ، وَالدِّينِيَّةَ، يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَى بَاطِلَةٌ، وَإِنَّمَا يُصَدِّقُهُمُ الْمُسْلِمُونَ الْجَاهِلُونَ؛ لِتَوَهُمِ أَنَّ النَّصْرَانِيَّةَ نَشَأَتْ كَالْإِسْلَامِ فِي مَهْدِ الْقُوَّةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْمَدْنِيَّةِ، وَالْحَضَارَةِ، فَأَمَكَنَ حِفْظُ كُتُبِهَا؛ كَمَا أَمَكَنَ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَشَتَانُ بَيْنَ الْأُمَمَتَيْنِ فِي نَشَأَتِهَا شَتَانٌ!، وَإِلَيْكَ نَزَرًا مِنَ الْبَيَانِ، وَإِنْ شِئْتَ الْمَزِيدَ مِنْ مِثْلِهِ؛ فَارْجِعْ إِلَى الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

الدَّلَائِلُ عَلَى عَدَمِ الثَّقَةِ بِالْأَنْجِيلِ:

أَلَفَ سَلْسُوسٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي لِلْمِيلَادِ كِتَابًا فِي إِبْطَالِ الدِّينَانِ النَّصْرَانِيَّةِ قَالَ فِيهِ -كَمَا نَقَلَ عَنْهُ أَكْهَارُنَ مِنْ عُلَمَاءِ أَلْمَانِيَّةَ مَا تَرْجَمْتُهُ- : «بَدَّلَ النَّصَارَى أَنْجِيلَهُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، أَوْ أَرْبَعَ مَرَاتٍ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا تَبْدِيلًا؛ كَأَنَّ مَضَامِينَهَا بُدِّلَتْ!».

وَفِي كُتُبِهِمْ أَنَّ الْفِرْقَةَ الْأَبْيُونِيَّةَ مِنْ فِرْقِ النَّصَارَى فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْمِيلَادِ كَانَتْ تُصَدِّقُ إِنْجِيلَ مَتَّى وَحْدَهُ، وَتَنْكُرُ مَا عِداَهُ، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْجِيلُ مُخَالَفًا لِإِنْجِيلِ مَتَّى الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ ظُهُورِ قُسْطَنْطِينَ!.

وَأَنَّ الْفِرْقَةَ الْمَارَسِيُونِيَّةَ مِنْ فِرْقِ النَّصَارَى الْقَدِيمَةِ كَانَتْ تَأْخُذُ بِإِنْجِيلِ لُوقَا، وَكَانَتْ النُّسخَةُ الَّتِي تَوْمَنُ بِهَا مُخَالَفَةً لِلْمَوْجُودَةِ الْآنَ، وَكَانَتْ تُنْكَرُ سَائِرَ الْأَنْجِيلِ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُبْتَدَعَةِ!.

وَفِي رِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةَ مَا نَصَّهُ: (١: ٦) إِنِّي أَتَعْجَبُ أَنَّكُمْ تَتَنَقَّلُونَ هَكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ (٧) لَيْسَ هُوَ آخَرُ، غَيْرَ أَنَّهُ يَوْجَدُ قَوْمٌ يَزْعُمُونَكُمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ!؛ هَكَذَا فِي تَرْجُمَةِ الْبُرُوتَسْتَانَتِ الْأَخِيرَةِ (يُحَوِّلُوا)، وَفِي التَّرْجُمَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا كَثِيرُونَ «يُحَرِّفُوا»، وَفِي تَرْجُمَةِ الْجَزَوِيَّتِ «يَقْلُبُوا»، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبَةٌ تَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي عَهْدِ

بولس قومٌ يدعونَ النَّاسَ إلى إنجيلٍ غيرِ الذي يدعو هو إليه، ومعنى كونه غيرهُ أنَّهم حرفوه، أو قلبوه حتَّى صارَ كأنَّهُ إنجيلٌ آخر، وكما اعترفَ بولسُ بهذا اعترفَ بأنَّه كانَ يوجدُ في عصرِه رسلٌ كذابونَ غدارونَ تشبهوا برسلِ المسيح؛ صرَّحَ بذلكَ في رسالتهِ الثانيةِ إلى أهلِ كورنثوس؛ فقال: (١٣: ١١) لأنَّ مثلَ هؤلاءِ رسلٌ كذبةٌ فعلةٌ ماكرونَ مغيرونَ شكلهم إلى رسلِ المسيح (١٤) ولا عجبَ لأنَّ الشَّيْطَانَ يُغيِّرُ شكلَهُ إلى ملاكِ نورٍ (١٥)؛ فليسَ عظيمًا إذا كانَ خُدامُهُ -أيضًا- يُغيرونَ شكلهم كخُدامِ للبرِّ).

وفي سفرِ الأعمالِ تصرِّحُ بأنَّ بعضَ اليَهُودِ كانوا يَنبشُونَ بينَ المسيحيينَ، ويعلمونهم غيرَ ما يعلمهم رسلُ المسيح، وأنَّ الرسلَ، والمشايعَ أرسلوا بولسَ، وبرنابا إلى أنطاكية؛ لتحذيرِ إخوانهم فيها مِنَ الذينَ يوصونهم بالختان!، وحفظِ النَّاموسِ الذي لم يأمرهم به!، كما ذَكَرَ في الفصلِ (١٥) منه، وفي آخرِه أنَّه حصلتَ مُشاجرةٌ هنالكَ بينَ بولسَ، وبرنابا وافترقا، ومن المعلومِ أنَّ بولسَ كانَ عدوَّ المسيحيينَ، وخصمهم، وأنَّه لما ادعى الإيمانَ لم يصدقه جماعةُ المسيح -عليه السَّلامُ-، ولولا أن شهد له برنابا لما قبلوه، وبرنابا يقولُ في أولِ إنجيله: إنَّ بولسَ نفسه كانَ مِنَ الذينَ بشروا بتعليمٍ جديدٍ غيرِ تعليمِ المسيح؛ فمعَ أمثالِ هذهِ النُّصوصِ في أمهاتِ كتبهم المقدسة؛ كيفَ يُمكنُ للمُسلمِ أن يثقَ بها؟» انتهى.

فصل في ضياع كثير من الإنجيل، وتحريف كتب النصارى المقدسة

وقد عقد الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - فصلاً في تفسيره بهذا العنوان، وقد رأينا نقله كاملاً للقارئ لما فيه من فائدة عظيمة، قال - رحمه الله - في تفسير المنار (٦ / ٢٣٩):

«فصل في ضياع كثير من الإنجيل وتحريف كتب النصارى المقدسة»

أولاً: إن الكتب التي يسمونها الأناجيل الأربعة تاريخ مختصر للمسيح عليه السلام لم يذكر فيها إلا شيء قليل من أقواله وأفعاله في أيام معدودة، بدليل قول يوحنا في آخر إنجيله: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة، آمين».

هذه العبارة يراد بها المبالغة في بيان أن الذي كتب عن المسيح لا يبلغ عشر معشار تاريخه. ومن البديهي أن تلك الأعمال الكثيرة التي لم تكتب، وقعت في أزمة كثيرة، وأنه تكلم في تلك الأزمة وعند تلك الأعمال كثيراً؛ فهذا كله قد ضاع ونسي، وحسبنا هذا حجة عليهم في إثبات قول الله تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وحجة على بعض علماء الذين ظنوا أن كتبهم حفظت وتواترت.

قال صاحب ذخيرة الألباب: «إن الإنجيل لا يستغرق كل أعمال المسيح، ولا يتضمن كل أقواله كما شهد به القديس يوحنا».

ثانياً: الإنجيل في الحقيقة واحد، وهو ما جاء به المسيح عليه السلام من الهدى والبشارة بخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان يدور ذكره على ألسنة كتّاب تلك التواريخ الأربعة وغيرهم، حكاية عن المسيح وعن ألسنتهم أنفسهم، قال متى حكاية عنه: (٢٦: ١٣ الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها) أي ما فعلته المرأة التي سكبت قارورة الطيب على رأسه.

أوجب عليهم أن يخبروا كل من يبلغونهم الإنجيل في عالم اليهودية كلها بما فعلته تلك المرأة، فخير تلك المرأة ليس من الإنجيل الذي جاء في كلام المسيح، وقد ذكر في تلك التواريخ امثالاً لأمره. وسميت تلك التواريخ أناجيل لأنها تتكلم عن إنجيل المسيح، ونجيء بشيء منه؛ ولذلك بدأ مرقس

تَارِيخُهُ بِقَوْلِهِ: «بَدَأَ إِنْجِيلُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»، ثُمَّ قَالَ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ: (١: ١٥) فَتَوَبُّوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ) فَالْإِنْجِيلُ الَّذِي أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لَيْسَ هُوَ أَحَدَ هَذِهِ التَّوَارِيخِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَا مَجْمُوعَهَا، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى أَهْلِ تِسَالُونِيكِي «الْإِنْجِيلَ الْمُطْلَقَ» (٢: ٤) وَإِنْجِيلَ اللَّهِ (٢: ٨ و ٩) وَإِنْجِيلَ الْمَسِيحِ (٣: ٢).

وَالكِتَابُ الْإِلَهِيُّ يُصَافُ إِلَى اللَّهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَوْحَاهُ، وَإِلَى النَّبِيِّ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ، كَمَا يُقَالُ تَوْرَاةُ مُوسَى.

فَالثَّانِي: كَانَتِ الْأَنْجِيلُ فِي الْقُرُونِ الْأُولَى لِلْمَسِيحِ كَثِيرَةً جَدًّا، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهَا بَلَّغَتْ زُهَاءَ سَبْعِينَ إِنْجِيلًا، وَقَالَ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْكَنِيسَةِ: إِنَّ الْأَنْجِيلَ الْكَاذِبَةَ كَانَتْ ٣٥ إِنْجِيلًا، وَقَدْ رَدَّ صَاحِبُ كِتَابِ (ذَخِيرَةِ الْأَلْبَابِ) الْمَارُونِيُّ الْقَوْلَ بِكَثْرَتِهَا، وَقَالَ إِنَّ سَبَبَ ذَلِكَ تَسْمِيَةُ الْوَاحِدِ بَعْدَهُ أَسْمَاءً، وَقَالَ: إِنَّ الْخُمُسَةَ وَالثَّلَاثِينَ لَا تَكَادُ تَبْلُغُ الْعِشْرِينَ، وَعَدَّهَا كُلَّهَا، وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهَا مُكْرَّرُ الْإِسْمِ، وَذَكَرَ مِنْهَا إِنْجِيلَ الْقَدِّيسِ بَرْنَابَا، وَذَكَرَ أَنَّ جَاوِدِي الْوَحْيِ طَعَنُوا فِي الْأَنْجِيلِ أَرْبَعَةَ مَطَاعِنَ:

(١): أَنَّ الْأَبَاءَ الَّذِينَ سَبَقُوا الْقَدِّيسَ يُوَسْتَيْنُوسَ الشَّهِيدَ لَمْ يَذْكُرُوا إِلَّا أَنْجِيلَ كَاذِبَةً وَمَذْخُولَةً.

(٢): لَا سَبِيلَ إِلَى إِظْهَارِ أَسْفَارِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّتِي خَطَّهَا مُؤَلِّفُهَا.

(٣): قَدْ فَاتَ الْجَمِيعَ مَعْرِفَةُ الْمَوْضِعِ وَالْعَهْدِ اللَّذَيْنِ كُتِبَتْ فِيهِمَا.

(٤): أَنَّ كُورِنْثُسَ وَكِرْبُوكِرَاتُوسَ قَدْ نَبَذَا ظَهْرِيًّا مِنْذُ أَوَائِلِ الْكَنِيسَةِ إِنْجِيلَ الْقَدِّيسِ لُوقَا، وَالْأَلُوغِيِّينَ إِنْجِيلَ الْقَدِّيسِ يُوَحْنَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ هَذِهِ الْإِعْتِرَاضَاتِ رَدًّا مَقْبُولًا عِنْدَ مُسْتَفْلِي الْفِكْرِ.

وَقَالَ الدُّكْتُورُ بوسْتُ الْبُرُوتْسْتَانِي فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: «إِنَّ نَقْصَ الْأَنْجِيلِ غَيْرِ الْقَانُونِيَّةِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهَا مُضَادَّةٌ لِرُوحِ الْمَخْلَصِ وَحَيَاتِهِ».

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّنَا قَدْ أَطْلَعْنَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا، وَهُوَ إِنْجِيلُ بَرْنَابَا، فَوَجَدْنَاهُ أَكْمَلَ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَرْبَعَةِ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَفِي الْحُثِّ عَلَى الْأَدَابِ وَالْفَضَائِلِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا بُرْهَانَهُمْ، عَلَى رَدِّ تِلْكَ الْأَنْجِيلِ الْكَثِيرَةِ، وَإِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَهُوَ بُرْهَانٌ يُثْبِتُ صِحَّةَ إِنْجِيلِ بَرْنَابَا قَبْلَ غَيْرِهِ، أَوْ دُونَ غَيْرِهِ.

رَابِعًا: بُدِئَ تَحْرِيفُ الْإِنْجِيلِ مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، قَالَ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةَ: (١: ٦) إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ. لَا لَيْسَ هُوَ آخَرُ غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يَزْعُمُونَكُمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ).

فَالْمَسِيحُ كَانَ لَهُ إِنْجِيلٌ وَاحِدٌ، وَبَيَّنَ بُولُسُ أَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِهِ مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ أَنْاسٌ يَدْعُونَ الْمَسِيحِينَ إِلَى إِنْجِيلٍ غَيْرِهِ بِالتَّحْوِيلِ؛ أَيِ التَّحْرِيفِ كَمَا فِي التَّرْجَمَةِ الْقَدِيمَةِ، وَفِي تَرْجَمَةِ الْجَزُوبِيتِ (يَقْلُبُوا) بَدَلْ (يُحَوِّلُوا) وَهِيَ أَبْلَغُ فِي التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ^(١٥)، وَبَيَّنَ بُولُسُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَنْتَقِلُونَ سَرِيعًا إِلَى دُعَاةِ هَذَا الْإِنْجِيلِ الْمُحَرَّفِ الْمُحَوَّلِ عَنْ أَصْلِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمَسِيحُ.

وَقَدْ بَيَّنَ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ: (١١: ١٥ - ١٦) أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ «رُسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَتْ مَآكِرُونَ مُعَيَّرُونَ شَكَلَهُمْ إِلَى رُسُلِ الْمَسِيحِ»، وَتَمَّتْ الْعِبَارَةُ تَدُلُّ أَنَّهُمْ كَانُوا كَرُسُلِ الْمَسِيحِ، وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ كَمَا يَتَشَبَّهُ الشَّيْطَانُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ إِذْ «يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى مَلَكِ نُورٍ».

وَفِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ سِفْرِ الْأَعْمَالِ مَا يُوضِّحُ هَذِهِ الْمُسْأَلَةَ، وَهُوَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَنْبَثُونُ بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ وَيُعَلِّمُونَهُمْ غَيْرَ مَا يُعَلِّمُهُمْ رُسُلُ الْمَسِيحِ، وَأَنَّ الْمُشَايخَ وَالرُّسُلَ أَرْسَلُوا بِرَنَابَا وَبُولُسَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ؛ لِيَحْذَرُوا أَهْلَهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمِينَ الْكَاذِبِينَ، وَأَنَّ بُولُسَ وَبِرَنَابَا تَشَاجَرَا وَافْتَرَقَا هُنَالِكَ، وَهُمَا مَا تَشَاجَرَا وَافْتَرَقَا إِلَّا لِاخْتِلَافِهِمَا فِي حَقِيقَةِ تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ؛ فَبِرَنَابَا يَذْكُرُ فِي مُقَدِّمَةِ إِنْجِيلِهِ أَنَّ بُولُسَ كَانَ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْمَسِيحَ فِي تَعْلِيمِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ بِرَنَابَا أَجْدَرُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّصْدِيقِ مِنْ بُولُسَ؛ لِأَنَّهُ تَلَقَّى عَنِ الْمَسِيحِ مُبَاشَرَةً، وَكَانَ بُولُسُ عَدُوًّا لِلْمَسِيحِ وَالْمَسِيحِيِّينَ، وَلَوْلَا أَنَّ قَدَمَهُ بِرَنَابَا لِلرُّسُلِ لَمَا وَثَقُوا بِدَعْوَاهُ التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ بِالْمَسِيحِ.

وَلَكِنَّ النَّصَارَى رَفَضُوا إِنْجِيلَ بِرَنَابَا الْمُمْلُوءَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ، وَبِالْحُكْمَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَآثَرُوا عَلَيْهِ رِسَائِلَ بُولُسَ وَأَنَاجِيلَ تَلَامِيذِهِ لُوقَا وَمَرْقُسَ، وَكَذَا يُوحَنَّا، كَمَا حَقَّقَهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ أَوْرُبَّا؛ لِأَنَّ تَعَالِيمَ بُولُسَ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى عَقَائِدِ الرُّومَانِيِّينَ الْوُثْنِيَّةِ، فَكَانُوا هُمْ الَّذِينَ رَجَّحُوا مَا عَدَاهَا؛ إِذْ كَانُوا هُمْ أَصْحَابَ السُّلْطَةِ الْأُولَى فِي النَّصْرَانِيَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ كَوَّنُوا هَذَا الشَّكْلَ.

^{١٥} وفي ترجمة الشريفة: (يحرّفوا) وفي الترجمة العربية المشتركة (يغيروا).

خَامِسًا: اختلفَ علماءُ الكنيسةِ وعلماءُ التاريخِ في الأناجيلِ الأربعةِ التي اعتمدوها في القرنِ الرابعِ: مَنْ هُم الَّذِينَ كَتَبُوهَا؟ وَمَتَى كَتَبُوهَا؟ وَبِأَيِّ لُغَةٍ كُتِبَتْ؟ وَكَيْفَ فُقِدَتْ نُسَخُهَا الْأَصْلِيَّةُ؟ كَمَا تَرَى ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْكُبْرَى، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الدِّينِ وَالتَّارِيخِ.

وَهَذِهِ كَلِمَاتٌ مِنْ كُتُبِ الْمُدَافِعِينَ عَنْهَا: قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «مُرْشِدِ الطَّالِبِينَ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الثَّانِي»: «إِنَّ مَتَّى بِمُوجِبِ اعْتِقَادِ جُمْهُورِ الْمَسِيحِيِّينَ كَتَبَ إِنْجِيلَهُ قَبْلَ مَرْفُوسَ وَلُوقَا وَيُوحَنَّا، وَمَرْفُوسَ وَلُوقَا كَتَبَا إِنْجِيلَهُمَا قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ، وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُ الْجَزْمُ فِي آيَةِ سَنَةِ كَتَبَ كُلُّ مِنْهُمْ بَعْدَ صُعُودِ الْمُخَلَّصِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا نَصٌّ إِلَهِيٌّ عَلَى ذَلِكَ».

(إِنْجِيلُ مَتَّى): قَالَ صَاحِبُ ذَخِيرَةِ الْأَلْبَابِ: «إِنَّ الْقُدِّيسَ مَتَّى كَتَبَ إِنْجِيلَهُ فِي السَّنَةِ ٤١ لِلْمَسِيحِ... بِاللُّغَةِ الْمُتَعَارَفَةِ يَوْمَئِذٍ فِي فَلَسْطِينَ، وَهِيَ الْعِبْرَانِيَّةُ، أَوِ السَّيُورُوكِلْدَانِيَّةُ (ثُمَّ قَالَ): ثُمَّ مَا عَمَّ^(١١) هَذَا الْإِنْجِيلُ أَنْ تُرْجِمَ إِلَى الْيُونَانِيَّةِ، ثُمَّ تَغَلَّبَ اسْتِعْمَالُ التَّرْجُمَةِ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي النُّسَاخِ الْأَبُونِيِّينَ وَمَسَخَتْهُ بَحِثُ أَضْحَى ذَلِكَ الْأَصْلُ هَامِلًا، بَلْ فَقِيدًا، وَذَلِكَ مُنْذُ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ» انْتَهَى.

أَقُولُ: يَا لَيْتَ شِعْرِي، مَنْ هُوَ الَّذِي تَرْجَمَ إِنْجِيلَ مَتَّى بِالْيُونَانِيَّةِ؟ وَمَنْ عَارَضَ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ عَلَى الْأَصْلِ قَبْلَ أَنْ يَعْثَبَ بِهِ النُّسَاخُ، وَيَمَسُخُوهُ؟ اللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الذَّخِيرَةِ: «يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ كَتَبَهُ فِي نَفْسِ أُورُشَلِيمَ»، وَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ رِوَايَةٌ جَدَلِيَّةٌ عَنِ الْمَسِيحِ، لَا تَرْجُمُهُ حَيَاتِهِ».

(وَقَالَ): «إِنَّ الْبُرُوتِسْتَانَتِ الْمُتَأَخِّرِينَ امْتَرَوْا وَشَكُّوا فِي كَوْنِ الْفَصْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْهُ لِمَتَّى».

وَقَالَ الدُّكْتُورُ (بوست) فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: «وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ بِخُصُوصِ لُغَةِ هَذَا الْإِنْجِيلِ؛ هَلْ هِيَ الْعِبْرَانِيَّةُ، أَوِ السَّرْيَانِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لُغَةً فَلَسْطِينَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ؟ وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ كُتِبَ بِالْيُونَانِيَّةِ كَمَا هُوَ الْآنَ».

^{١١} أي: ما لبث.

ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي شُبْهَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى أَصْلِ هَذَا الْإِنْجِيلِ، تَكَلَّمَ فِيهَا صَاحِبُ الذَّخِيرَةِ أَيُّضًا؛ وَهِيَ أَنَّ شَوَاهِدَهُ فِي الْعِظَاتِ مِنَ التَّرْجَمَةِ السَّبْعِينَ لِلْعَهْدِ الْعَتِيقِ، وَفِي بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ مِنَ التَّرْجَمَاتِ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَأَجَابَ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْ ذَلِكَ بِمَا تَرَاءَى لَهُ، ثُمَّ رَجَحَ (بوست) أَنَّهُ أَلْفَ بِالْيُونَانِيَّةِ، خِلَافًا لِحُمْهُورِ رُؤَسَاءِ الْكَنِيسَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ. فَثَبَتَ بِهَذَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِتَارِيخِهِ وَلَا لُغَتِهِ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. ثُمَّ قَالَ: «وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِنْجِيلُ قَدْ كُتِبَ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ إِنْجِيلَنَا الْحَالِيَّ كُتِبَ بَيْنَ سَنَةِ ٦٠، وَسَنَةِ ٦٥»، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ الذَّخِيرَةِ زَعَمَ أَنَّهُ كُتِبَ سَنَةَ ٤١، وَإِنْ هِيَ إِلَّا ظُنُونٌ وَأَوْهَامٌ، يُنَاطِحُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَأَمَّا عُلَمَاءُ النَّصَارَى الْأَقْدَمُونَ فَالْمَأْثُورُ عَنْهُمْ أَنَّ مَتَّى لَمْ يَكْتُبْ هَذَا الْإِنْجِيلَ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بَعْضُ أَقْوَالِ الْمَسِيحِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَالنَّصَارَى يَحْتَجُّونَ الْآنَ عَلَى كَوْنِ هَذِهِ الْأَنْجِيلِ، الَّتِي لَا سَنَدَ لَهَا لَفْظِيًّا وَلَا كِتَابِيًّا، كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي الْعُصُورِ الْأُولَى بِأَقْوَالٍ لِأُولَئِكَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، هِيَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَنَارِ بَيَانُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

وَأَقْدَمُ شَهَادَةٍ يَتَنَاقَلُونَهَا فِي ذَلِكَ شَهَادَةُ (بَابِيَّاس) أَسْقَفِ هِيرَا بُولِيسَ فِي مُتَنَصِّفِ الْقَرْنِ الثَّانِي؛ فَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ (أَوْسَابِيُوسُ) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٤٠ مَا تَرَجَّمَتْهُ: «إِنَّ مَتَّى كَتَبَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْجُمَلِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَقَدْ تَرَجَّمَهَا كُلٌّ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ».

وَيَمْتَّازُ إِنْجِيلُ مَتَّى بِأَنْ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ، وَبِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَأَبْعَدُ عَنِ الْوُثْنِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْجِيلِ^(١٧).

^{١٧} ولكن أختانا القارئ اللبيب انظر في هذا الإنجيل في (٩/٩): «٩ وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازًا مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجُبَايَةِ، أَسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «أَتَّبِعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ»، فهل هذا رجل يتكلم عن نفسه؟! أم يتكلم عن شخص آخر؟!، ولذلك أنكر فاستس - من القرن الرابع - أن يكون هذا الإنجيل من تصنيف التلميذ متى، وتوقف في ذلك علماء الترجمة اليسوعية فقالوا في مقدمة هذا السفر: «أما المؤلف، فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً وأقدم تقليد كنسي (بابيلاس أسقف هيرابوليس في النصف الأول من القرن الثاني) ينسبه إلى الرسول متى .. ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم، فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه...».

«إِنْجِيلُ مُرْقُسَ» ذَكَرَ صَاحِبُ الذَّخِيرَةِ أَنَّ مُرْقُسَ كَانَ عِبْرَانِيًّا مَلَّةً (أَي: نَسَبًا)، وَأَنَّهُ كَانَ تَلْمِيزًا لِبَطْرُسَ، وَتَبَنَاهُ بَطْرُسُ، وَأَنَّهُ اقْتَبَسَ إِنْجِيلَهُ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى، وَمِنْ حُطْبِ بَطْرُسَ، وَأَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ إِنْجِيلٌ سَابِقٌ لِإِنْجِيلِ مَتَّى وَمُرْقُسَ، أَخَذَا عَنْهُ إِنْجِيلَيْهِمَا، وَأَنَّ بَعْضَ الْبُرُوتَسَانَتِ شَكَّوْا فِي الْأَعْدَادِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَصْلِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا أَنَّهُ لَا ذِكْرَ لَهَا فِي النُّسخِ الْخَطِيَّةِ الْقَدِيمَةِ.

وَقَالَ (بوست): «مُرْقُسُ لَقَبُ يُوَحَنَّا، يَهُودِيٍّ، يُرَجَّحُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي أُورُشَلِيمَ».

(قَالَ): «وَتَوَجَّهَ مُرْقُسُ مَعَ بُولَسَ وَبِرْنَابَا خَالِهِ فِي رِحْلَتِهِمُ التَّبَشِيرِيَّةِ الْأُولَى، غَيْرَ أَنَّهُ فَارَقَهُمَا فِي (بُرْجَه) فَصَارَ عِلَّةً مُشَاجِرَةً قَوِيَّةً بَيْنَ بُولَسَ وَبِرْنَابَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَصَافَحَ مَعَ بُولَسَ، فَرَافَقَهُ إِلَى (رُومِيَّة) وَكَانَ مَعَ بَطْرُسَ لَمَّا كَتَبَ رِسَالَتَهُ الْأُولَى (١ بط ٥: ١٣) ثُمَّ مَعَ تِيمُوثَاوُسَ فِي (أَفَسَسَ) وَلَا يُعْرَفُ شَيْءٌ حَقِيقِيٌّ عَنْ حَيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ».

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِنْجِيلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ، وَشَرَحَ فِيهِ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ اللَّاتِينِيَّةِ؛ فَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ كَتَبَهُ فِي رُومِيَّةٍ (قَالَ): إِنَّمَا الْمِشَابَهَةُ بَيْنَ إِنْجِيلِ مَتَّى وَمُرْقُسَ، حَمَلَتْ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ الثَّانِي مُخْتَصَرٌ مِنَ الْأَوَّلِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ هَذَا وَلَا ذَاكَ تَارِيخَ كِتَابَةِ هَذَا الْإِنْجِيلِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ إِيْرِنْيَاوُسَ أَنَّهُ كَتَبَهُ بَعْدَ مَوْتِ بَطْرُسَ وَبُولَسَ، فَلَمْ يَطَّلِعَا عَلَيْهِ، فَكَيْفَ نَثَقُ بِأَنَّهُ وَعَى مَا سَمِعَهُ مِنْ بَطْرُسَ، وَأَدَّاهُ كَمَا سَمِعَهُ؟ ! هَذَا إِذَا صَحَّتْ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ، وَلَكِنْ تَصَحَّ^(١٨).

^{١٨} ما كتبه -رحمه الله- هو التصور القديم لأسبقية إنجيل متى على مرقس، غير أن علماء النصرانية الآن يقولون إن مرقس هو أقدم الأناجيل كتابة وتدويناً وعنه أخذ متى ولوقا يقول مؤلفو مدخل إلى الكتاب المقدس: «ربما كانت بشارة مرقس هي أقدم البشائر الأربع وقد كتبت فيما بين ٦٥-٧٠ ميلادية قبل تدمير هيكل أورشليم، ويبدو أن كلاً من متى ولوقا قد استخدم إنجيل مرقس»، وهذا يكاد يكون إجماعاً من النقاد.

«إِنْجِيلُ لُوقَا» قَالَ فِي الذَّخِيرَةِ: إِنَّ لُوقَا كَانَ مِنْ أَنْطَاكِيَّةَ، وَمِنْ الشَّرَاحِ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ إِغْرِيْقِيٌّ مُتَهَوِّدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَذْكُرُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ إِلَّا نَقْلًا عَنِ التَّرْجَمَةِ السَّبْعِيْنِيَّةِ، «وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ وَثْنِيٌّ هَادٍ إِلَى الْحَقِّ وَارْتَدَّ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ» وَقَالَ: «لُوقَا كَانَ تَلْمِيْذًا وَمُعَاوِنًا لِّبُولُسَ».

ثُمَّ قَالَ مَا نَصَّهُ: «فَدَأْغَلَ مَتَّى وَمَرْفُسَ بَعْضَ حَوَادِثَ وَأُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِسِيرَةِ الْمَسِيحِ، وَقَامَ بَعْضُ الْكُتُبَةِ وَاخْتَلَفُوا تَرْجَمَةَ مُمَوَّهَةَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَكَثِيرًا مَا فَاتَهُمْ فِيهَا الرِّوَايَةُ وَالتَّدْقِيقُ؛ فَبَعَثَ ذَلِكَ بِلُوقَا عَلَى وَضْعِ إِنْجِيلِهِ ضَمًّا بِالْحَقِّ، فَكَتَبَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ، وَجَاءَ كَلَامُهُ أَصَحَّ وَأَفْصَحَ وَأَشَدَّ انْسِجَامًا مِنْ كَلَامِ بَاقِي مُؤَلِّفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّهُ كَتَبَ إِنْجِيلَهُ فِي السَّنَةِ ٥٣ لِلْمَسِيحِ، وَقِيلَ بَلْ سَنَةَ ٥١».

ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلَافَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَتَبَهُ فِيهِ، وَبَيَّنَّ غَرَضَهُ مِنْهُ فَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَأَنَّ يَكْشِفَ النَّقَابَ عَنِ الْأَغْلَاطِ الْمُدْخُولَةِ فِي تَرَاجِمِ حَيَاةِ الْمَسِيحِ الْمُمَوَّهَةِ؛ أَيِ الْأَنَاجِيلِ الَّتِي رَدَّتْهَا الْكَنِيسَةُ بَعْدُ، وَيَنْفِي كُلَّ رُكُونٍ إِلَيْهَا»، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ إِنْجِيلِي مَتَّى وَمَرْفُسَ، وَأَنَّهُ اقْتَبَسَ مِنْهُمَا مَا وَافَقَهُمَا فِيهِ، ثُمَّ عَقَدَ فَضْلًا لِمَا اعْتَرَضَ بِهِ عَلَى مَا حَذَفُوهُ وَأَسْقَطُوهُ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ لَا يَلِيقُ بِالْمَسِيحِ، أَوْ لِعَلَّةِ أُخْرَى.

وَقَالَ الدُّكْتُورُ بوسْتُ فِي قَامُوسِهِ: ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ -أَيُّ لُوقَا- مَوْلُودٌ فِي أَنْطَاكِيَّةَ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ نَاتِجٌ مِنْ اشْتِبَاهِهِ بِلُوكْيُوسَ.

(قَالَ): «وَمِنْ تَغْيِيرِ صِيغَةِ الْغَائِبِ إِلَى صِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي سِيَاقِ الْقِصَّةِ يُسْتَدَلُّ أَنَّ لُوقَا اجْتَمَعَ مَعَ بُولُسَ فِي تِرَوَاسَ (أَع ١٦: ١) وَذَهَبَ مَعَهُ إِلَى فِيلِبِّي فِي سَفَرِهِ الثَّانِي، ثُمَّ اجْتَمَعَ مَعَهُ ثَانِيَةً فِي فِيلِبِّي بَعْدَ عِدَّةِ سِنِينَ (أَع ٢٠: ٥ و ٦) وَبَقِيَ مَعَهُ إِلَى أَنْ أُسِرَ وَأُخِذَ إِلَى رُومِيَّةَ (أَع ٢٨: ٣٠) وَلَمْ يُعْلَمْ شَيْءٌ مِنْ حَيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ».

فَلْيَنْظُرِ الْقَارِئُ كَيْفَ يَسْتَنْبِطُونَ تَارِيخَهُ مِنْ أُسْلُوبِ عِبَارَتِهِ الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ، لَا صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ، كَمَا اسْتَدَلُّوا عَلَى كَوْنِهِ إِيطَالِيًّا لَا فِلَسْطِينِيًّا مِنْ كَلَامِهِ عَنِ الْقَطْرَيْنِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ نَقْلٌ يَعْرِفُونَ بِهِ شَيْئًا عَنْ مُؤَسَّسِي دِينِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: «وَظَنَّ الْبَعْضُ أَنَّ لَفْظَةَ (إِنْجِيلِي) الْوَاردَةَ فِي (٢: ٢) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بُولْسَ أَلْفَ إِنْجِيلٍ لَوْقًا، وَأَنَّ لَوْقًا لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَاتِبًا».

ثُمَّ قَالَ: «وَقَدْ كُتِبَ هَذَا الْإِنْجِيلُ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ وَقَبْلَ الْأَعْمَالِ، وَيُرَجَّحُ أَنَّهُ كُتِبَ فِي قَيْصَرِيَّةٍ فِي فَلَسْطِينَ مَدَّةَ أَسْرِ بُولْسَ سَنَةَ ٥٨ - ٦٠ م، غَيْرَ أَنَّ الْبَعْضَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ كُتِبَ قَبْلَ ذَلِكَ» انْتَهَى.

فَأَنْتَ تَرَى مِنَ التَّعْيِيرِ بِلَفْظِ التَّرْجِيحِ وَالظَّنِّ، وَمِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ سَنَةِ ٥١ و ٥٣، كَمَا فِي الْخُلَاصَةِ وَ ٥٨ و ٦٠، كَمَا أَنَّهُ لَا عِلْمَ عِنْدَ الْقَوْمِ بِشَيْءٍ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢: ٧٨) وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ بُولْسَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ هَذَا الْإِنْجِيلَ هُمُ الْمُصِيبُونَ؛ لِمُشَابَهَةِ أَسْلُوبِهِ لِأَسْلُوبِ رَسَائِلِهِ، بِاعْتِرَافِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: وَمَا تَفْعَلُ بِتَحْرِيفِهِ؟ قُلْتُ: هُوَ كَتَحْرِيفِهَا، وَتَجِدُ فِيهِ مِثْلَ مَا تَجِدُ فِيهَا مِنْ ذِكْرِ وَضْعِ بَعْضِ النَّاسِ لِأَنْجِيلٍ كَاذِبَةٍ، وَمَنْ لَنَا بِدَلِيلٍ يُثَبِّتُ لَنَا صِدْقَهُ هُوَ؟ وَأَتَى لَنَا بِتَمْيِيزِ هَذِهِ الْأَنْجِيلِ، وَمَعْرِفَةِ صَادِقِهَا مِنْ كَاذِبِهَا؟

«إِنْجِيلُ يُوْحَنَّا» تَقُولُ النَّصَارَى: إِنَّ يُوْحَنَّا هَذَا هُوَ تَلْمِيزُ الْمَسِيحِ ابْنُ زُبْدِي وَسَالُومُهُ، وَيَقُولُ أَحْرَارُ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، كَمَا فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْفَرَنْسِيَّةِ.

وَيُرَجَّحُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مِنْ تَلَامِيذِ بُولْسَ أَيْضًا، وَذَكَرَ فِي الذَّخِيرَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ فِي تَارِيخِ كِتَابَتِهِ، وَهِيَ ٦٤ و ٩٤ و ٩٧، وَأَنَّهُ كَتَبَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ لِيُثَبِّتَ أُلُوهِيَّةَ الْمَسِيحِ، وَيَسُدَّ النِّقْصَ الَّذِي فِي الْأَنْجِيلِ الثَّلَاثَةِ «إِجَابَةً لِرَغْبَةِ أَكْثَرِ الْأَسَاقِفَةِ وَنَوَابِ كَنَائِسِ آسِيَا، وَإِلْحَاحِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى مِنْ بَعْدِهِ ذِكْرًا مُحَلَّدًا».

وَمَفْهُومُ هَذَا أَنَّهُ لَوْلَا هَذَا الْإِلْحَاحُ لَمْ يَكْتُبْ مَا كَتَبَ، وَإِذَا لَبَقِيَتْ أَنْجِيلُهُمْ نَاقِصَةً، وَخَلُّوا مِنْ شُبْهَةٍ عَلَى عَقِيدَتِهِمُ الْمُعَقَّدَةِ الَّتِي لَا تُعْقَلُ؛ إِذْ لَا تَجِدُ الشُّبْهَةَ عَلَيْهَا إِلَّا فِي هَذَا الْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الْأَنْجِيلِ تَنَاقُضًا، وَنَاهِيكَ بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْوُثْنِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَقَوْلِهِ عَنِ الْمَسِيحِ إِنَّهُ إِنْ كَانَ يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ فَشَهَادَتُهُ حَقٌّ^(١٩)، ثُمَّ قَوْلِهِ عَنْهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ فَشَهَادَتُهُ لَيْسَتْ حَقًّا^(٢٠)، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ.

^{١٩} انظر إنجيل يوحنا (٨ / ١٤).

^{٢٠} انظر إنجيل يوحنا (٥ / ٣١).

وَقَالَ الدُّكْتُورُ بوسْتُ: «وَيُظَنُّ أَنَّهُ كُتِبَ فِي أَفْسَسَ بَيْنَ سَنَةِ ٧٠ و ٩٥» ثُمَّ قَالَ فِي الرَّدِّ عَلَى عُلَمَاءِ أَوْرُبَّا الْأَحْرَارِ مَا نَصَّهُ: «وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْكُفَّارِ قَانُونِيَّةَ هَذَا الْإِنْجِيلِ؛ لِكِرَاهَتِهِمْ تَعْلِيمَهُ الرُّوحِيَّ، وَلَا سِيَّمَا تَصْرِيحَهُ الْوَاضِحَ بِلَاهُوتِ الْمَسِيحِ، غَيْرَ أَنَّ الشَّهَادَةَ بِصَحَّتِهِ كَافِيَةٌ، فَإِنَّ بَطْرُسَ يُشِيرُ إِلَى آيَةٍ مِنْهُ (٢) بط ١: ١٤ قابل يو ٢١: ١٨) وَأَغْنَطِيُوسَ وَبُولِيكْرِيسَ يَقْتَضِفَانِ مِنْ رُوحِهِ وَفَحْوَاهُ، وَكَذَلِكَ الرَّسَالَةُ إِلَى دِيُوكْنِيْتَسَ، وَبَاسِيلِدَسَ وَجُوسْتِينَسَ الشَّهِيدَ وَتَانْيَانَسَ. وَهَذِهِ الشَّوَاهِدُ يَرْجِعُ بِنَا زَمَانَهَا إِلَى مُتَنَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي، وَبِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَعَلَى نَفْسِ كِتَابَتِهِ الَّذِي يُوَافِقُ مَا نَعْلَمُهُ مِنْ سِيرَةِ يُوَحَنَّا، نَحْكُمُ أَنَّهُ مِنْ قَلَمِهِ، وَإِلَّا فَكَاتِبُهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْغِشِّ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَعْسُرُ تَصْدِيقُهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَقْصِدُ أَنْ يَغِشَّ الْعَالَمَ لَا يَكُونُ رُوحِيًّا، وَلَا يَتَّصِلُ إِلَى عُلُوِّ وَعُمَقِ الْأَفْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ، وَإِذَا قَابَلْنَاهُ بِمُؤَلَّفَاتِ الْأَبَاءِ رَأَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَوْنًا عَظِيمًا، حَتَّى نَضْطَرَّ لِلْحُكْمِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَأْلِيفِ كَهَذَا، بَلْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ التَّلَامِيذِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا يُوَحَنَّا، وَيُوَحَنَّا ذَاتُهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَأْلِيفُهُ بِدُونِ إلهَامٍ مِنْ رَبِّهِ» انْتَهَى.

أَقُولُ: إِنَّ مِنْ عَجَائِبِ الْبَشَرِ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ، أَوْ يَنْقُلَهُ مُتَعَمِّدًا لَهُ، عَالِمٌ طَيِّبٌ كَالدُّكْتُورِ بوسْتِ! فَإِنَّهُ كَلَامٌ لَا يَخْفَى بُطْلَانُهُ وَتَهَاوُتُهُ عَلَى الصَّبِيَّانِ، وَلَا أَعْقِلُ لَهُ تَعْلِيلًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَصْنَعًا وَغِشًّا؛ لِإِرْضَاءِ عَامَّةِ النَّصَارَى، لَا لِإِرْضَاءِ اعْتِقَادِهِ وَوُجْدَانِهِ، أَوْ يَكُونَ التَّقْلِيدُ الدِّينِيُّ مِنَ الصَّغَرِ قَدْ رَانَ عَلَى قَلْبِ الْكَاتِبِ، فَسَلَبَهُ عَقْلُهُ وَاسْتَقْلَالَهُ وَفَهَمَهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ دِينِهِ.

وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ بِالْإِيجَازِ: إِنَّ الدُّكْتُورَ بوسْتِ مِنْ أَعْلَمِ الْأُورُوبِيِّينَ الَّذِينَ خَدَمُوا دِينَهُمْ فِي سُورِيَّةَ، وَأَوْسَعِهِمْ أَطْلَاعًا، وَهُوَ يُلَخِّصُ فِي قَامُوسِهِ هَذَا أَقْوَى مَا بَسَطَهُ عُلَمَاءُ اللَّاهُوتِ فِي إِثْبَاتِ دِينِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَرَدَّ اعْتِرَاضَاتِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهَا.

فَإِذَا كَانَ هَذَا مُنْتَهَى شَوْطِهِمْ فِي إِثْبَاتِ إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا، الَّذِي هُوَ عُمْدَتُهُمْ فِي عَقِيدَةِ تَأْلِيهِ الْمَسِيحِ؛ فَمَا هُوَ الظَّنُّ بِكَلَامِ الْمُؤَرِّخِينَ الْأَحْرَارِ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُسْتَقْلِلِينَ فِي إِبْطَالِ هَذَا الْإِنْجِيلِ؟! ابْتَدَأَ رَدَّهُ عَلَى مُنْكَرِي هَذَا الْإِنْجِيلِ بِأَنَّ بَطْرُسَ أَشَارَ إِلَى آيَةٍ مِنْهُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ، فَهَذَا أَقْوَى بُرْهَانٍ عِنْدَهُمْ عَلَى كَوْنِ هَذَا الْإِنْجِيلِ كُتِبَ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ.

فَأَوَّلُ مَا تَقُولُهُ فِي رَدِّ هَذَا الدَّلِيلِ الْوَهْمِيُّ أَنَّ رِسَالَةَ بَطْرُسَ الثَّانِيَةَ كُتِبَتْ فِي بَابِلَ سَنَةَ ٦٤ وَ ٦٨ كَمَا قَالَه صَاحِبُ كِتَابِ «مُرْشِدِ الطَّالِبِينَ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الثَّمِينِ» وَإِنْجِيلُ يُوَحْنَّا كُتِبَ سَنَةَ ٩٥ أَوْ ٩٨ عَلَى مَا اعْتَمَدَهُ بوسْتٌ وَصَاحِبُ هَذَا الْكِتَابِ وَسَائِرُ عُلَمَاءِ طَائِفَتِهِمْ (الْبُرُوتِسْتَانْتِ) فَهُوَ قَدْ أَلْفَ بَعْدَ كِتَابَةِ رِسَالَةِ بَطْرُسَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ عَلَى رَأْيِهِمْ، فَإِذَا وَافَقَهَا فِي شَيْءٍ فَأَوَّلُ مَا يَخْطُرُ فِي بَالِ الْعَاقِلِ أَنَّهُ نَقَلَهُ عَنْهَا، وَإِنْ أَلْفَ بَعْدَهَا بَعْدَ قُرُونٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهِ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْوَاهِيَةِ إِلَّا اخْتِمَالُ نَقْلِ الْمُتَأَخِّرِ - وَهُوَ مُؤَلَّفُ إِنْجِيلِ يُوَحْنَّا - عَنِ الْمُتَقَدِّمِ - وَهُوَ بَطْرُسُ - لَكَفَى، وَهُمْ جَارِمُونَ بِتَقَدُّمِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ تَارِيخٌ صَحِيحٌ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ تَارِيخٌ وَلَادَةِ إِلَهُمُ وَرَبِّهِمُ الَّذِي يُؤَرِّخُونَ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ خَطَأً، كَمَا حَقَّقَهُ يَعْقُوبُ بَاشَا أَرْتِينَ وَغَيْرُهُ.

وَنَقُولُ ثَانِيًا: إِنَّا قَابَلْنَا بَيْنَ (٢ بطرس ١: ١٤) وَبَيْنَ (يوحنا ٢١: ١٨) فَلَمْ نَجِدْ فِي كَلَامِ بَطْرُسَ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ إِشَارَةً وَاضِحَةً إِلَى مَا ذَكَرَهُ يُوَحْنَّا، فَعِبَارَةُ بَطْرُسَ الَّتِي سَمَّوْهَا شَهَادَةً لَهُ، هِيَ قَوْلُهُ: «عَالِمًا أَنَّ خَلْعَ سَكْنِي قَرِيبٌ، كَمَا أَعْلَنَ لِي رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ أَيْضًا»، وَعِبَارَةُ يُوَحْنَّا الْمُشْهُودُ لَهَا هِيَ أَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ لِبَطْرُسَ «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُنْطِقُ ذَاتَكَ، وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ، وَلَكِنْ مَتَى شِخْتُ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَكَ، وَآخِرُ يُنْطِقُكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لَا تَشَاءُ».

فَمَعْنَى عِبَارَةِ بَطْرُسَ أَنَّهُ يَسْتَبْدِلُ مَسْكَنَهُ بِاخْتِيَارِهِ، وَيَرْحَلُ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ، وَمَعْنَى عِبَارَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ إِذَا شَاحَ وَهَرِمَ يَقُودُهُ مَنْ يَحْدُمُهُ، وَيَشُدُّ لَهُ مِنْطَقَتَهُ. فَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّ بَطْرُسَ كَتَبَ هَذَا بَعْدَ يُوَحْنَّا لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَذْنَى شُبْهَةٍ عَلَى تَصْدِيقِ يُوَحْنَّا فِي عِبَارَتِهِ هَذِهِ، فَضْلًا عَنْ تَصْدِيقِهِ فِي كُلِّ إِنْجِيلِهِ. فَمَا أَوْهَى دِينًا هَذِهِ أُسُسُهُ وَدَعَائِمُهُ!...

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُ بِاقْتِطَافِ أَغْنَاطِيُوسَ، وَبُولِيكْرِيسَ مِنْ رُوحِ هَذَا الْإِنْجِيلِ فَهُوَ مِثْلُ اسْتِدْلَالِهِ بِشَهَادَةِ بَطْرُسَ لَهُ، بَلْ أَضْعَفُ؛ إِذْ مَعْنَى هَذَا الْإِقْتِطَافِ أَنَّهُ رُويَ عَنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ شَيْءٌ يَتَّفَقُ مَعَ بَعْضِ مَعَانِي هَذَا الْإِنْجِيلِ. فَإِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ هَذَا صَحِيحٌ فَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِنْجِيلَ كَانَ مَعْرُوفًا فِي زَمَنِهِمَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي لِلْمَسِيحِ؛ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَاهُ، وَلَمْ يَعْزُوا إِلَيْهِ شَيْئًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا اتَّفَقَا فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى، إِنْ صَحَّ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ كَالِاتِّفَاقِ الَّذِي ذَكَرُوهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَطْرُسَ، مُقْتَبَسًا مِنْ كِتَابٍ آخَرَ، كَانَ مُتَدَاوِلًا فِي

ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَمَا يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنَ التَّقَالِيدِ الْمُورُوثَةِ عِنْدَ بَعْضِ شُعُوبِهِ، مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ يُوحَنَّا انْفَرَدَ بِاسْتِعْمَالِ لَفْظِ (الْكَلِمَةِ) وَالْقَوْلِ بِاللَّوْهِيَّةِ الْكَلِمَةِ، وَلَمْ يُؤَثَّرْ هَذَا عَنْ غَيْرِهِ مِنْ مُؤَلِّفِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَهُمْ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِ (وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرِيَمَ) (٤: ١٧١) أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَهَذَا اللَّفْظَ مِمَّا أَثَّرَ عَنِ الْيُونَانِ وَالْبَرَاهِمَةِ وَالْبُودِيِّينَ وَقَدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ^(١)، وَبَحَثَ فِيهَا أَيْضًا (فِيلُو) الْفِيلَسُوفُ الْيَهُودِيُّ الْمَعَاصِرُ لِلْمَسِيحِ.

فَإِذَا فَارَضْنَا أَنَّ (أَغْنَاطِيُوسَ) اسْتَعْمَلَ هَذَا اللَّفْظَ وَذَكَرَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي لَا يَكُونُ هَذَا دَلِيلًا عَلَى نَقْلِهَا عَنْ يُوحَنَّا، وَعَلَى أَنَّ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا وَرِسَالَتَهُ وَرُؤْيَاهُ كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي الْقَرْنِ الثَّانِي؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ نَقَلَ ذَلِكَ عَنِ الْأُمَمِ الْوَثْنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَدِينُ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ قَبْلَ يُوحَنَّا وَقَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِذَا كَانَ الْإِتِّفَاقُ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى الَّتِي انْفَرَدَ بِهِ يُوحَنَّا عَنْ غَيْرِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَ؛ فَكَيْفَ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ فِي الْمَعْنَى الْأُخْرَى، الَّتِي لَمْ يَنْفَرِدْ بِهَا يُوحَنَّا؟.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا النَّقْدِ الْوَجِيزِ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ بوسْتُ وَسَمَاهُ كَغَيْرِهِ شَهَادَةً لِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا لَيْسَ شَهَادَةً. وَإِنَّ مَا سَمَّيْنَاهُ شَهَادَةً فَلَا مَنَدُوحَةَ لَنَا عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا شَهَادَةُ زُورٍ، وَأَمَّا زَعْمُهُمْ أَنَّ كِتَابَةَ هَذَا الْإِنْجِيلِ تَوَافَقَ سِيرَةِ يُوحَنَّا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ تَمْوِيهِ، نَقْضُهُ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّهُ هُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَيْضًا، إِلَّا بِالْإِلْهَامِ؛ إِذْ كُلُّ مُلْهِمٍ يَقْدِرُ بِإِقْدَارِ اللَّهِ الَّذِي أَلْهِمَهُ، وَلَيْسَ لِيُوحَنَّا عِنْدَهُمْ سِيرَةٌ تُثَبَّتُ أَوْ تُنْفَى.

بَقِيَ اسْتِدْلَالُهُ الْأَخِيرُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْإِنْجِيلِ بِأَنَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَلَمِ يُوحَنَّا لَكَانَ الْكَاتِبُ لَهُ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْغِشِّ؛ قَالَ: «وَهَذَا الْأَمْرُ يَعْسُرُ تَصْدِيقُهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَقْصِدُ أَنْ يَغْشَى الْعَالَمَ لَا يَكُونُ رُوحِيًّا...» الْخ.

فَنَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْإِسْتِدْلَالَ يُنْبِئُ بِسَدَاجَةِ مَنْ اخْتَرَعَهُ وَنَقَلَهُ وَغَرَارَتِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِغَبَاوَتِهِمْ، أَوْ قَصْدِهِمْ مُخَادَعَةَ النَّاسِ.

وَبُطْلَانُهُ بِدِيهِيٍّ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ لِلْمَعَانِي الرُّوحِيَّةِ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ رُوحِيًّا، وَالْكَاتِبُ فِي الْفَضَائِلِ لَا يَقْتَضِي الْعَقْلَ أَنْ يَكُونَ فَاضِلًا.

^(١) وسيأتي -إن شاء الله- نقل ما بينه -رحمه الله- عند الكلام عن ألوهية المسيح والتثليث.

وَقَدْ كَانَ فِي مِصْرَ كَاتِبٌ مِّنْ أَبْلَغِ كُتَّابِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ، وَمَعَ هَذَا وَصَفَهُ بَعْضُ عَارِفِيهِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ حُرُوفَ الْفَضِيلَةِ تَتَأَلَّمُ مِنْ لَوْكِيهَا بِفَمِهِ، وَوَحْزُهَا بِسِنِّ قَلَمِهِ».

وَأَنَّ الرُّوحَانِيَّةَ الَّتِي تَجِدُهَا فِي إِنْجِيلِ بَرْنَابَا وَمَا فِيهِ مِنْ تَقْدِيسِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ، وَمِنْ الْأَفْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ، هُوَ أَعْلَى وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي النَّفْسِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. وَيَزْعُمُونَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ غِشَّ النَّاسِ وَتَحْوِيلَهُمْ عَنِ التَّثْلِيثِ وَالشَّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ!

إِنَّ هَذَا الْمُسْلِكَ الْأَخِيرَ الَّذِي سَلَكَهُ بَوَسْتُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى صِحَّةِ نِسْبَةِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا إِلَيْهِ يَقْبَلُهُ الْمُقَلِّدُونَ لِعُلَمَاءِ اللَّاهُوتِ عِنْدَهُمْ، بِغَيْرِ بَحْثٍ وَلَا نَظَرٍ، وَالنَّاطِرُ الْمُسْتَقِلُّ يَرَاهُ يُؤَدِّي إِلَى بُطْلَانِ نِسْبَتِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَسْبَابٍ، أَهْمُّهَا ثَلَاثَةٌ:

(١): أَنَّهُ جَاءَ بِعَقِيدَةٍ وَثَنِيَّةٍ نَقَضَتْ عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الْمُقَرَّرَةَ فِي التَّوْرَةِ وَجَمِيعِ كُتُبِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ صَرَّحَ الْمَسِيحُ بِأَنَّهُ مَا جَاءَ لِيَنْقُضَ النَّامُوسَ، بَلْ لِيَتِمِّمَهُ، وَأَصْلُ النَّامُوسِ وَأَسَاسُهُ الْوَصَايَا الْعَشْرُ، وَأَوَّلُهَا وَأَوَّلَاهَا بِالْبَقَاءِ وَدَوَامِ الْبِنَاءِ، وَصِيَّةُ التَّوْحِيدِ.

(٢): مُحَالَفَتُهُ فِي عَقِيدَتِهِ وَأُسْلُوبِهِ لِكُلِّ مَا هُوَ مَأْثُورٌ عَنْ جَمَاعَتِهِ وَقَوْمِهِ قَبْلَ الْمَسِيحِ وَبَعْدَهُ.

(٣): مُحَالَفَتُهُ لِلْأَنْجِيلِ الَّتِي كُتِبَتْ قَبْلَهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، أَهْمُّهَا تَحَامِيهِ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْمَسِيحِ، مِمَّا يُنَافِي الْأُلُوهِيَّةَ؛ كَتَجَرِبَةِ الشَّيْطَانِ لَهُ، وَخَوْفِهِ مَنِ فَتَنَ الْيَهُودَ بِهِ، وَتَضَرُّعِهِ إِلَى اللَّهِ خَائِفًا مُتَأَلِّمًا؛ لِيَصْرِفَ عَنْهُ كَيْدَهُمْ وَيُنْقِذَهُ مِنْهُمْ، وَصُرَاحِهِ وَقْتَ الصَّلْبِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَسَالِيبَ الْأَنْجِيلِ وَفَحَّوَاهَا يَرَى أَنَّ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا غَرِيبٌ عَنْهَا، وَيَجْزِمُ بِأَنَّ كَاتِبَهُ مُتَأَخِّرٌ، سَرَتْ إِلَيْهِ عَقَائِدُ الْوَثْنِيِّينَ، فَأَحَبَّ أَنْ يُلَقِّحَ بِهَا الْمَسِيحِيِّينَ.

وَنَقُولُ ثَالِثًا: إِذَا فَرَضْنَا أَنَّ مُوَافَقَةَ بَعْضِ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّانِي لِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي رُوحِ مَعْنَاهُ يُعَدُّ شَهَادَةً لَهُ بِأَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي مُتَنَصِّفِ الْقَرْنِ الثَّانِي؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ الَّتِي تُثَبِّتُ أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ وَالصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِمَّا بَعْدَهُ، ثُمَّ تُبَيِّنُ لَنَا مَنْ تَلَقَّاهُ عَنْهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَوْلَادِكَ الَّذِينَ اقْتَطَفُوا مِنْ رُوحِهِ؟ !

بَعْدَ كِتَابَةِ مَا تَقَدَّمَ رَاجَعْتُ (إِظْهَارَ الْحَقِّ) فَرَأَيْتُهُ اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ إِنْجِيلَ يُوْحَنَّا لَيْسَ مِنْ تَصْنِيفِ يُوْحَنَّا، الَّذِي هُوَ أَحَدُ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ، بَعْدَةَ أُمُورٍ:

(مِنْهَا) أَسْأَلُوهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ لَمْ يَكْتُبْ مَا شَاهَدَهُ وَعَايَنَهُ، بَلْ يَنْقُلُ عَنْ غَيْرِهِ.

(وَمِنْهَا) آخِرُ فُقْرَةٍ مِنْهُ، وَهِيَ مَا أُوْرَدَنَاهُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ عَنْ أَحْوَالِ الْمَسِيحِ وَأَقْوَالِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا يُوْحَنَّا بِضَمِيرِ الْعَائِبِ، وَأَنَّهُ كَتَبَ وَشَهِدَ بِذَلِكَ، فَالَّذِي يَنْقُلُ هَذَا عَنْهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ، وَفُصِّرَ أَنَّهُ طَفِرَ بِشَيْءٍ مِمَّا كَتَبَهُ، فَحَكَاهُ عَنْهُ وَنَقَلَهُ فِي ضَمَنِ إِنْجِيلِهِ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي ادَّعَى أَنَّ يُوْحَنَّا كَتَبَهُ وَشَهِدَ بِهِ؟ وَكَيْفَ نَثِقُ بِنَقْلِهِ عَنْهُ وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُهُ، وَرِوَايَةُ الْمُجْهُولِ عِنْدَ مُحَدِّثِي الْمُسْلِمِينَ وَجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ لَا يُعْتَدُّ بِهَا أَلْبَتَّةُ!

(وَمِنْهَا) أَنَّهُمْ نَقَلُوا أَنَّ النَّاسَ أَنْكَرُوا كَوْنَ هَذَا الْإِنْجِيلِ لِيُوْحَنَّا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَلَى عَهْدِ (أَرِينْيُوسَ) تَلْمِيذِ (بُولِيكَارَبَ) الَّذِي هُوَ تَلْمِيذُ يُوْحَنَّا، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَرِينْيُوسُ بِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْ بُولِيكَارَبَ أَنَّ أَسْتَاذَهُ يُوْحَنَّا هُوَ الْكَاتِبُ لَهُ.

(وَمِنْهَا) نَقَلَهُ عَنْ بَعْضِ كُتُبِهِمْ مَا نَصَّهُ «كَتَبَ (إِسْتَادِلُنْ) فِي كِتَابِهِ: «إِنَّ كَافَّةَ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا تَصْنِيفُ طَالِبٍ مِنْ طَلَبَةِ مَدْرَسَةِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ بِلَا رَيْبٍ».

(وَمِنْهَا) أَنَّ الْمُحَقِّقَ (بَرْطَشِينِدَرَ) قَالَ: إِنَّ هَذَا الْإِنْجِيلَ كُلَّهُ، وَكَذَا رَسَائِلُ يُوْحَنَّا لَيْسَتْ مِنْ تَصْنِيفِهِ، بَلْ صَنَّفَهَا أَحَدٌ (كَذَا) فِي ابْتِدَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي.

(وَمِنْهَا) أَنَّ الْمُحَقِّقَ (كُرُوتِيَسَ) قَالَ: إِنَّ هَذَا الْإِنْجِيلَ كَانَ عَشْرِينَ بَابًا، فَالْحَقَّتْ كَنِيسَةُ أَفْسَاسَ الْبَابَ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ بَعْدَ مَوْتِ يُوْحَنَّا.

(وَمِنْهَا) أَنَّ جُمْهُورَ عُلَمَائِهِمْ رَدُّوا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً مِنْ أَوَّلِ الْفَصْلِ الثَّامِنِ . . . إلخ.

سَادِسًا^(٣): عَلِمْنَا مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ النَّصَارَى لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَسَانِيدٌ مُتَّصِلَةٌ وَلَا مُنْقَطِعَةٌ لِكُتُبِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ؛ وَإِنَّمَا بَحْثُوا وَنَقَّبُوا فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَفَلَّوْهَا فَلْيًّا لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهَا شُبْهَةً دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَهَا أَصْلًا كَانَ مَعْرُوفًا فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى لِلْمَسِيحِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا صَرِيحًا يُثَبِّتُ شَيْئًا مِنْهَا؛ وَإِنَّمَا وَجَدُوا كَلِمَاتٍ مُجْمَلَةً أَوْ مُبْهَمَةً، فَسَّرُوهَا كَمَا شَاءَتْ أَهْوَاؤُهُمْ، وَسَمَّوْهَا شَهَادَاتٍ، وَنَظَّمُوهَا فِي سِلْكِ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ أَيْضًا غَيْرَ مَقُولَةٍ عَنِ الثَّقَاتِ، ثُمَّ اسْتَنْبَطُوا مِنْ فُحْوَاهَا وَمَضَامِينِهَا مَسَائِلَ مُتَشَابِهَةً، زَعَمُوا أَنَّ كَلَامًا مِنْهَا يُؤَيِّدُ الْآخَرَ وَيُشْهَدُ لَهُ، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى ضَعْفِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ.

فَثَبَّتَ بِهَذَا الْبَيَانِ الْوَجِيزِ صِدْقَ قَوْلِ الْقُرْآنِ الْمُجِيدِ: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٥: ١٤) وَثَبَّتَ بِهِ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ؛ إِذْ لَيْسَ هَذَا مِمَّا يُعْرَفُ بِالرَّأْيِ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اهْتَدَى إِلَيْهِ بِعَقْلِهِ وَنَظَرِهِ؛ كَيْفَ وَقَدْ خَفِيَ هَذَا عَنْ أَكْثَرِ عُلَمَائِنَا الْأَعْلَامِ عِدَّةَ قُرُونٍ؛ لِعَدَمِ اطِّلَاعِهِمْ عَلَى تَارِيخِ الْقَوْمِ.

وَأَعْرَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ بَعْضَ كُتَبَاءِ الْمُصْرِيِّينَ الَّذِينَ ارْتَقَوْا بِعِلْمِهِمْ وَاخْتَبَارِهِمْ إِلَى أَرْفَعِ الْمَنَاصِبِ، سَأَلَنِي مَرَّةً: كَيْفَ نَقُولُ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ لِلنَّصَارَى كِتَابًا وَاحِدًا يُسَمَّى الْإِنْجِيلَ هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى عِيسَى، فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، مَعَ أَنَّ النَّصَارَى أَنْفُسَهُمْ يَقُولُونَ هَذَا وَلَا يَعْرِفُونَهُ، وَإِنَّمَا عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةُ أَنْجِيلٍ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِصَّةِ الْمَسِيحِ وَسِيرَتِهِ؟

فَأَجَبْتُهُ: إِنَّ الْإِنْجِيلَ الَّذِي نَسُبُهُ إِلَى الْمَسِيحِ وَنَقُولُ إِنَّهُ هُوَ مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي يُذَكِّرُ فِي هَذِهِ الْأَنْجِيلِ عَنْ لِسَانِ الْمَسِيحِ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ، إِلَى آخِرِ مَا عَلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ.

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَأَمْثَالُهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (٥: ١٤) فَأَنْتَ تَرَى مُصَدِّقَ هَذَا الْقَوْلِ بَيْنَ فِرْقِهِمْ، وَبَيْنَ دُورِهِمْ، لَمْ يَنْقَطِعْ زَمَانًا.

^٣ كل ما مضى من الكلام عن الأنجيل الأربعة؛ كان ضمن النقطة الخامسة التي قال فيها: «اختلف علماء الكنيسة وعلماء التاريخ في الأنجيل الأربعة التي اعتمدوها في القرن الرابع: من هم الذين كتبوها؟ ومتى كتبوها؟ وبأي لغة كتبت؟ وكيف فقدت نسخها الأصلية؟»، ثم عاد إلى استكمال النقاط بذكر النقطة السادسة.

سَابِعًا: أَنَّ أَحَدَ فَلَاسِفَةِ الْهُنُودِ دَرَسَ تَارِيخَ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَبَحَثَ فِيهَا بَحْثَ مُسْتَقِلٍّ مُنْصِفٍ، وَأَطَالَ الْبَحْثَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ لِمَا لِلدُّوَلِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهَا مِنَ الْمُلْكِ وَسَعَةِ السُّلْطَانِ وَالتَّبَرُّيزِ فِي الْفُنُونِ وَالصَّنَاعَاتِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي الْإِسْلَامِ فَعَرَفَ أَنَّهُ الدِّينُ الْحَقُّ فَأَسْلَمَ وَأَلَّفَ كِتَابًا بِاللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ، سَمَّاهُ «لِمَاذَا أَسْلَمْتُ» بَيَّنَّ فِيهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَزَايَا الْإِسْلَامِ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، وَكَانَ أَهَمُّهَا عِنْدَهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَهُ تَارِيخٌ صَحِيحٌ مُحْفُوظٌ، فَالْأَخِذُ بِهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ، الْمَدْفُونُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ مَثَارِ الْعَجَبِ عِنْدَهُ أَنَّ تَرْضَى أَوْرُبَةُ لِنَفْسِهَا دِينًا، تَرْفَعُ مَنْ تَنْسُبُهُ إِلَيْهِ عَنْ مَرْتَبَةِ الْبَشَرِ فَتَجْعَلُهُ إِلَهًا، وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِهِ شَيْئًا يُعْتَدُّ بِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنَاجِيلَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى عَدَمِ ثُبُوتِ أَصْلِهَا، وَعَدَمِ الثَّقَةِ بِتَارِيخِهَا وَمُؤَلَّفِيهَا، لَا تَذْكُرُ مِنْ تَارِيخِ الْمَسِيحِ إِلَّا وَقَائِعَ قَلِيلَةٍ حَدَثَتْ - كَمَا تَقُولُ - فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ. وَلَا يُذَكَّرُ فِيهَا شَيْءٌ يُعْتَدُّ بِهِ عَنْ نَشْأَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَتَرْبِيَّتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَيَّامِ صَبَاهُ وَشَبَابِهِ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤْنٌ» انتهى.

ثانياً: بعض نصوص الكتاب المقدس -بعهديه الدالة على وجود التحريف:

بعد أن أوردنا إليك -عزيزنا القارئ- بعضاً مما يدلُّ من كتابِ الله -عزَّ وجلَّ- على تحريفِ كتابهم، وذكرنا تفسيرَ علماء الأزهر لهذه النصوصِ، إليك توثيق ذلك التحريفِ من كتبهم:

أ- من العهد القديم:

لقد وردَ كثيرٌ من النصوصِ تدلُّ على وجود التحريفِ في كتب العهد القديم؛ نُوردُ بعضاً منها وفق المبدأ الوارد في إنجيل لوقا (١٩ / ٢٢): « مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ ».

١ _ جاء في (إرمياء ٨ : ٨):

(كَيْفَ تَدْعُونَ أَنْكُمْ حُكَمَاءَ وَلَدَيْكُمْ شَرِيعَةَ الرَّبِّ بَيْنَمَا حَوْهًا قَلَمُ الْكِتَابَةِ الْمُخَادِعِ إِلَى أَكْذُوبَةٍ؟) كذا في ترجمة الحياة.

وفي ترجمة فان دايك :

(كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقًّا إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوْهًا قَلَمُ الْكِتَابَةِ الْكَاذِبِ). وهذا نصٌّ واضحٌ أنَّ القلمَ الكاذبَ المُخَادِعَ حوَّلَ شريعةَ الله -عزَّ وجلَّ- إلى أكذوبةٍ!، وكيف يكون ذلك إذا لم يتدخل قلمُ الكتابةِ بالتحريفِ، والتبديلِ، والتغييرِ؟!

٢ _ وفي سفر أرمياء أيضاً (٢٣ / ٢٩ - ٣٦):

(أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَكَمْطَرَقَةٍ تُحْطَمُ الصَّخَرُ؟ ٣٠ لِذَلِكَ هَانَذَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ^(٣٣) يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَسْرِقُونَ كَلِمَتِي بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. ٣١ هَانَذَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ لِسَانَهُمْ وَيَقُولُونَ: قَالَ. ٣٢ هَانَذَا عَلَى الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ بِأَحْلَامٍ كَاذِبَةٍ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَقْصُونَهَا وَيُضِلُّونَ شَعْبِي بِكَاذِبِيهِمْ وَمُفَاخَرَاتِهِمْ وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ وَلَا أَمَرْتُهُمْ. فَلَمْ يُفِيدُوا هَذَا الشَّعْبَ فَائِدَةً يَقُولُ

^{٣٣} وفي الترجمة العربية المشتركة (فأنا خصمُ الأنبياء)، وفي ترجمة الشريف (أنا ضدَّ الأنبياء)، وكذلك في الترجمة العربية المبسطة، وفي ترجمة الحياة (ها أنا أقاوم هؤلاء الأنبياء)!.
فأني شيء هذا إن لم تكن يدُ التحريفِ؟! ومن أناسٍ معادينٍ للأنبياء، وشرائعهم -كما هو نصُّ كلامهم-.

الرَّبُّ]. ٣٣ وَإِذَا سَأَلَكَ هَذَا الشَّعْبُ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ كَاهِنٍ: [مَا وَحْيُ الرَّبِّ؟] فَقُلْ لَهُمْ: [أَيُّ وَحْيٍ؟ إِنِّي أَرْفُضُكُمْ - هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ. ٣٤ فَالنَّبِيُّ أَوْ الْكَاهِنُ أَوْ الشَّعْبُ الَّذِي يَقُولُ: وَحْيُ الرَّبِّ - أَعَاقِبُ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ. ٣٥ هَكَذَا تَقُولُونَ الرَّجُلَ لِصَاحِبِهِ وَالرَّجُلَ لِأَخِيهِ: بِمَاذَا أَجَابَ الرَّبُّ وَمَاذَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ؟ ٣٦ أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلَا تَذْكُرُوهُ بَعْدَ لَأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَفْتُمْ كَلَامَ الْإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِنَا).

وهو نص واضح لا يحتاج إلى تعليق!

٣ _ وجاء في سفر حزقيال (١٣: ٦-٩):

(رَأُوا بَاطِلًا وَعِرَافَةً كَاذِبَةً. الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ، وَانْتَظَرُوا إِثْبَاتَ الْكَلِمَةِ. ٧ أَلَمْ تَرَوْا رُؤْيَا بَاطِلَةً، وَتَكَلَّمْتُمْ بِعِرَافَةٍ كَاذِبَةٍ، قَائِلِينَ: وَحْيُ الرَّبِّ وَأَنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ؟ ٨ لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَأَنْتُمْ تَكَلَّمْتُمْ بِالْبَاطِلِ وَرَأَيْتُمْ كَذِبًا، فَلِذَلِكَ هَا أَنَا عَلَيْكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٩ وَتَكُونُ يَدِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَرُونَ الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ يَعْرِفُونَ بِالْكَذِبِ. فِي مَجْلِسِ شَعْبِي لَا يَكُونُونَ، وَفِي كِتَابِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لَا يُكْتَبُونَ، وَإِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لَا يَدْخُلُونَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ.) كذا في ترجمة فان دايك.

وفي ترجمة الحياة:

(إِنَّهُمْ يَرُونَ أَوْهَامًا، وَيَسْتَحْضِرُونَ كَذِبًا بِقَوْلِهِمْ إِنَّهَا رَسَائِلُ مِنَ اللَّهِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْهُمْ. ثُمَّ يَتَوَقَّعُونَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُتِمَّ مَا قَالُوهُ.

٧ أَيُّهَا الْأَنْبِيَاءُ الْكَاذِبَةُ، أَلَيْسَ صَحِيحًا أَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ أَوْهَامًا وَتَنَبَّأْتُمْ كَذِبًا حِينَ قُلْتُمْ هَذِهِ رَسَائِلُ مِنَ اللَّهِ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ إِلَيْكُمْ؟)»

٨ لِهَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْإِلَهِ: «سَأَقَاوِمُكُمْ لِأَنَّكُمْ تَنَبَّأْتُمْ بِالْكَذِبِ وَرَأَيْتُمْ ضَلَالًا. وَالْآنَ، اسْمَعُوا هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنَ اللَّهِ: ٩ (سَأَعَاقِبُ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ يَرُونَ أَوْهَامًا وَيَتَنَبَّأُونَ كَذِبًا. لَنْ يُشْمَلُوا فِي عِدَادِ شَعْبِي فِيهِمَا

بَعْدُ. وَلَنْ تَظْهَرَ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سِجِلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَنْ يَعُودُوا إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. حِينَئِذٍ، تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الْإِلَهُ).

والنصوص في هذا كثيرة^(٢٤) وهي أكثر بترجمات؛ وهذا كله مصداق قوله -تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

بد في العهد الجديد:

سبق أن نقلنا عن شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي قوله في تفسيره (٢/ ٢٢):
«... ليست هذه الأناجيل التي يقرؤها المسيحيون اليوم هي الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى؛ وإنما هي مؤلفات ألفت بعد عيسى - عليه السلام - ونُسبت إلى بعض الحواريين من أصحابه.
أما الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والذي وصفه الله بأنه هداية للناس؛ فهو غير هذه الأناجيل» انتهى.

وقال علامة الأزهر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- كما في تفسيره المنار (١٠/ ٢٩٧):
«وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي كُتُبِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَمِنْهَا الْأَنْجِيلُ الْأَرْبَعَةُ ذِكْرُ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، وَفِي بَعْضِهَا يُسَمَّى «إِنْجِيلَ اللَّهِ» وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّهُ لَا يُرَادُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ أَحَدُ هَذِهِ التَّوَارِيخِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تُحَدِّثُ عَنْهُ، وَفِي هَذِهِ الْكُتُبِ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ أَنْجِيلٌ كَاذِبٌ وَأَنْجِيلٌ مُحَرَّفٌ وَرُسُلٌ كَذَبَةُ، وَقَدْ فَصَّلْنَا الْقَوْلَ فِي مَسْأَلَةِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَهَذِهِ الْأَنْجِيلِ، وَأَثْبَتْنَا عَدَمَ الثَّقَةِ بِهَا، وَأَنَّ مَجْمُوعَهَا يُثَبِّتُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ الْمُتَزَّلُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّصَارَى كَالْيَهُودِ نَسُوا حَظًّا عَظِيمًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَأَتَّهَمُوا نُصِيبًا مِنْهُ، وَأَتَّهَمُوا عَقَائِدَ وَثْنِيَّ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَدَمَاءِ فِي الثَّلَاثِ» انتهى.

^{٢٤} انظر على سبيل المثال -لا الحصر-: (الملوك الأول ١٩ / ٩-١٠)، و(مزمور ٥٦ / ٤-٥)، وإشعياء (٢٩ / ١٥-١٦)، وإرميا (٢٩ / ٩-٨) و(٥ / ٣٠-٣١) و(٣٦ / ٣٢)، وغيرها.

نقول: قد وردت عدة نصوص في العهد الجديد دالة على أن هناك إنجيلًا للمسيح نفسه؛ كما أكد ذلك علامة الأزهر وشيخ مشايخه الدكتور محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية) (ص: ٥٤ وما بعدها) بعد أن ذكر الأناجيل الأربعة، وعلق عليها؛ قال:

«ولكن هل هناك إنجيل غيرها يعدُّ إنجيل عيسى؟! وهل في كتابات الباحثين من النصارى ما يدلُّ على ثبوت هذا الإنجيل، وإن كنا لا نجده؟!»

ونرى في إنجيل مرقس في الإصحاح الأول منه:

«وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يُكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل».

وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية في الإصحاح الأول منها:

«... إن إيمانكم يُنادى به في كلِّ العالم، فإنَّ الله الذي أعبدُه بروحي في إنجيل ابنه شاهدٌ لي كيف بلا انقطاع أذكركم...».

وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في إصحاحها التاسع:

«... صرْتُ للضعفاء كضعيفٍ لأربح الضعفاء، صرْتُ للكلِّ كلَّ شيءٍ لأخلص على كلِّ حالٍ قوماً، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل!، لأكون شريكاً فيه»؛ ففي هذا كله نجد كلمة "إنجيل"، أو كلمة بِشارة (وهي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية) مضافةً إلى ملكوت الله، كما في إنجيل متى ومرقس، وإنجيل الابن؛ كما في رسالة بولس إلى أهل رومية، وكلمة الإنجيل من غير إضافة كما في إنجيل مرقس، ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، ولا شك أن الإنجيل المذكور في كلِّ هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل؛ لأنَّها لا تُضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأنَّ المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل؛ كما جاء في عبارة متى التي نقلناها، ولم يكن واحداً من هذه الأناجيل قد وُجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه، وهم بعد لا يزالون في دور التعلم، ولأنَّ هذا الإنجيل قد ذُكر في هذه الأناجيل على أنَّه كان قائماً في عهد عيسى، ولأنَّه ذُكر من غير نسبة؛ كما في إنجيل مرقس، ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، وليس واحداً من هذه الأربعة تنصرف إليه

كلمة إنجيلٍ من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة بولس إلى أهل رومية منسوباً إلى المسيح الابن، وليس واحداً من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم؛ لهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحداً منها؛ كما تقضى بذلك طبيعة السياق، وكما يقضى بذلك العقل، وإذا كان الأمر كذلك، فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلاً أصيلاً نزل على عيسى، وكرّز به - على حدّ تعبيرهم -، ووعظ، ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟!.

[أقوال علماء النصرانية في إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام -]:

ولقد يمهّد لذلك الرأي، ويرشح له - أننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار - الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم، والحقائق التاريخية -؛ من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تُعتبر أصلاً لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح، وخلاصة أحواله، وهذا ترجمة ما قاله نارتن في كتاب له:

«قال أكهارن في كتابه: إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يُقال إنها هي الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعو أقوال المسيح بأذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم؛ وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب»^(٢٥).

إذن؛ فهؤلاء الأحرار يقررون: أنه كان هناك إنجيل يعدّ من المسيحية بمنزلة القلب، ولكنه غير موجود!!، فهل لنا أن نقول أن ذلك الإنجيل هو المشار إليه في أقوال متى، ومرقس، وبولس السابقة، وهو الذي نزل على عيسى، أهو إنجيله، وإنجيل الله؟ ليت!، وهل ينفع شيئاً ليت!، ليت هذا الإنجيل كان قائماً، وحرصت الكنيسة على بقاءه، وقامت بحياطته، ليكون فيصلاً بين المختلفين، وحكماً بين الفرق، والمفترقين، وليكون قسطاس المجامع القديمة والحديثة التي حكمت حين الانشقاق، وليكون

^{٢٥} ويصف الدكتور هارناك هذا الإنجيل فيقول: «والإنجيل الذي قام بتبليغه المسيح إنما كان يتعلق بالأب وحده، ولا يتعلق بالابن، وليس ذلك أمراً متضاداً، كما أنه ليس عقلائية، وإنما هو عرض بسيط ساذج للحقائق التي بينها مؤلفو الأناجيل» انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي (٢/ ٣٧٩).

مصدرًا علميًا لمن يكتب في المسيحية الأولى، ويتبعها في مدارجها في أحقاب الزمن، ومُلابسات التاريخ» انتهى.

بل نقول: إن بولس صرّح بوجود إنجيل حقيقي للمسيح يتركه الناس إلى إنجيل آخر مُزور!؛ فقال كما في (غلاطية ١ / ٦-٨) :

«إني أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر!!... يوجد قوم يريدون أن يُحوّلوا إنجيل المسيح...».

وانظر (كورنثوس الأولى ٩ / ١٢-١٤)، و(تسالونيكي الثانية ١ / ٨-٩)، و(أعمال الرسل ١٥ / ٧)، و(متى ٢٦ / ١٣)، و(مرقس ٨ / ٣٥)، و(لوقا ٥ / ١)، و(مرقس ٢ / ٢)، و(يوحنا ٣ / ٣١-٣٤)، و(١٧ / ٦-٨) و(لوقا ٨ / ٢١)، و(يوحنا ١٤ / ٢٤)، وغير ذلك من الشواهد التي تدلّ على أنه كان في عهد المسيح إنجيل له يدعو به، وإليه.

هل عند المسلمين نسخة من إنجيل المسيح؟!

دائمًا حينما نذكر ذلك للنصارى؛ يقولون لنا: فأين هو؟!

فنقول هذا سؤال يوجه لكم أنتم، وعليكم الإجابة؛ أين هو إنجيل المسيح الذي كان يدعو به وإليه؟!؛ فأنتم المسؤولون عنه ابتداءً، وانتهاءً.

وقد جاء في «دعوة الحق بين المسيحية، والإسلام» (ص: ٣٣٥)^(٢٦): «إنّه منذ فجر المسيحية، وبعد رفع المسيح، وقبل الإسلام؛ كان هناك العديد من الأناجيل، قبل المسيحيون أربعا منها فقط!!، والباقي -كما وجدنا- طُوردت، وأُحرقت، والذين طاردوها هم المسيحيون أنفسهم وأحرقوها، وليس المسلمون، ولیدلّنا سيادته (أي: القمّص باسيلوس، وهو أحد المُرددين لهذه العبارة) عليها، وحينئذ أدلّه من بينّها على الإنجيل الصّحيح، أمّا أن يحرقها المسيحيون، ثمّ يطالبون بها المسلمين!!...؛ فهذا غير معقول!!».

^{٢٦} لمنصور بن حسين، والنقل عنه بواسطة «هل العهد الجديد كلمة الله» للدكتور منقذ السقار ص: ١١٥.

بعض النصوص الدالة على التحريف في العهد الجديد:

وعلى كل حال فإن هناك نصوصاً في العهد الجديد الموجود بين يدي النصارى الآن تدلُّ على وجود التحريف للكتاب؛ وفقاً للمبدأ الوارد في إنجيل لوقا (١٩/ ٢٢): «مَنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ»، فمن ذلك:

١_ جاء في (رسالة بطرس الثانية ٢: ١): (وَلَكِنْ كَانَ أَيْضاً فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيْضاً مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ، الَّذِينَ يَدُسُّونَ بِدَعٍ هَالِكَةٍ. وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ، يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلَاكاً سَرِيعاً).

٢_ وفي (إنجيل مرقس ٧: ٦-٨) أَجَابَ: «حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشْعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمْ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتِيهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً ٧ وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. ٨ لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ وَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ».

٣_ ويقول بولس عن نفسه؛ كما في (رسالته إلى أهل رومية ٣: ٧) «فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ اِزْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَلِمَ إِذَا أَدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟».

وهذا النص وحده قاضٍ بهدم هذه الديانة من أولها إلى آخرها لمن تأملهُ، وتدبرهُ، وعرف مكانة بولس في هذه الديانة^(٢٧)، وأنها تقوم أساساً على رسائله، وتعاليمه، وإثبات نبوته، ورسالته!!، فإن كان يكذب؛ فكيف نثق في كلمة من كلامه؛ فضلاً عن كل هذا الكم الهائل من الرسائل التي تعدُّ نصف العهد الجديد!، فكيف إذا علمنا أن من تلاميذه لوقا كاتب «إنجيل لوقا» وسفر «أعمال الرسل»! ولم

^{٢٧} يقول د/ محمد الشرقاوي -رئيس قسم الفلسفة سابقاً/ كلية دار العلوم/ القاهرة - : «من الحقائق المقطوع بصحتها أن أنصار شاول الطرسوسي = أو بولس الرسول، وخصومه -وإن كانوا يختلفون من كل وجه؛ فإنهم يتفقون على أمر ذي أهمية بالغة هو أن هذه المسيحية هي مسيحية بولس...» انتهى من دراسات في الملل والنحل (ص: ١٣)، وانظر ما بعدها).

و يقول هارت: "المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح" انظر: "هل العهد الجديد كلمة الله؟! (ص: ٤٠)".

وسياتي بإذن الله فصل خاص ببولس الرسول!.

ير المسيح؛ بل تلقى علمه عن بولس!!، وبولس نفسه لم ير المسيح، ولم يؤمن به في حياته؛ بل كان أعدى أعدائه، وأعداء تلاميذه من بعده!، ويرى بعضهم أن من تلاميذ بولس -أيضا- مرقس، وعن مرقس أخذ متى، وكتب إنجيله، واعتمد عليه فيه! فما يزيد عن ثلثي الكتاب مأخوذ عن كذاب -كما حكم هو على نفسه-!، فكيف يوثق بمثل هذا الكتاب؛ ويعد كلمة الله؟!، وقد ورد فيه -كثيرا- التحذير من الأنبياء الكذبة!!!!.

ومن عجيب أمرهم أنه قد ورد في (إنجيل متى ١٧/٥-١٩): «الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء، والأرض لا يزول حرف واحد من التاموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغرا! في ملكوت السماوات»؛ فتأمل في قوله «يدعى أصغرا»، وفي الترجمة العربية المشتركة «صغيرا»، وهذا ما دعي به بولس الذي كان اسمه «شاول»؛ فلما ادعى الدخول في دين المسيح، وزعم أنه نبي مرسل!، وأخذ يغير في دين المسيح؛ دعي اسمه «بولس» يعني: «صغيرا»؛ كما ورد في «قاموس الكتاب المقدس»!!؛ فسبحان الله!، ولعل من المناسب أن نفرّد لهذا الرجل مبحثا خاصا يبين حقيقته من خلال كلامه، وكلام تلميذه لوقا عنه، والله المستعان.

وحتى تكتمل الصورة عندك -أيها القارئ الكريم- إليك شاهد على كل نوع من أنواع التحريف أي بالزيادة، والنقصان، والتغيير المتعمد، وغير المتعمد!، والتناقض الذي يُنزّه عنه كلام الله -عز وجل-، ولتعلم أن الأمثلة على كل نوع كثيرة جدا، وقد بينها علماء كثير، وللتوسع يمكنك النظر فيما دونه رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق».

مثال على الزيادة:

فقد جاء في آخر سفر التثنية الذي هو أحد الأسفار الخمسة للتوراة التي كتبها موسى -صلى الله عليه، وسلم-؛ كما يزعمون! (٣٤/٤-٦): «وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا؛ قَدْ أَرَيْتَكَ إِيَّاهَا بِعَيْنِكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَا لَا تَعْبُرُ». ٥ فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ٦ وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فُغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ».

والسؤال: مَنْ كَاتَبَ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ إِلَى يَوْمِ كِتَابَتِهِ إِيَّاهُ أَيْنَ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى؟!؛ فلا شكَّ أَنَّهُ كُتِبَ بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى!؛ فَمَنْ زَادَهُ فِي تَوْرَاتِهِ؟!
أَمْ أَنَّ مُوسَى كَتَبَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟!، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ قَبْرَهُ؟!

مثال على النقصان:

وقد ورد في سفر يوشع بن نون (١٠ / ١٣): «فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى أَنْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ».

والسؤال: أَيْنَ ذَهَبَ هَذَا السِّفَرُ = يَاشَرَ؟! إِنْهُمْ يَقُولُونَ: «هُوَ كِتَابٌ مَدَنِيٌّ قَدِيمٌ، كَانَ يَضُمُّ الْأَغَانِي الشَّعْبِيَّةَ الْمَتَدَاوِلَةَ بَيْنَ الْيَهُودِ، حَوْلَ الْأَحْدَاثِ الْهَامَّةِ دِينِيَّةً، وَمَدْنِيَّةً».

ونقول: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَفْقُودٌ؟!

ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ كِتَابًا مَدَنِيًّا، وَقَدْ ذَكَرَهُ يُشوعُ مُسْتَشْهِدًا بِمَا كُتِبَ فِيهِ؛ كُنُوءَةً؟!؛ أَتَكْتَبُ النُّبُوءَاتُ فِي الْكُتُبِ الْمَدْنِيَّةِ، وَيُسْتَشْهِدُ بِهَا؟!.

كَذَلِكَ اخْتِفَاءُ سِفْرِ الْحُرُوبِ الْمَذْكُورِ فِي (سِفْرِ الْعَدَدِ ٢١ / ١٤)!!.

مثال على التحريف غير المتعمد!

وقد ورد في (سِفْرِ الْمُلُوكِ الثَّانِي ٨ / ٢٦): «وَكَانَ أَخْزِيَا أَبْنُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَأَسْمُ أُمِّهِ عَثْلِيَا بِنْتُ عُمَرِي مَلِكِ إِسْرَائِيلَ».

ووردت نفس القصة لنفس الملك في (سِفْرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الثَّانِي ٢٢ / ٢)، ولكن مع اختلاف في عمره: «كَانَ أَخْزِيَا أَبْنُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَأَسْمُ أُمِّهِ عَثْلِيَا بِنْتُ عُمَرِي»^(٢٨).

^{٢٨} كان أبوه ابن أربعين سنة حين مات! وتولى بعده ابنه الملك متصلا فمعنى ذلك أن الابن أكبر من أبيه بعامين!!!!.

يقول الدكتور القس منيس عبد النور في كتابه «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» (ص: ١٣): «اللغتان العبرانية، واليونانية القديمة لم يكن بها الأرقام العربية، فكان العبرانيون يستخدمون الحروف الهجائية بدل الأرقام، وبعض هذه الحروف متشابهة الشكل؛ فمثلاً حرف الدال، والراء في العبرانية متشابهان كل التشابه، والباحث المخلص يجد أن غلطات كهذه يرجع سببها إلى النسخ، ولا تؤثر البتة في نص الكتاب، وتعاليمه، ويمكن النظر إليها كما ينظر إلى ما يقع من الغلطات الكثيرة في وقتنا الحاضر أثناء طباعة الكتب المختلفة، ومهما كثر عدد الغلطات المطبعية في أي كتاب فهذا لا يغير نصه، ومدلوله^(٢٩)، وعلاوة على هذا لا يلقي أحد مسؤولية خطأ كهذا على مؤلف الكتاب» أهـ.

نقول: لا إشكال عندنا أبداً في أن هذا الخطأ غير متعمد، ولكن هل تحسبون أننا إن سلمنا بعدم تعمدية يكون الأمر مُنتهياً؟! لا؛ بل هذا إقرار بوجود نوع من أنواع التحريف، وهو التحريف غير المتعمد!

مثال على التحريف المتعمد:

وقد جاء في رسالة يوحنا الأولى (٥/ ٧-٨): «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. والثلاثة هم في الواحد».

هذا النص هو أشهر النصوص؛ بل هو النص الذي يعتمدون عليه في إثبات التثليث!، وهو من ترجمة «فان دايك»، وليس له وجود في كافة التراجم الأخرى لا في الترجمة العربية المشتركة، ولا في الترجمة اليسوعية، ولا العربية المبسطة، ولا البولسية، ولا الكاثوليكية!؛ فهو في الترجمة العربية المبسطة: «هناك ثلاثة يشهدون على ذلك: الروح، والماء، والدم، وتتفق شهادات الثلاثة».

وفي ترجمة الشريف: «إذن يوجد ٣» شهود للمسيح: الروح والماء والدم، والـ ٣» متفقون».

^{٢٩} كيف الخطأ لا يغير مضمون الكتاب كله ولا مقصده العام وهو غير مقصود النص الجزئي ومعناه فلو سلم الخطأ في بعض النصوص لكان مؤداها النهائي موافق للخطأ مناقض للكتاب الأصل.

وفي الترجمة العربية المشتركة: «والذين يشهدون هم ثلاثة. ٨ الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد».

ثم جاء في هامش هذه الترجمة قولهم عن شهادة الآب، والابن، والروح القدس: «هذه الإضافة وردت في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة! اهـ».

إذن هو نص مضاف، وليس من أصل الكتاب!، ولا وجود له في أقدم المخطوطات كـ«السينائية»_ الفاتيكانية_ الأسكندرية»، وغيرها، وهذا ما بيّنته دائرة المعارف الكتابية حرف (خ) مخطوطات العهد الجديد، وتحت عنوان اختلافات مقصودة!:

«وقد حدثت أحياناً بعض الإضافات لتدعيم فكر لاهوتي، كما حدث في إضافة عبارة «والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة» (١ يو ٥: ٧) حيث إنّ هذه العبارة لا توجد في أيّ مخطوطة يونانية ترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر، ولعلّ هذه العبارة جاءت أصلاً في تعليق هامشيّ في مخطوطة لاتينية، وليس كإضافة مقصودة إلى نصّ الكتاب المقدس، ثمّ أدخلها أحد النساخ في صلب النصّ».

وقد ورد هذا النصّ في بعض الترجمات بين معكوفين [...] للدلالة على أنّه نصّ تفسيريّ، وليس من أصل الكتاب!؛ كما ورد في ترجمة الحياة، وقد نوهوا على ذلك في المقدمة.

وفي مدخل رسالة يوحنا الأولى من نسخة الرهبانية اليسوعية (ص ٧٦٤): «ولكن هناك فقرة كانت في الماضي موضوع مناظرة مشهورة، ومن الأكيد أنّها غير مثبتة؛ إنّها جملة معترضة وردت في «٥/٦-٨»، وهي التي بين قوسين في هذه الجملة: «الذين يشهدون هم ثلاثة [في السماء، وهم الآب، والكلمة، والروح القدس؛ وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون هم ثلاثة في الأرض] الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة هم متفقون». لم يرد هذا النصّ في المخطوطات في ما قبل القرن الخامس عشر، ولا في الترجمات القديمة، ولا في أحسن أصول الترجمة اللاتينية، والراجع أنّه ليس سوى تعليق كتّب في الهامش، ثم أقحم في النصّ في أثناء تناقله في الغرب».

وقد أطلنا النَّفسَ قليلاً -على خلافِ العادة- في هذا المثالِ خاصةً لأنه عُمِدَتُهُمْ في إثباتِ التثليثِ من كتابهم!، نعم؛ إنها حقيقةٌ -أخانا القارئُ- إنَّ إثباتَ التثليثِ -وهو أصلُ أصولِ عقيدتهم- من كتابهم أمرٌ متعسرٌ عليهم غايةَ التعسرِ؛ كما سيأتِيك إن شاء الله -تعالى-! (٣٠).

مثال على التناقضات (٣١):

إنَّ من أبرزِ الأمثلةِ على التناقضاتِ في العهدِ الجديد، هو نسبُ المسيح -عليه الصلاةُ، والسلامُ-!!، نعم أخانا القارئ لا تعجب هم لا يعرفون النسبَ الحقيقيَّ لربِّهم!، غيرَ أنَّه من نسلِ داودَ -عليه الصلاةُ، والسلامُ-! وذلك أن كلَّ النبوءاتِ التي وردتْ في العهدِ القديمِ عن المخلصِ! أنَّه من نسلِ داودَ -عليه الصلاةُ، والسلامُ-، ولحرصهم على إثباتِ أنَّ المسيحَ -صلى الله عليه، وسلَّم- من نسلِ داودَ -عليه الصلاةُ، والسلامُ- وقعوا في أمورٍ عجيبَةٍ من ذلك أن نسبوه لأبٍ بشريٍّ!! وهو يوسفُ النجارُ!، ثم اختلفوا في نسبِ يوسفَ النجارِ هل هو من نسلِ سليمانَ بنِ داودَ -صلى الله عليهما، وسلَّم-، أم من نسلِ ناثانَ بنِ داودَ!، وبين النسبينِ اختلافٌ عظيمٌ!، والمفترضُ إذا أرادوا أن ينسبوا المسيحَ -صلى الله عليه وسلَّم- أن يأتوا بنسبِ أمِّه الصديقةِ مريمَ -عليها السلامُ-، ولكن مريمُ البتولُ! لا تنتسبُ إلى داودَ -عليه الصلاةُ، والسلامُ-، لأنَّها لاوية؛ أي من نسلِ هارونَ -صلى الله عليه، وسلَّم- الذي هو من نسلِ لاوي وليس من نسلِ يهوذا! الذي من ولده داودَ -صلى الله عليه، وسلَّم-.

٣٠ إنَّ مما يبعثُ النَّصارى! على الإضافة، والتَّحريفِ في كتابهم أنَّه لا وجودَ لأهمِ معتقداتهم في نصوصِ كتابهم، فعقيدةُ الخطيئةِ الأصلية، والفداءِ لا وجودَ لنصٍّ صريحٍ فيها على لسانِ المسيح -عليه الصلاةُ، والسلامُ-، وعقيدةُ التجسدِ؛ كذلك لا وجودَ لها في الكتابِ، والتثليثُ، وألوهيةُ المسيح لا وجودَ لها في كلامِ المسيحِ البتَّة، كما سيأتي كلُّ ذلك -إن شاء الله-، والنُّصوصُ الصَّريحةُ في بعضِ المعتقداتِ؛ كالقيامةِ من الأمواتِ هي نصوصٌ متناقضةٌ مضطربةٌ يسقطُ بعضها بعضاً، ولذلك اضطرَّ النَّساخُ وغيرُهم من رجالِ الكنيسةِ إلى دسِّ مثلِ هذه النُّصوصِ في الكتابِ؛ كي تُسعِفُهم في تكريرِهم!، ومناظراتهم!، ويأبى الله إلا أن يفضَحَهم!.

٣١ سيأتي -إن شاء الله- المزيد من أمثلة التناقض في هذا الكتاب عند الكلام عن «تناقض الأناجيل في قصة الصلب».

فمريمُ أختُ أمِّ (يحيى=يُوحنا المعمدان)؛ كما بينه نبينا^(٣٢) - صلى الله عليه، وسلّم-، وعندهم أنها نسيبتها؛ كما في لوقا (١/٣٦): «وَهُوَذَا أَلْيَصَابَاتُ نَسِيبَتِكَ»؛ أي من نفسِ نسبِك! وأليصابات من نسب هارون في إنجيل لوقا (١/٥) الترجمة العربية المشتركة: «كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا أَسْمُهُ زَكَرِيَّا، لَهُ زَوْجَةٌ مِنْ سُلَالَةِ هَرُونَ أَسْمُهَا أَلْيَصَابَاتُ».

ولما كان الأمر؛ كذلك؛ فلن يتم لهم إثبات نسب المسيح إلى داود -عليهما الصلاة، والسلام- إلا عن طريق يوسف النجار! ولكن نسب يوسف النجار نفسه متناقض، ومختلف فيه بين إنجيل متى (١/١-١٦)، وإنجيل لوقا (٣/٢٣-٣٨)؛ فتجد في متى: يوسف بن يعقوب، وفي لوقا يوسف بن هالي؛ ثم يمتد النسب مُتغيراً -بلا شك- إلى ابني داود = سليمان، وناثان! وهذا مثال واحد على التناقضات في العهد الجديد، وهي كثيرة جداً؛ لا يتسع المجال لذكرها والله المستعان^(٣٣).

هل يوجد دليل على أن الإنجيل^(٣٤) هو كلمة الله -تعالى-؟!

بالرغم من أن النصارى ليس عندهم دليل يثبت أن هذه الكتب، والأسفار، والرسائل؛ كُتبت (بالإلهام = الوحي)، إلا أنهم يؤمنون بأنها كُتبت بإلهام من الروح القدس!.

يقول العالم الأزهرى محمد أبو زهرة في كتابه «محاضرات في النصرانية» (ص: ٧٦):

^{٣٢} انظر: صحيح البخاري رقم: (٣٢٠٧) في حديث المعراج الطويل، وفيه: "... ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْحَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ... الحديث.

^{٣٣} انظر ما كتبه رحمة الله الهندي -رحمه الله- في كتابه إظهار الحق في المجلد الأول والثاني فيما يتعلق بتحريف الكتاب.

^{٣٤} أي بأسفاره ورسائله المعروف باسم العهد الجديد، واما إنجيل المسيح المفقود فنحن نؤمن أنه كلمة الله التي أنزلها إلى عيسى عبد الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولا ننكر أن ما في أيدي القوم به أثارة مما جاء به المسيح -صلى الله عليه وسلم- كما سبق النقل عن ابن عبد الحليم الحراي.

«إِنَّ الْمَسْحِين^(٣٥) يَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ كُلَّهَا، كُتِبَتْ بِالْإِلْهَامِ؛ أَيْ بِالْوَحْيِ عَنْ طَرِيقِ الْإِلْهَامِ، وَإِنَّهَا لِذَلِكَ لَا يَأْتِيهَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا، وَلَا مِنْ خَلْفِهَا، فَهِيَ حَقٌّ، وَصَدَقُ، لِأَنَّهُ مُوْحِي بِهَا، وَسِوَاءُ فِي ذَلِكَ كُتُبُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ، سِوَاءُ أَكَانَتْ أُنَاجِيلُ، أَمْ رِسَائِلُ تَعْلِيمِيَّةً، أَمْ رِسَالَةُ النَّبُوَّةِ!!».

ولذا يقول مؤلفو موجز تاريخ الأمة القبطية في شأن الكتاب المقدس: «الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أعلن الله مشيئته، ووصاياها، وما قطعه من المواعيد، وما فرضه من المثوبة، وما فيه إرشاد للناس، وخيرهم، وخلاصهم، وما أتمه من عمل الفداء»، وبمراجعة ما كتبه شراحهم وعلمائهم نفهم أن الإلهام عندهم، هو إلهام في المضمون الرئيسي، ولذا يقول هورن: «إذا قيل: إن الكتاب المقدس أوحى بها من عند الله لا يراد أن كل الألفاظ، والعبارات من إلهام الله، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين، واختلاف بيانهم إنهم قد جَوَّزَ لهم أن يكتبوا، على حسب طباعهم، وعاداتهم، وفهوميهم؛ واستعمل علم الإلهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية، ولا يتخيل إنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه، وفي كل حكم كانوا يحكمون به».

إذن لم تكن كل الكتب المقدسة ملهمة من حيث أسلوب البيان، ومن حيث التصرف في التعبير، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معاني بل موضع الإلهام؛ فقط المعاني الرئيسية، أو الرسمية، وبقية الأفكار، والمعاني على حسب الطبائع، والإفهام، والعادات أهـ.

ونقول: إنهم لا يجدون دليلاً واحداً يثبتون به أن هذه الأسفار! كُتبت بإلهام، فكيف إذا وجد الدليل^(٣٦) على أنها رسائل، وكتب شخصية كُتبت بدافع شخصي محض؟!

فمن أظهر الأدلة على ذلك ما ورد في مقدمة إنجيل لوقا (١/ ١-٤)، فهي تبين عدداً من الحقائق المهمة المتعلقة بهذا الأمر، وسننقلها لك -أيها القارئ اللبيب- بأكثر من ترجمة؛ كي تتضح لك جملة من الحقائق المهمة في هذا الباب؛ والله المستعان.

^{٣٥} كذا والصواب النصارى؛ كما في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

^{٣٦} وفقاً للمبدأ الوارد في إنجيل لوقا (١٩/ ٢٢) «مَنْ قَمَلَ أَدِينَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ».

(١) _ترجمه فان دايك: «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَقَيَّنَةِ عِنْدَنَا، ٢ كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوِفِيلُسُ، ٤ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عَلَّمْتَ بِهِ».

(٢) _وفي الترجمة العربية المبسطة: « إِذْ حَاوَلَ كَثِيرُونَ أَنْ يُؤَرِّخُوا لِلْأَحْدَاثِ الَّتِي حَصَلَتْ فِيهَا بَيْنَنَا. ٢ وَهِيَ الْأَحْدَاثُ الَّتِي نَقَلَهَا إِلَيْنَا الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ كَانُوا شُهُودَ عَيَانٍ لَهَا مُنْذُ الْبِدَايَةِ، وَخُدَّامًا يُعْلِنُونَ رِسَالَةَ اللَّهِ لِلنَّاسِ. ٣ وَحَيْثُ إِنِّي قَدْ تَحَقَّقْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِدَقِّقَةٍ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ، يَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ ثَاوِفِيلُسُ، وَصَفًا مُتَسَلِّسًا لِتِلْكَ الْأَحْدَاثِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ، ٤ لِكَيْ تَتَيَقَّنَ مِنْ أَنَّ مَا تَعَلَّمْتَهُ صَحِيحٌ».

(٣) _وفي الترجمة العربية المشتركة: « لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَخَذُوا يُدَوِّنُونَ رِوَايَةَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَنَا، ٢ كَمَا نَقَلَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْبَدْءِ شُهُودَ عَيَانٍ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا، بَعْدَمَا تَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَصُولِهِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَهَا إِلَيْكَ، يَا صَاحِبَ الْعِزَّةِ ثَاوِفِيلُسُ، حَسَبَ تَرْتِيبِهَا الصَّحِيحِ، ٤ حَتَّى تَعْرِفَ صِحَّةَ التَّعْلِيمِ الَّذِي تَلَقَّيْتَهُ».

(٤) _وفي ترجمة الحياة: «لَمَّا كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَقْدَمُوا عَلَى تَدْوِينِ قِصَّةٍ فِي الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَنَا، ٢ كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْبِدَايَةِ شُهُودَ عَيَانٍ، ثُمَّ صَارُوا خُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا، بَعْدَمَا تَفَحَّصْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ تَفْحُصًا دَقِيقًا، أَنْ أَكْتُبَهَا إِلَيْكَ مُرْتَبَةً يَا صَاحِبَ السُّمُوِّ ثَاوِفِيلُسُ ٤ لِتَتَأَكَّدَ لَكَ صِحَّةُ الْكَلَامِ الَّذِي تَلَقَّيْتَهُ».

(٥) _وفي ترجمة الشريف: «كَثِيرُونَ أَخَذُوا يُسَجِّلُونَ قِصَّةَ الْأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ عِنْدَنَا ٢ كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ هُمْ شُهُودُ عَيَانِ الْكَلِمَةِ وَخُدَّامُهَا الْأَصْلِيُّونَ. ٣ لِذَلِكَ، بِمَا أَنِّي أَنَا نَفْسِي فَحَصْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِدَقِّقَةٍ مِنَ الْبِدَايَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أَكْتُبَهَا لَكَ مُرْتَبَةً، أَيُّهَا الْعَزِيزُ حَبِيبُ اللَّهِ، ٤ لِكَيْ تَعْرِفَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا هِيَ عَلَى أَسَاسٍ صَحِيحٍ».

(٦) _ وفي الترجمة البولسية: « إِذْ كَانَ الْكَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا فِي إِنْشَاءِ رِوَايَةٍ لِلْأَحْدَاثِ الَّتِي جَرَتْ فِي مَا بَيْنَنَا، ٢ عَلَى حَسَبِ، مَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا، مُنْذُ الْبَدْءِ، شُهُودَ عَيَانٍ، ثُمَّ صَارُوا خَدَامًا لِلْكَلِمَةِ، ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا، بَعْدَ إِذْ تَحَقَّقْتُ بِدَقَّةٍ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، مِنْ الْبَدْءِ، أَنْ أَكْتُبَهَا إِلَيْكَ، بِحَسَبِ تَرْتِيبِهَا، أَيُّهَا الشَّرِيفُ ثَاوُفِيلُسُ، ٤: لِكَيْ تَعْرِفَ جَيِّدًا قُوَّةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي وَعِظْتَ بِهِ ».

وَلَعَلَّ الْقَارِئَ اللَّيِّبَ ظَهَرَ لَهُ الْآنَ مَا نَرِيدُ بَيَانَهُ، فَقَدْ اتَّفَقَتِ التَّرَاجُمُ عَلَى عِدَّةِ أُمُورٍ مِنْهَا:

- (أ) _ أَنَّ الَّذِينَ كَتَبُوا الْأَنَاجِيلَ (كُثُرٌ) لَيْسُوا أَرْبَعَةً فَقَطْ ^(٣٧).
- (ب) _ أَنَّ الدَّفَاعَ لِكِتَابَةِ هَذِهِ الْأَنَاجِيلِ هُوَ دَافِعٌ شَخْصِيٌّ؛ وَلَيْسَ مَسَاقًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ!.
- (ج) _ أَنَّهَا كُتِبَتْ بِتَتَبُعٍ، وَتَفْحَصٍ، وَتَدْقِيقٍ؛ وَلَيْسَ إِلْهَامًا.
- (د) _ أَنَّهَا رِسَائِلُ شَخْصِيَّةٌ لِرَجُلٍ مَجْهُولِ الْهُيُوتِ؛ اسْمُهُ « ثَاوُفِيلُسُ ».
- (هـ) _ أَنَّ كَاتِبَهَا لَمْ يَكُنْ شَاهِدَ عَيَانٍ؛ فَهُوَ لَيْسَ مِنْ تِلَامِذَةِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ -؛ بَلْ نَقَلَهَا بَسْنَدٌ مَنْقُطَعٌ لَا يُدْرَى عَمَنْ هُوَ، فَضْلًا عَنْ مَعْرِفَةِ الْكَاتِبِ الْأَصْلِيِّ؛ لِهَذِهِ الْأَنَاجِيلِ؟!.
- ثُمَّ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُتَرْجِمِينَ (بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ - أَنْ يُؤَرِّخُوا لِلْأَحْدَاثِ - يُدَوِّنُونَ رِوَايَةً - تَدْوِينِ قِصَّةٍ - يُسَجِّلُونَ قِصَّةَ الْأُمُورِ - إِنْشَاءَ رِوَايَةٍ)، فَلَا تَعْدُو هَذِهِ الْأَنَاجِيلُ - وَمِنْهَا الْأَنَاجِيلُ الْأَرْبَعَةُ - أَنْ تَكُونَ قِصَّةً، أَوْ رِوَايَةً، أَوْ تَأْرِيجًا لِبَعْضٍ مِنْ حَيَاةِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ -! لَيْسَ إِلَّا، فَلَيْسَتْ كِتَابًا مُنْزَلًا مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا وَحِيًّا، وَلَا إِلْهَامًا، وَلِذَلِكَ نَجِدُ فِيهَا التَّنَاقُضَ، وَالْاضْطِرَابَ، وَالْاِخْتِلَافَ!؛ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

^{٣٧} ولكن الكنيسة بعد مجمع نيقية ٣٢٥ م، أخذت في محاربة هذه الأنجيل! وإحراقها، لا سيما كل ما يعارض ما تعتقده من عقائد منها إنجيل برنابا!، وتركت فقط أربعة من الأنجيل هي التي توافق معتقدتهم ومعتقد المؤسسة لهذه الديانة! «بولس الطرسوسي»، ولأن هذه الأنجيل من وضع البشر ففيها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير، مما أوقع الكنيسة في حرج شديد لا سيما بعد الاطلاع العام من سائر الناس عليها!.

ولم يدع واحدٌ من مؤلفي هذه الأسفار أَنَّهُ كتبَ هذا بإلهامٍ، أو مُساقًا مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ غيرَ ظَنٍّ ظَنَّهُ بُولَسُ!!؛ فيقولُ كما في كورنثوس الأولى (٧/ ٤٠): « وَأَظُنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ »؛ فهو مُجْرَدُ ظَنٍّ لا يرقى للتعويلِ عليه!، فكيفَ، وهو ظَنٌّ مِنْ رَجُلٍ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ -اعترافًا بالكذبِ؛ بل بتحريه-؛ كما في (رسالته إلى أهلِ رومية ٣: ٧) « فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ ازدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَلِمَ أَذًا أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟ ».

والنَّاطِرُ في رسائلِ، وأسفارِ العهدِ الجديدِ يجدُ أَنَّها رسائلُ شخصيةٍ مُحضَّةٌ، مليئةٌ بالسَّلَاماتِ، والقبَلاتِ، والتَّهاني، والترحيباتِ، والأمورِ الشَّخصيةِ التي لا علاقةَ لها بالرسالةِ، والتَّاموسِ!! وانظرْ على سبيلِ المِثَالِ لا الحصرِ: كورنثوس الأولى (١٦/ ١٩-٢٠)، تيموثاوس الثانية (٤/ ١٣-٢١)، ورومية (١٦/ ١ / ٢١)، ورسالة يوحنا الثانية (١/ ١٣)، وغيرها الكثير.

ولذلكَ أنكرَ المُحققونَ مِنْ علمائهم أن يكونَ هذا الكلامُ مكتوبًا بإلهامٍ؛ «يقولُ مؤلفو الترجمة المسكونية: «جمعُ المُبشرونَ، وحرَّروا، كُلٌّ حسبَ وجهةِ نظرِهِ الخاصَّةِ ما أعطاهم إِيَّاهُ التَّراثُ الشَّفهيُّ»؛ فليسَ ثمةَ إلهامٌ إذن!!».

ويقولُ لوثرُ مؤسسُ مذهبِ البرُتستانت عن رسالةِ يعقوبَ: «إِنَّهَا كَلَاءٌ»^(٣٨).. هذه الرِّسالةُ وإنَّ كانتَ ليعقوبَ... إنَّ الحوارِيَّ ليسَ لَهُ أن يُعَيَّنَ حكمًا شرعيًّا مِنْ جانبِ نَفْسِهِ، لأنَّ هذا المنصبَ كانَ لعيسى -عليه السَّلَامُ- فقط!!؛ فقولُ لوثر هذا، يفهمُ مِنْهُ عَدَمُ اعتباره ليعقوبَ الحوارِيَّ مُلهِمًا.

ويقولُ ريس في دائرة معارفِهِ: «والكُتُبُ التي كتبَهَا تلاميذُ الحواريينَ -مثلُ إنجيلِ مُرقسَ، ولوقا، وكتابِ الأَعْمَالِ - توقفَ ميكائيلس في كونها إلهاميةً!».

ويتحدَّثُ حبيب سعيد عن تشابهِ رسائلِ بولسَ بالرسائلِ التي كانَ يكتبُها اليونان حينذاك مِنْ حيثُ ديباجتُها، وخاتمُها، وصياغَتُها مُنبهًا إلى حقيقةِ هامةٍ، وصحيحةٍ عن بُولَسَ: «لم يَدِرْ بخلدِهِ عِنْدَ

^{٣٨} أي: لا اعتداد بها.



كتابتها -أو على الأصح عند إملائها- أنه يسطر ألفاظاً ستبقى ذخراً ثميناً تعتز به الأجيال القادمة.. وقد كتب رسائله بموحيات الساعة الناشئة عن حاجات عاجلة حاتمة^(٣٩)، وباللعب بولس لا يعلم بقدسية كلماته، بينما النصارى يناضلون عن هذه القدسية، وينسبون إليه ما لم ينسبه هو لنفسه!.

وفي الفاتيكان شكّل البابا جون لجنةً لدراسة الإنجيل برئاسة العلامة الشاب هانز كونج، وبعد دراسة متأنية، قررت اللجنة: «أنّ الإنجيل كلام بشر، وأنّه لا يوجد دليل على أنّ الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله»^(٤٠).

والذي يؤكد أنه كذلك ما سيأتيك في المبحث التالي -إن شاء الله-

^{٣٩} سيرة بولس الرسول، حبيب سعيد، ص: (١٢١).

^{٤٠} انظر هل العهد الجديد كلمة الله، للدكتور منقذ محمود السقار، ص: (٣٠).

حقيقة الكتاب المقدس:

قال العالم الأزهرى الدكتور محمد جميل غازي في «مناظرة بين الإسلام والنصرانية»^(١)
(ص: ٢٧٨):

«إنَّ هذا الكتاب مليءٌ بأمورٍ تتعارض مع (الهداية) التي هي الهدف الأول من إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ويكفي أن نلقي نظراتٍ عابرةً على ما جاء في «سفر نشيد الإنشاد» الذي يُعتبرُ سفرًا غزليًا، تتردُّ في فقراته عباراتٌ من الأدب المكشوف العاري... فهو يصفُ خفايا جسد المرأة، بأسلوبٍ مُسفٍ فاحشٍ؛ إذ يقول- في (الإصحاح الثالث: ١ - ٥): «في الليل، على فراشي، طلبتُ من تحبُّه نفسي، طلبته؛ فما وجدته، إنِّي أقومُ، وأطوفُ في المدينة، في الأسواق، وفي الشوارع أطلبُ من تحبُّه نفسي، طلبته؛ فما وجدته، وجدني الحرس الطائفُ في المدينة، فقلتُ: أرايتم من تحبُّه نفسي، فما جاوزتهم إلا قليلًا حتى وجدتُ من تحبُّه نفسي، فأمسكته، ولم أرخه، حتَّى أدخلته بيتَ أمِّي، وحجرةً من حبلت بي، أحلفكن يا بنات أورشليم، بالطَّباء، وبأيائل الحقل ألا تُيقظن، ولا تُنبهن الحبيب حتَّى يشاء!!».

ويقول الإصحاح الرابع من هذا السفر: (١ - ٧): «ها أنتِ جميلةٌ يا حبيبتى، ها أنتِ جميلةٌ، عيناكِ حمامتان من تحت نقابكِ»^(٢)، شعركِ كقطيعٍ معزٍ رابضٍ على جبلٍ جلعاد، أسنانكِ كقطيعِ الجرائر الصادرة من الغسل اللواتي كلُّ واحدةٍ متمم، وليس فيهنَّ عقيمٌ، شفتاكِ كسلكةٍ من القرمز، وفمكِ

^(١) وهي مناظرة وقعت في السودان لنخبة من علماء المسلمين بدعوة من بعض قساوسة ومبشرين في الفترة من ٢٣ / ١ / ١٤٠١ هـ إلى ٢٩ / ١ / ١٤٠١ هـ، الموافق ١ / ١٢ / ١٩٨٠ م إلى ٧ / ١٢ / ١٩٨٠ م، بالخرطوم. وقد مثل الجانب الإسلامي كلا من الشيخ الدكتور الأزهرى محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد (قسيس سابقا) واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب.

وفي الجانب النصراني برئاسة البشير جيمس بخيت سليمان والأستاذ تيخا رمضان. ولو لم يكن فيه من الفائدة إلا إعلان هؤلاء القساوسة دخولهم في الإسلام والتبرؤ من أفكار النصرانية المضللة بعد نقاش طويل واقتناع تام لكفى نصرا للإسلام والمسلمين.

^(٢) نعم عزيزنا القارئ إن النقاب والحجاب من شريعة اليهود والنصارى، وليس أمرا خاصا بالمسلمين، ولكنه في حق المسلمين فقط تخلف ورجعية عند دعاة العلمانية!

حلّو، خدك كفلقة رمانة تحت نقابك، عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة... ثدياك كحشفتي ظبية
توأمن يرعان بين السوسن، إلى أن يفيح النهار، وتنهزم الظلال؛ أذهب إلى الجبل المرّ، وإلى تل اللبان،
كلّك جميل يا حبيتي ليس فيك عيبة.

ويقول الإصحاح السابع من السفر نفسه: (١ - ١١): «ما أجمل رجلتك بالتعلين يا بنت الكريم،
دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع، سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك
صبرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كحشفتين توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاج... ما أجملك!،
وما أحلاك! أيتها الحبيبة بالذات، قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد، قلت: إنني أصعد إلى
النخلة، وأمسك بعدوقها، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم، ورائحة أنفك كالنّفاحة، وحنكك كأجود
الخمر - لحبيبي السائغة المرققة السائحة على شفاه النائمين.

أنا لحبيبي، وإلى اشتياقه، تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل، ولنبت في القرى... هناك أعطيك
حبي.

أهذا كتاب دين، وهداية، أم ماذا؟!

أهذا هو القصص الحق؛ الذي يهدي إلى صراط مستقيم؟!

وإذا تركنا هذا الجانب الجنسي الطافح بالنزوة والشهوة^(٤٣) إلى غيره من جوانب التناقض
والتعارض، والتضارب، فإننا نجد ما لا يُصدقه عقل، ولا يُقرّه منطق!.

^{٤٣} ما نقله الشيخ -رحمه الله- هين!! وهناك أمور يشيب لها الوليد! والأمثلة عليها أكثر من أن يحصرها كتيب كهذا ولكن نكتفي بالإشارة
إلى بعضها: فمن ذلك ما ورد في شأن نبي الله داود مما ينزه عنه -صلى الله عليه وسلم- مع زوجة أوريا كما في سفر صموئيل الثاني
الإصحاح الحادي عشر، وأساء الألفاظ الجنسية في سفر حزقيال الإصحاح الثالث والعشرون، وغير ذلك، ولم ننقل النصوص حياء
مما جاء فيها من ألفاظ فاضحة لا نقول نخدش الحياء بل تنتهكه انتهاكا!!.

وحينما نعرض ذلك على النصارى يقولون إنه كلام روحي؟!، والسؤال: ألم يجد ربكم كلاما آخر يعبر به عن المعاني الروحية غير ما
يخدش الحياء ويثير الشهوة!!!?

إنَّ هذه التَّنَاقُضَاتِ تَوَكَّدُ شَيْئًا هَامًّا، وَخَطِيرًا، هُوَ نَفْيُ صِفَةِ الْوَحْيِ عَنْ هَذِهِ الْأَسْفَارِ، الْقَدِيمِ مِنْهَا، وَالْجَدِيدِ...!

وَتَعَالَى مَعِيَ نَنْظُرُ صِفَاتِ اللَّهِ -جَلَّ، وَعَلَا- فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ:

(١) -اللَّهُ يَحْزَنُ، وَيَنْدَمُ، وَلَهُ قَلْبٌ -تَعَالَى رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ- : «فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنْ عَمَلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ؛ فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِهِ، وَدَبَابَاتِهِ، وَطُيُورِ السَّمَاءِ؛ لِأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمَلْتُهُمْ»^(٤) (سفر التكوين ٦: ٦-٨).

(٢) -اللَّهُ يَعِزُّهُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ: «وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ -أَيْضًا- مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ تَصَوَّرَ قَلْبَ الْإِنْسَانِ شَرِيرٌ مِنْذُ حَدَاتِهِ، وَلَا أَعُودُ -أَيْضًا- أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ؛ كَمَا فَعَلْتُ» (سفر التكوين ٨: ٢١).

فَكَأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا - حَزَنَ أَوَّلًا، وَتَأَسَّفَ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ!؛ فَأَهْلَكَهُ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ!.

ثُمَّ عَادَ؛ فَندَمَ مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّهُ أَهْلَكَهُ؛ وَقَرَّرَ؛ أَلَّا يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى!.

وهكذا تعرَّضَ الْأَسْفَارُ الْمُتَنَاقِضَةُ، صُورَةً مُتَنَاقِضَةً لِإِلَهٍ مُتَنَاقِضٍ!!

اللَّهُ يَتَذَكَّرُ عَهْدَهُ مَعَ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ «قَوْسٍ قَزَحٍ»: «وَصَنَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ؛ فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقِي بَيْنِي، وَبَيْنَ الْأَرْضِ، فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرَ سَحَابًا عَلَى الْأَرْضِ، وَيُظْهِرُ الْقَوْسَ فِي السَّحَابِ إِنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي، وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ، فَلَا تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا؛ لِتَهْلِكَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ، فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ أَبْصَرُهَا؛ لِأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللَّهِ، وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الْأَرْضِ» (سفر التكوين ٩: ١٣-١٦).

^٤ ليس الإشكال في مجرد نسبة الحزن والندم إلى الله -عز وجل- فقط، بل هذا يدل على عدم علمه للغيب، إذ لا يندم إلا من لم يعلم ماذا يترتب على فعله، فيحدث له عكس ما كان ينتظر!!!، تعالى الله عن إفكهم، مع أن في كتابهم في سفر العدد (٢٣/ ١٩): «لَيْسَ اللَّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ، وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟» فهذا من التناقض الذي ينزه عنه كلام الله.

وهكذا وضع سفرُ التكوين يدنا على أسرار علمية جديدة لقوس قزح. . . إن الله جعل هذا القوس الذي يظهر في السماء بألوانه الزاهية في الأيام المطيرة ليذكره بميثاقه مع بني آدم، حتى لا ينسى، فيتكرر الطوفان الرهيب مرة أخرى. !!

ومرة أخرى نستغفر الله، ونتوب إليه، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. !

الله يغار من الإنسان: «وكانت الأرض كلها لساناً واحداً، ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك، وقال بعضهم هلم نصنع لبناً ونشويه شياً، فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين، وقالوا: هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداءؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض» (سفر التكوين ١١: ١-٩).

أسمعتكم؟ أقرأتم. . . إن الله غار من خلقه حينما هموا ببناء مدينة وبرج!! فدمر عليهم وبلبل ألسنتهم!!

ولست أدري. . كيف تم بناء المدن الكبار، والأبراج الضخمة، وناطحات السحاب ألم يكن في هذا العمران الحديث الضخم، ما يثير غيرة إله الكتاب المقدس!

الله يحرض على السرقة: «ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة أيضا أجلب على فرعون وعلى مصر، بعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام، تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين» (سفر الخروج ١١: ١-٢).

«وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين» (سفر الخروج ١٢: ٣٥-٣٦).

فالرب- عند كتبة هذه الأسفار ورواة هذه الأخبار- هو الذي حرض بني إسرائيل على السرقة، وعلمهم كيف يسطون فيسرقون ذهب المصريين، وفضتهم، وأمتعتهم، قبل خروجهم من مصر مع موسى!!!

الله يصارع يعقوب: «بقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعه معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركني فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنييل قائلا لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسي» (سفر التكوين ٣٢: ٢٤-٣٠).

يدعي كتبة الأسفار- كما يؤكد هذا النص- أن يعقوب صارعه الله حتى غلبه، ولم يطلقه من قبضته إلا بعد أن باركه...!

وإذا كانت هذه هي الصورة التي يرسمها خيال كتبة الأسفار لإلههم ومعبودهم...!!^(٤٥)

فإن كتبة الأسفار يقدمون صوراً بلهاء شوهاء لأنبياء الله ورسله!!

صورة شوهاء لأنبياء الله ورسله في العهد القديم!!

«ولم يكن العهد الجديد في وصف الله أحسن حالا بل إنه تجرأ على الله أعظم من ذلك ووصفه بأقبح الأوصاف والتشبيهات، فمن ذلك: أنهم وصف الله بأنه خروف تعالى الله عن إفكهم! «هؤُلاءِ سَيَحَارِبُونَ الْخُرُوفَ، وَالْخُرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوتُونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ» (رؤيا يوحنا ١٧ / ١٤)، وفي نفس السفر (٥ / ٦): «ونظرت فرأيت في الوسط بين العرش والكائنات الحية الأربعة والشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح. وكانت له سبعة قرون وسبع أعين تمثل أرواح الله السبعة التي أرسلت إلى الأرض كلها»، والله إن الإنسان لا يقبل أن يقال له يا ابن الخروف!، فكيف لو قيل له: يا عابد الخروف؟!!!!.

... لوط جاء عنه في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه، فنحیی من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضا فادخلي واضطجي معه، فتحیی من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما» (سفر التكوين ١٩: ٣٠-٣٦).

وإنه - على الرغم - مما تشتمل عليه هذه الأسطورة من كذب وافتراء ومستحيل، غير أنني أسأل:

- ما هي الحكمة، والعظة، التي يمكن أن يستفيدوا قراء كتاب مقدس... من قراءة هذه القصة؟

- وإذا كان الأنبياء بهذه المثابة، وهم حملة كلمة الله الهادية، فماذا بقي للفساق والسفهاء؟

كيف يخاطبون الله:

وإذا رحنا نقلب صفحات هذه الأسفار لتتعرف منها على آداب الدعاء والضراعة. . فإننا نجد

عجبًا!!

إن الخطاب مع الله يتسم بالجرأة والاثام، وقرأ معي هذا النص الواحد من عشرات النصوص:

في سفر الملوك الأول أن إيليا (إلياس) النبي خاطب الله - يقول السفر: «وصرخ إلى الرب وقال:

أيها الرب إلهي، أأيضا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها أسأت بأماثتك ابنها» (١٧: ٢٠) انتهى.

ولم يذكر الشيخ - رحمه الله - ما حدث مع داود وزوجة أوريا!!، ولعله استحيى من ذكره!، وعلى

كل حال فإن هذا كله - وكثير غيره - يبين لك أيها القارئ الفطن، ويثبت تحريف الكتاب المقدس عند

النصارى، والكتاب هو الأساس الذي يُبنى عليه بناء العقيدة، وفساد الأساس يلزم منه فساد البناء

كله، فما بني على باطل فهو باطل، ولا يعني ذلك أننا سنتوقف بك عند هذا الحد!؛ بل إننا سنستمر في

عقيدة النصارى في ميزان الإسلام من كلام علماء الأزهر

بيان فساد عقيدتهم وذلك من خلال الآيات القرآنية وتفسيرها عند علماء الأزهر — رحمهم الله، وتوثيق ذلك من كتبهم أنفسهم؛ والله الموفق والمستعان.

الفصل الثاني: قضية الصلب، والفداء

إنَّ من أهم القضايا في عقيدة النصارى؛ قضية الصلب والفداء وقيامه الإله -إلهم- من الأموات!، بل هي مرتكز عقيدتهم؛ فمن أجلها ادَّعوا الله -سبحانه- الولد!، وأن هذا الولد إله من إله!!، وأنه نزل وتجسد في شكل إنسان!!، فحلَّ اللاهوت بالناسوت!، ثم صلب هذا الإله! فداء للبشرية من الخطيئة الأصلية! التي توارثها الناس من أبيهم آدم -صلى الله عليه وسلم- بزعمهم-!!، وعليه فإن هذه العقيدة هي من أهم عقائد النصارى؛ بل هي أساسها بحيث إذا سقطت سقط البناء كله؛ كما قال بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس (١٥ / ١٤ - ١٧): «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم، ١٥ ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقَمِّه... ١٧ وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم!».

ولما كانت هذه العقيدة -كسائر عقائدهم- لا تثبت بالعقل -ولا يمكن ذلك!-، كان مستندهم فيها نصوص الكتاب -الذي ثبت في المبحث السابق ثوبتا قطعيا تحريفه وزيفه-، بحيث لا تقوم بعد ذلك قائمة لهذا المعتقد، ولكننا لن نتوقف كما قلنا عند حدود ذلك بل سنسوق للقارئ الفطن بيان حكم الإسلام على هذا المعتقد كما وعدنا من قبل، فما هو حكم الإسلام على مرتكز عقيدتهم؟!

إن هذا المرتكز الذي تقوم عليه عقيدتهم قد جاء القرآن بإبطاله صراحة عقلا ونقلا، والحق أن نفي القرآن لصلب المسيح من آياته ودلائل صدق نبيه -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث يتضمن ذلك الرد على قولهم -الذي حكايته تكفي لرده-: «إن القرآن كلام محمد [صلى الله عليه وسلم] وأنه أفاده من الكتاب المقدس بزعمهم»!.

فإنه جاء وأهل الكتاب مجمعين على صلب المسيح، ولكنه صرح بكل قوة بنفي ذلك وتكذيبه، ولو كان من عند البشر؛ لكان من العقل والحكمة عندئذ أن يوافق ما أجمعوا عليه -أو على الأقل يسكت عنه- تخفيفا من حدة الخلاف وتأكيذا على صدقه وموافقته لهم، وبهذا يستميلهم! وحاشاه.

غير أنه كلام رب البشر -سبحانه- والذي يقوم على إحقاق الحق وإبطال الباطل سواء كان هذا الباطل مسلماً به عند الناس أو لا .

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكْرُوهًا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مُمِطِّهِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

فقد بين -سبحانه- في هذه الآيات بيانا شافيا واضحا لا لبس فيه أن الصلب لم يقع على عيسى -صلى الله عليه وسلم-، بل وبين أيضا أنهم هم في أنفسهم في شك من ذلك، وقد وضع ذلك علماء الأزهر، وهو كذلك الواضح من كتبهم -كتب أهل الكتاب من النصارى- بجمع رواياتها وتفسير بعضها ببعض.

وإليك بعض ما ذكره علماء الأزهر في تفسير هذه الآيات:

١ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكْرُوهًا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مُمِطِّهِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٥].

قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط لهم (١/ ٥٧٥):

«قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: المعنى: قال ابن عباس في تفسيرها: لما أراد ملك بني إسرائيل قتل عيسى - عليه السلام - دخل - أي: عيسى - خوخة فيها كوة، فرفعه جبريل - عليه السلام - من الكوة إلى السماء؛ فقال الملك لرجل خبيث منهم: ادخل عليه فاقتله؛ فدخل الخوخة، فألقى الله عليه شبه عيسى - عليه السلام -؛ فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت؛ فقتلوه وصلبوه، ظنا منهم أنه عيسى.

وقد جاء في إنجيل «برنابا» ما يصدق هذا المروي عن ابن عباس، وزاد على ذلك: أن هذا الخبيث هو «يهوذا»، وكان من الحواريين المنافقين، وهو الذي دُهِمَ على مكانه، وذلك أن عيسى جمع الحواريين تلك الليلة، وأوصاهم وقال: ليكفرن بي أحدكم؛ فذهب يهوذا إلى ملك اليهود وأخبره بمكانه، ومكان حواريينه؛ فلما توجه إليه الملك برجاله ودخلوا عليه البيت، لم يجدوه، فقد رفعه الله إليه، وألقى شبه عيسى على يهوذا؛ فأمر الملك بقتله.

فقال له: أنا يهوذا؛ فقال الملك: إن كنت يهوذا؛ فأين عيسى؟ فقال يهوذا: إن كنت عيسى؛ فأين يهوذا؟! فلم يعبا الملك بهذه المعارضة، وصلبه لشبهه بعيسى.

ومن العجيب أن النصارى لا يعترفون بهذا الإنجيل، مع أنه وجد بمكتبه باب روما، وترجم إلى اللغة الإيطالية، ثم إلى الإنجليزية، وغيرها من لغات العالم، ولم يوجد بالعربية إلا بعد ترجمته من الإنجليزية أخيراً!!^(٤٦)

بل من الأعجب أن النصارى لا يعترفون بهذا الإنجيل لمجرد مخالفته لما هو عليه من الأناجيل الأخرى؛ وليس ما عندهم من تلك الأناجيل ما هو أولى بالتصديق منه، لأنها ليس فيها ما يرجحها عليه، بل إن العكس هو الصحيح^(٤٧).

^{٤٦} فلا علاقة للمسلمين به، كما يحاول بعض النصارى إلصاقه بالمسلمين، لأن فيه التبشير بمحمد - صلى الله عليه وسلم - صراحة ونفي عقيدة الصليب ونفي ألوهية المسيح، فزعموا أن كاتبه مسلم!. وما ظهر هذا الكتاب إلا في عقر دارهم! وما خرج إلا منه، ونحن لا نقر ولا نؤمن أنه إنجيل المسيح!، بل هو أحد الأعمال البشرية التي دونت ما حدث أيام المسيح، وإن كان هو أصدقها وأقربها للحقيقة فيما نعتقد.

^{٤٧} وقد ذكرنا في المبحث السابق كيف كان اعتبار قانونية الأسفار عندهم!!.

هذا هو مكر بني إسرائيل بعيسى، وإكرام الله له بإنجائه من مكرهم، وعقابه المنافق بقتله، بعد إلقاء شبه عيسى عليه!!!...

ثم فصل هذا التدبير المحكم بقوله:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا هُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)﴾... قوله تعالى: (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) مراداً منه: رافعك حياً بدون وفاة؛ ويشهد له -ولنزوله آخر الزمان- ما رواه الإمام مسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «والله، لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص^(٤٨)، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد».

ولا ينزل عيسى بشرع جديد ينسخ شريعتنا، بل ينزل مجدداً لما درس منها، ومتبعاً لها، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «كيف أنتم إذا أنزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم»!.

وبما أنه سينزل آخر الزمان، فلا بد أنه يبقى حياً إلى حين ينزل، ويبلغ شرع الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، إذ لو مات قبل ذلك، لكان نزوله هذا بعثاً له في الدنيا؛ ولا بعث إلا في الآخرة؛ كما دل عليه الكتاب والسنة.

^{٤٨} القلاص جمع قلوص. وهي الناقة الشابة.

والمراد من قوله: ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنه تعالى، يبعده عنهم بالرفع، حتى لا يبقى بين من دنسوا أنفسهم بالكفر، تنزيها له عن دنسهم. أو أنه يُبْعَدُ أَيْدِيَهُمْ عنه، فلا تمسه بأذى؛ فهم أنجاس لكفرهم.

ويصح أن يكون هذا وعدا من الله له، بأنه -في آخر الزمان- يزيل من طريقه الكافرين، فلا يستطيعون صده عن الهدى كما كانوا يفعلون قبل رفعه... والنصارى -بعد أن رفع الله عيسى- انقسموا فرقا وشيعا: فمنهم من آمن به، على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته. ومنهم من غلا فيه فيجعل ابن الله. ومنهم من قالوا: هو الله. وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة.

وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، ورد على من عدا الفرقة الأولى، التي تعتبر متبعة لرسولها، في تنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك.

وهذه هي العقيدة السليمة التي جاء بها المرسلون جميعا، وكل من دان بها، فهو تابع لرسوله؛ كما هو تابع لجميع المرسلين وأصحابهم هم المؤمنون. ومن عداهم فهم كفرون... وقد انقرض المؤمنون المتبعون لما جاء به عيسى -عليه السلام- وأصبح جميع النصارى قبل بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يؤهلون عيسى، ويقولون: هو ابن الله. أو هو الله. أو هو ثالث ثلاثة.

وعلى أي حال كانت عقيدة النصارى في عيسى، فإنهم -منذ البعثة المحمدية- لا يعتبرون متبعين

لعيسى -عليه السلام- إن كفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فقد بشر به عيسى، وأوجب عليهم تصديقه؛ فإذا زال عنهم وصف اتباعهم لعيسى -عليه السلام- بكفرهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أو عدم دخولهم في الإسلام؛ فقد زال استحقاقهم لوعد الله، بأن يجعل من يتبع عيسى، فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة لسببين:

أحدهما: كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبدينه.

وثانيهما: عقيدتهم الباطلة في عيسى.

وكلا السببين: مخرج لهم عن اتباعهم لعيسى -عليه السلام- مستوجب لحرمانهم من وعد الله أن

يكون متبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. فإنهم -بما جَنَوْا- أصبحوا كافرين.

فانتقل وعد الله لعيسى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ من النصارى إلى المحمديين، الذين هم -باتباعهم محمداً عليه الصلاة والسلام- يعتبرون متبعين لعيسى أيضاً: فيما جاء به من التوحيد وأمّهات الشرائع والأحكام، التي يشترك فيها جميع المرسلين. ولهذا، ترى المسلمين ظهرُوا على من عداهم: بالحجة التي لا ترد، والبرهان الذي لا يقهر؛ كما تراهم ظهرُوا عليهم، في الجهاد والاستيلاء على الأقطار والبلاد -فقد فتحوا بلاد كسرى وقىصر. وتجاوزوها إلى الصين والهند شرقاً، وإلى غرب أوروبا وشمال إفريقيا وجنوبها. ولا تجد قارة من القارات، ولا قطر من الأقطار، إلا وفيه الكثير من المسلمين. ولا يزال أمر هذا الدين مستقيماً حتى تقوم الساعة كما قال - صلى الله عليه وسلم...«انتهى.

وقال شيخ الأزهر السابق في التفسير الوسيط له (٢/ ١١٨):

«فقوله-تعالى:-﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ شروع في بيان مآل أحواله-عليه السلام- وفي بيان موقف قومه منه بعد أن بين- قبل ذلك بعض صفاته، ومعجزاته وخصائص رسالته... والمعنى أن عيسى-عليه السلام- قد جاء لقومه بالمعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه في دعوته؛ ولكنه لم يجد منهم أذناً واعية، فلما رأى تصميمهم على باطلهم، وأحس منهم الكفر أي: علمه يقيناً وتحققه تحقق ما يدرك بالحواس، قال على سبيل التبليغ وطلب النصرة: من أنصاري إلى الله؟ أي: من أعواني في الدعوة إلى الله والتبشير بدينه حتى أبلغ ما كلفني بتبليغه...وفي قوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ حض لهم على المسارعة إلى نصرته الحق لأنهم لا ينصرونه من أجل متعة زائلة؛ وإنما هم ينصرونه لأنه يدافع عن دين الله ويبشر به، ومن نصر دين الله، نصره الله -تعالى-.

والآية الكريمة تشير إلى أن الكافرين كانوا هم الكثرة الكاثرة من بنى إسرائيل، بدليل أنه- سبحانه- نسب الكفر إليهم في قوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وذلك لا يكون إلا إذا كان الكافرون هم الكثرة الظاهرة، والمؤمنون هم القلة غير الظاهرة حتى لكأن عيسى بقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يبحث عنهم من بين تلك الجموع الكثيرة من الكافرين؛ وهنا يحكى القرآن أن المؤمنين الصادقين-مع قتلهم- لم يتقاعسوا عن تلبية نداء عيسى-عليه السلام- فقال الله -تعالى:-

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ والحواريون جمع حوارى وهم أنصار عيسى الذين آمنوا به وصدقوه، وأخلصوا له ولازموه وكانوا عوناً له في الدعوة إلى الحق... ثم حكى - سبحانه ما كان من بنى إسرائيل فقال: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ والمكر: التدبير المحكم؛ أو صرف غيرك عما يريد به حيلة. وهو مذموم إن تحرى به الفاعلي الشر والقيح كما فعل اليهود مع عيسى - عليه السلام - ومحمود إن تحرى به الفاعلي الخير والجميل.

والمعنى: أن أولئك اليهود الذين أحس عيسى منهم الكفر دبوا له القتل غيلة واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ مآربهم الذميمة. فأحبط الله - تعالى - مكرهم، وأبطل تدبيرهم بأن نجى نبيه عيسى - عليه السلام - من شرورهم: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ أي: أقواهم مكرًا وأنفذهم كيدًا، وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعرون المعاقب.

ثم حكى - سبحانه - بعض مظاهر قدرته، ورعايته لعبده عيسى - عليه السلام - وخذلانه لأعدائه فقال - تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ بِأَمْرِنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي نَحْنُ بِكَ بِرُوحِنَا وَكَانَ اللَّهُ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ اللَّهِ إِنَّكَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يَخْلُفُ عَهْدَهُ﴾ ومعنى الآية الكريمة: واذكر أيها المخاطب لتعتبر وتتعظ وقت أن قال الله - تعالى - لنبيه عيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ؛ أي: آخذك وأفيا بروحك وجسدك من الأرض: ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾ ؛ أي: ورافعك إلى محل كرامتي في السماء؛ لتستوفي حظك من الحياة هناك إلى أن آذن لك بالنزول إلى الأرض.

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِعَادِكَ عَنْهُمْ، وبإنجائك مما بيتوه لك من مكر سيئ وبتبرئتك مما أشاعوه عنك وعن أمك من أكاذيب وأباطيل.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وهم المسلمون الذين آمنوا بك وصدقوك، وصدقوا بكل نبي بعثه الله - تعالى - بدون تفرقة بين أنبيائه ورسله.

﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ؛ أي: جاعل هؤلاء المؤمنين فوق الذين كفروا بك وبغيرك من الرسل إلى يوم القيامة.

أي: فوقهم بحجتهم، وبسلامة اعتقادهم، وبقوتهم المادية والروحية إلى يوم القيامة.

فالمراد بأتباع عيسى هم الذين أخلصوا الله - تعالى - عبادتهم، وأقروا بوحداية - سبحانه - ونزهوا عيسى عن أن يكون ابن الله أو ثالث ثلاثة أو غير ذلك من الأقاويل الباطلة.

والمراد بالفوقية ما يتناول الناحيتين الروحية والمادية، أي: هم فوقهم بقوة إيمانهم، وحسن إدراكهم، وسلامة عقولهم، وهم فوقهم كذلك بشجاعتهم وحسن أخذهم للأسباب التي شرعها الله - تعالى - كوسائل للنصر والفوز؛ ولذا قال صاحب الكشف قوله: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ؛ أي: يعلوهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون؛ لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع، دون الذين كذبوه والذين كذبوا عليه من اليهود والنصارى. ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ؛ أي: ثم إلى الله مرجعكم ومصيركم أيها الناس فيتولى - سبحانه - الحكم العادل بينكم فيما كنتم تختلفون فيه في دنياكم من شئون دينية أو دنيوية، ثم فصل - سبحانه - هذا الحكم الذي سيحكم به على عباده يوم القيامة فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بي وبما يجب الإيمان به ﴿فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ ، ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ؛ أي: أنه - سبحانه - عادل في أحكامه، ويكره الظلم والظالمين الذين لا يضعون الأمور في مواضعها.

ومن أفحش أنواع الظلم ما يقوله أهل الكتاب على عيسى - عليه السلام - فقد زعم بعضهم أنه ابن الله، وزعم فريق آخر أنه ثالث ثلاثة وافترى عليه اليهود وعلى أمه مريم البتول المفتريات التي برأهما الله - تعالى - منها.

أما الذين آمنوا فقد قالوا في عيسى وأمه قولاً كريماً، ولذلك كافأهم الله - تعالى - بما يستحقون من ثواب.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد حكّت لنا جانباً من فضائل عيسى - عليه السلام - وبينت للناس جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين حتى يثوبوا إلى رشدهم ويسلكوا الطريق القويم.

وبعد أن حكى الله - تعالى - في الآيات السابقة ولادة عيسى - عليه السلام - وما أجراه على يديه من معجزات، وما أكرمه به من مكرمات، وكيف كان موقف بنى إسرائيل منه، وكيف أبطل الله مكرهم

وخيب سعيهم، إذ رفعه إليه وطهره من أقوالهم الباطلة وأفعالهم الأثيمة وتوعد أعداءه بالعذاب الشديد ووعد أتباعه بالثواب الجزيل...» انتهى.

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (٢/ ٩٦٦):

«قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: وذلك أنهم تأمروا على قتله، مع الحاكم الروماني الذي كان يحكم بيت المقدس، بعد أن أفهموه أن دعوته خطر على الحكم الروماني وعلى الشعب، فإنه سيجتمع الأمة على رفع سلطتهم عن الأرض المقدسة وإجلائهم عنها؛ فظاهروهم على قتله، واتخذوا من أحد حواريه جاسوسا عليه، يرصد حركاته وتنقلاته ويخبرهم بها، وكان اسمه يهوذا الإسخريوطي، وقد جعلوا له -في مقابل ذلك- ثلاثين درهما.

وفي يوم عيد لهم، كان السيد المسيح ضيفا مع حواريه عند بعض أتباعه، وكان يهوذا معهم، فأخبرهم -السيد المسيح- أن أحدهم سيسلمه إلى الأعداء، فقال يهوذا: هُوَ ذَا أَنَا يَا مُعَلِّمُ؟ قال: أنت قلت ..

وفي اليوم التالي جاءت قوة من الرومان يتقدمهم يهوذا، ودخلوا عليه حيث يوجد في دار مضيفه، فألقى الله شبهه على يهوذا، ورفع عيسى إليه، فقبضوا على يهوذا ليصلبوه ويقتلوه، فقال لهم: أنا يهوذا. فقالوا: بل أنت عيسى، فإن كنت يهوذا كما تدعى فأين عيسى؟ فقال لهم هذا الشبيه: إن كنت أنا عيسى - كما قلت - فأين يهوذا؟ فلم يأبهوا لجداله، وأخذوه وصلبوه.

هذه هي إحدى الروايات التي ذكرت في الرجل الذي ألقى الله شبه عيسى عليه فقتلوه مكانه^(٤٩) ... وهناك روايات أخرى لا نرى داعيا لذكرها.

ونقول: إن القرآن الكريم، أمسك عن ذكر اسم من ألقى الله عليه شبه عيسى فقتل مكانه، واكتفى بنفي قتلهم وصلبهم لعيسى وأنه شبه لهم.

وهذا هو القدر الذي يتحتم القطع به. أما ما سواه، فيحتمل الصدق والكذب. والله تعالى أعلم.

﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَقِيَ شَكٌّ مِّنْهُ﴾: لما قتل الرومان واليهود هذا الشبيه الذي جعله الله فداءً لعيسى، اختلف الناس في شأنه؛ فمن قائل: إنه هو المسيح وكان كاذباً فقتلناه.

وقال آخرون: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟

وقال غيرهم: لا نظن أنهم قتلوه، فالوجه وجه عيسى والجسد لغيره.

وبالجملة: فإن أمارات القطع - بأنه هو أو غيره - لم تكن متوفرة لديهم. فلذلك شكوا، واختلفت أقوالهم في شأنه.

ومن عجيب أن تنص أناجيل المسيحيين، على أن المسيح أخبر حوارييه أنهم جميعاً سيشكون فيه ليلة الصلب^(٥٠) فكيف ساع لهم القطع بقتله وصلبه، حتى ألزموا أنفسهم تأويلات سخيفة، ناشئة عن اعتقادهم ألوهيته وصلبه، إذ زعموا أنه صلب ليفتدي أهل الخطايا جميعاً!!

وهذا زعم لا يقبله عاقل. فإنه إن كان إلهاً، أو ابن الله كما زعموا: يستطيع أن يغفر لمن شاء، وألاً يُحكّم في جسده أسلحة أعدائه، كما أنه - باستسلامه لهم - تسبب في زيادة خطاياهم بقتله، وهذا عكس المقصود!!

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾: بعد أن أثبت الله شك المختلفين في أمره، وأنهم لا ينزعون - فيما قالوه في شأنه - عن يقين، بل عن حيرة وتردد في أمره، أكد ذلك بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي:

^{٤٩} قالوا في الهامش: «إنجيل برنابا، ملخصاً».

^{٥٠} قالوا في الهامش: جاء في إنجيل متى - إصحاح ٢٦ فقرة ٣١. وإنجيل مرقس - إصحاح ١٤ فقرة ٢٧ - أن السيد المسيح قال لحوارييه: (كلكم يشكون في هذه الليلة) يقصد الليلة التي قتل فيها، وهذا مصدق لما جاء في القرآن من شكهم فيه.

ليس لهم بما قالوه في قتل عيسى علمٌ ناشيءٌ عن أدلة يقينية: ﴿إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾ أي لكنهم يتبعون - فيما قالوه - الظن والتخمين.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: هذا تأكيد ثانٍ. أي وما قتل اليهود والرومان عيسى قتلاً يقيناً. ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: أي: بل رفعه الله إلى موضع؛ تولى الله فيه حفظه وحمايته، حتى لا يجري فيه حكم أعدائه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: أي وكان الله - ولم يزل - غالباً لا يعجزه شيء، حكيماً فيما يصنع؛ فلذلك نجى عيسى من أعدائه، ولم يمكن من جسده الشريف خصوم الحق انتهى.

وقال شيخ الأزهر السابق التفسير الوسيط لطنطاوي (٣/ ٣٧٩):

«واليهود قد اتخذوا كافة الطرق لقتل عيسى - عليه السلام - كما بينا -، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون لأسباب خارجة عن طاقتهم.

ومعنى هذا أنه لو بقيت لهم أية وسيلة لإتمام جريمتهم النكراء لما تقاعسوا عنها، ولأسرعوا في تنفيذها فهم يستحقون عقوبة المجرم في تفكيره، وفي نيته، وفي شروعه الأثيم، لارتكاب ما نهى الله عنه...

وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ رد على مزاعمهم الكاذبة، وأقاولهم الباطلة التي تفاخروا بها بأنهم قتلوا عيسى - عليه السلام -. أي: إن ما قاله اليهود متفاخرين به، وهو زعمهم أنهم قتلوا عيسى - عليه السلام - هو من باب أكاذيبهم المعروفة عنهم فإنهم ما قتلوه، وما صلبوه ولكن الحق أنهم قتلوا رجلاً آخر يشبه عيسى - عليه السلام - في الخلقة فظنوه إياه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله...

وقال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف^(٥١): «قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك وقال: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾؛ أي: شبه لهم

^{٥١} مفتي الديار المصرية الأسبق.

المقتول بأن ألقى عليه شبه المسيح فلما دخلوا عليه ليقتلوه - أي ليقتلوا المسيح - وجدوا الشبيه فقتلوه وصلبوه، يظنونه المسيح وما هو في الواقع، إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء، ونجاه من شر الأعداء. وقيل المعنى: ولكن التبس عليهم الأمر حيث ظنوا المقتول عيسى كما أوهمهم بذلك أحبارهم^(٥٢).

هذا، وللمفسرين في بيان كيفية التشبيه لهم وجوه من أهمها اثنان:

الأول: أن الله - تعالى - ألقى شبه عيسى - عليه السلام - على أحد الذين خانوه ودبروا قتله وهو (يهوذا الإسخريوطي) الذي كان عينا وجاسوسا على المسيح، والذي أرشد الجند الذين أرادوا قتله إلى مكانه، وقال لهم: من أقبله أمامكم يكون هو المسيح، فاقبضوا عليه لتقتلوه، فدخل بيت عيسى ليدلهم عليه ليقتلوه فرفع الله عيسى، وألقى شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى. وهذا الوجه قد جاء مفصلا في بعض الأناجيل^(٥٣) وأشار إليه الألوسي بقوله: «كان رجل من الحواريين ينافس عيسى - عليه السلام - فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، وأخذ على ذلك ثلاثين درهما، فدخل بيت عيسى - عليه السلام - فرفع الله عيسى، وألقى شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه، وهم يظنون أنه عيسى»^(٥٤).

الثاني: أن الله - تعالى - ألقى شبه المسيح على أحد تلاميذه المخلصين حينما أجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه سيرفعه إليه، فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم أنا؛ فألقى الله صورة عيسى عليه، فقتل ذلك الرجل وصلب^(٥٥).

^{٥٢} تفسير صفوة البيان ص ١٧٨ لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين مخلوف.

^{٥٣} يقصد إنجيل برنابا.

^{٥٤} تفسير الألوسي ج ٦ ص ١٠.

^{٥٥} وقد اكتشفوا مؤخرا إنجيلا ينسب إلى التلميذ «يهوذا الإسخريوطي»، يؤكد فيه هذا الوجه ويبين أن قضية إلقاء الشبه كانت بالاتفاق بين المسيح - عليه السلام - وبين يهوذا نفسه.

وقد أطل الإمام ابن كثير في ذكر الروايات التي تؤيد هذا الوجه، ومنها قوله: «عن ابن عباس قال: لما أراد الله -تعالى- أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحوارين فقال لهم إن منكم من يكفر بعدي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي.

قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً. فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم. فقام ذلك الشاب. فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم. فقام ذلك الشاب. فقال: أنا. فقال له عيسى، هو أنت ذاك.

فألقي عليه شبه عيسى؛ ورفع عيسى من روضة في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن.

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح عن ابن عباس، ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية، وقال غير واحد من السلف: إنه قال لهم. أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة؟!». والذي يجب اعتقاده بنص القرآن الكريم أن عيسى - عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب، وإنما

رفعه الله إليه، ونجاه من مكر أعدائه، أما الذي قُتل وصُلب فهو شخص سواه.

ثم قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ أي: وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب لفي شك دائم من حقيقة أمره. أي: في حيرة وتردد، ليس عندهم علم ثابت قطعي في شأنه، أو في شأن قتله، ولكنهم لا يتبعون فيما يقولونه عنه إلا الظن الذي لا تثبت به حجة، ولا يقوم عليه برهان.

ولقد اختلف أهل الكتاب في شأن عيسى اختلافاً كبيراً؛ فمنهم من زعم أنه ابن الله. وادعى أن في عيسى عنصراً إلهياً مع العنصر الإنساني. وأن الذي ولدته مريم هو العنصر الإنساني. ثم أفاض عليه بعد ذلك العنصر الإلهي.

ومنهم من قال: إن مريم ولدت العنصرين معا.

ولقد اختلفوا في أمر قتله؛ فقال بعض اليهود: إنه كان كاذبا فقتلناه قتلا حقيقيا، وتردد آخرون فقالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا، وإن كان المقتول صاحبنا فأين عيسى؟

وقال آخرون: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا.

إلى غير ذلك من خلافاتهم التي لا تنتهي حول حقيقة عيسى وحول مسألة قتله وصلبه^(٥٦).

فالمراد بالموصول في قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ ما يعم اليهود والنصارى جميعا. والضمير في

قوله ﴿فيه﴾ يعود إلى عيسى - عليه السلام -.

وقوله مِنْهُ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة الشك.

قال الألوسي: وأصل الشك أن يستعمل في تساوى الطرفين، وقد يستعمل في لازم معناه وهو

التردد مطلقا، وإن لم يترجح أحد طرفيه وهو المراد هنا. ولذا أكد بنفي العلم الشامل لذلك أيضا

بقوله - سبحانه -: مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ^(٥٧) انتهى.

ويقول الأستاذ رشيد رضا في تفسير المنار (٦ / ١٦):

((وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أي: وبسبب قولهم هذا فإنه قول يؤذن

بمنتهى الجرأة على الباطل، والضراوة بارتكاب الجرائم، والاستهزاء بآيات الله ورسله، ووصفه هنا

بصفة الرسالة للإيذان بتهكمهم به عليه السلام، واستهزائهم بدعوته، وهو مبني على أنه إنما ادعى

النبوة والرسالة فيهم، لا الألوهية كما تزعم النصارى. على أن أناجيلهم ناطقة بأنه كان موحدا لله -

تعالى - مدعيا للرسالة ؛ كقوله في رواية إنجيل يوحنا (١٧: ٣) «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك

أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

^{٥٦} قال في الهامش: إذا أردت المزيد من معرفة هذه المسألة فراجع تفسير القاسمي ج ٥ ص ١٦٢٩ إلى ص ١٧١٦. وتفسير المنار ج ٦ من

ص ٢٣ إلى ٥٩.

^{٥٧} تفسير الألوسي (ج ٦ ص ١١).

ويجوز أن يكون قوله: ﴿رسول الله﴾ منصوبا على المدح، أو الاختصاص للإشارة إلى فظاعة عملهم، ودرجة جهلهم، وشناعة زعمهم وما قتلوه وما صلبوه أي والحال أنهم ما قتلوه، كما زعموا تبجحا بالجريمة، وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس ولكن شبه لهم أي وقع لهم الشبهة أو الشبه؛ فظنوا أنهم صلبوا عيسى، وإنما صلبوا غيره، ومثل هذا الشبه أو الاشتباه يقع في كل زمان كما سنبينه قريبا.

﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ أي: وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره؛ أي في حيرة، وتردد ما لهم به من علم ثابت قطعي. لكنهم يتبعون الظن...

وفي لسان العرب أن الشك ضد اليقين. فهو إذا يشمل الظن في اصطلاح أهل المنطق، وهو ما ترجح أحد طرفيه. فالشك في صلب المسيح هو التردد فيه، أكان هو المصلوب أم غيره! فبعض المختلفين في أمره الشاكين فيه يقول: إنه هو، وبعضهم يقول: إنه غيره، وما لأحد منهما علم يقيني بذلك، وإنما يتبعون الظن.

وقوله تعالى: ﴿إلا اتباع الظن﴾ استثناء منقطع كما علم من تفسيرنا له. وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى، أن المسيح قال لتلاميذه: «كلكم تشكون، في، في هذه الليلة» أي التي يطلب فيها للقتل (متى ٢٦: ٣١ ومرقس ١٤: ٢٧).

فإذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة بأنه أخبر أن تلاميذه وأعرف الناس به يشكون فيه في ذلك الوقت، وخبره صادق قطعا، فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك من دونهم في أمره، وقد صارت قصته رواية تاريخية منقطعة الإسناد؟!

﴿وما قتلوه يقينا﴾ أي وما قتلوا عيسى ابن مريم قتلا يقينا، أو متيقنين أنه هو بعينه؛ لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة، وهذه الأناجيل المعتمدة، عند النصارى، تصرح بأن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الإسخريوطي، وأنه جعل لهم علامة: أن من قبله يكون هو يسوع المسيح، فلما قبله قبضوا عليه.

وأما إنجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الإسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح؛ لأنه ألقى عليه شبهه، فالذي لا خلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية. وقيل: إن الضمير في قوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقينا﴾ للعلم الذي نفاه عنهم، والمعنى: ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن، وما قتلوا العلم يقينا وتثبيتا به، بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون بها، يقال: قتلت الشيء علما وخبرا، كما في «الأساس»^(٥٨)، إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب.

وروي عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذي يتبعونه قال: «لم يقتلوا ظنهم يقينا» رواه ابن جرير؛ أي أنهم يتبعون ظنا غير محص، ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل إلى العلم، وقد اختلفت رواية المفسرين بالمأثور في هذه المسألة؛ لأن عمدتهم فيها النقل عمن أسلم من اليهود والنصارى، وهؤلاء كانوا مختلفين ما لهم به من علم يقيني؛ ولكن الروايات عنهم تشتمل على نحو ما عند النصارى من مقدمات القصة؛ كجمع المسيح لحوارييه (أو تلاميذه) وخدمته إياهم، وغسله لأرجلهم، وقوله لبعضهم: إنه ينكره قبل صياح الديك ثلاث مرات. ومن بيعه بدلالة أعدائه عليه، في مقابلة مال قليل، وكون الدلالة عليه كانت بتقبيل الدال عليه.

ولكن بعضهم قال: إن شبهه ألقى على من دلهم عليه، وبعضهم قال: بل ألقى شبهه على جميع من كانوا معه، وروى ابن جرير القولين عن وهب بن منبه، والحاصل أن جميع روايات المسلمين متفقة على أن عيسى، عليه السلام، نجا من أيدي مريدي قتله، فقتلوا آخر ظانين أنه هو.

وأما قوله -تعالى-: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ فقد سبق نظيره في سورة آل عمران وذلك قوله تعالى: إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا)) انتهى.

^{٥٨} أي: أساس البلاغة للزمخشري.

نظرة في روايات صلب المسيح بالعهد الجديد:

لم تأت عقيدة من عقائد النصارى صريحة في الكتاب المقدس عندهم، إلا عقيدة الصلب والقيامة، فهي العقيدة الوحيدة التي وردت على لسان المسيح -بزعمهم- حيث تنبأ بذلك -كما تروي الأناجيل- إذ «حاول قوم من اليهود تعجيز المسيح فقالوا له: يا معلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال يكون هكذا ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى ١٢: ٣٨-٤٠)».

إن هذا القول شائع في الأناجيل وتكرر ذكره في أغلبها وفي أكثر من موضع. وقد ذكر في إنجيل (مرقس في ٨: ٣١) و(٩، ٣١)، و(١٠: ٣٤).

وذكر في إنجيل لوقا مع اختلاف هام يلحظه القارئ، وذلك في قوله: «هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل» (١١: ٢٩-٣٠)^(٥٩).

وذكرت الأيام الثلاثة في إنجيل (يوحنا ٢: ١٩).

ونقرأ في سفر يونان (يونس) ما حدث له فقد «أعد (الرب) حوتا عظيما ليلتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. . فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت. . وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر» (١: ١٧، ٢: ١-١٠)^(٦٠).

ومن الواضح إذن أنه لكي تتحقق هذه النبوءة فيجب أن يبقى المصلوب في بطن الأرض ثلاثة أيام

وثلاث ليال.

^{٥٩} فلم يذكر لوقا الأيام الثلاثة!، لماذا؟! لأن لوقا كان يكتب بتدقيق كما قال في بداية كتابه (٣/١): «رَأَيْتُ أَنَا أَيضًا إِذْ قَدْ تَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ»، فما علاقة التدقيق بذكر الأيام الثلاثة؟! سيأتيك الجواب -إن شاء الله-.

^{٦٠} والملاحظ أن يونس دخل بطن الحوت حيا، ومكث فيها حيا، وخرج منها حيا، وأما المصلوب فدخل بطن الأرض ميتا، ومكث ميتا، وقام من الأموات! -بزعمهم-، وبهذا لا تصدق هذه النبوءة على المصلوب!، غير أنهم يقولون إن النبوءة في العدد، وليس في الكيفية، وعليه فلا بد أن يصدق العدد ثلاثة أيام وثلاث ليال، فهل حدث هذا؟! والجواب: لا!..

ولكن إذا رجعنا إلى ما تذكره الأناجيل عن أحداث الصلب والقيامة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة^(١١) (يوم الصلب): «ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت جاء يوسف الذي من الرامة. . ودخل إلى بيلاطس (الحاكم) وطلب جسد يسوع. . فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف.

فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضع في قبر كان منحوتا في صخرة ودحرج حجرا على باب القبر» (مرقس ١٥ : ٤٢-٤٦).

ولقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعيه أن ذلك القبر كان خاليا من الميت في الساعات الأولى من فجر يوم الأحد.

وفي هذا يقول إنجيل متى: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. . فأجاب الملاك وقال للمرأتين. . ليس هو هاهنا لأنه قام كما قال» (٢٨ : ١-٦). كذلك يقول إنجيل يوحنا: «في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر» (٢٠ : ١).

وبعملية حسابية بسيطة نجد أن:

عدد الأيام التي قضاها الميت في بطن الأرض (في القبر) = ١ يوما (يوم السبت).

عدد الليالي التي قضاها الميت في بطن الأرض (في القبر) = ٢ ليلة (ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض).

وبذلك استحال تحقيق هذه النبوة التي قالت ببقاء الميت في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث

ليال^(١٢).

^{١١} في الترجمة العربية المبسطة متى (٢٧ / ٦٢) النص على أن الصلب كان يوم الجمعة، وفي هذا رد على من زعم أن الصلب كان يوم الأربعاء أو يوم الخميس!!.

^{١٢} مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ٦١) للعالم الأزهرى محمد جميل غازي - رحمه الله -.

وعليه فإن تنبؤ المسيح بصلبه وقيامته هو أمر دخيل، لا يصح نسبته إلى المسيح صلى الله عليه وسلم
فما بال الروايات الأخرى التي ذكرها كتبة الأناجيل؟!

تناقض الأناجيل في قصة الصلب:

جاء في كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية برئاسة العالم الأزهرى الدكتور: محمد جميل

غازي - رحمه الله - (ص: ٦٤):

«بما أن الصلب قضية، وما ناقشه هنا عبارة عن مجموعة من القضايا، فالأولى بنا أن نذكر بقاعدة بسيطة متفق عليها تحكم أحكام الناس في مختلف القضايا على مختلف المستويات - وهذه القاعدة تقول: «كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال».

فحين تختلف شهادة شاهدين أمام قاض في محكمة، فإن ما تفرضه عدالة المحكمة هو عدم الاعتداد بأي من الشهادتين إلى أن يأتي شاهد ثالث يؤيد شهادة أحد الشاهدين، وإلا امتنع صدور حكم عادل.

والآن نذهب لمناقشة قضية الصلب كما تعرضها الأناجيل، وهي التي تبدأ بمجموعة من الأحداث الخاصة بمحاولة قتل المسيح إلى أن تنتهي بتعليق شخص يصرخ يائسا على الصليب، وما أعقب ذلك من تكفينه ودفنه.

١- مسح جسد المسيح بالطيب:

لقد اختلفت الأناجيل في هذه الحادثة البسيطة التي تعتبر مقدمة لأحداث الصلب. يقول إنجيل مرقس «كان الفصح وأيام الفطير بعد يومين وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه. . وفيما هو في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه.

وكان قوم مغتاظين في أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا. لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء وكانوا يؤنبونها» (١٤: ١-١٠٥).

وقد ذكر متى هذه الحادثة في (٢٦: ٦-٩)، ولوقا في (٧: ٣٦-٣٩)، ويوحنا في (١٢: ١-٦) مع اختلافات بينهم في توقيتاتها وعناصرها الرئيسية.

يقول نينهم في هذه القصة: «نجد القديس يوحنا يذكرها مبكرا عما أورده القديس مرقس ببضعة أيام، وكذلك يضعها القديس لوقا في موقع مختلف تماما من سيرة يسوع. . فبينما نجدها في إنجيل

مرقس قد حدثت في منزل سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا . نجدها في إنجيل يوحنا قد حدثت في بيت مريم ومرثا ولعازر^(٣٣).

ويمكن تلخيص اختلاف الأناجيل في هذه القصة كالآتي:

مكان الحادث: في بيت سمعان الأبرص (مرقس ومتى) - (في بيت فريسي (لوقا) - في بيت

الإخوة لعازر ومريم ومرثا (يوحنا) .

شخصية المرأة: مجهولة (مرقس ومتى) - خاطئة (لوقا) - امرأة صديقة هي مريم أخت لعازر

(يوحنا).

ماذا فعلت: دهنت رأس يسوع بالطيب (مرقس ومتى) - دهنت رجله بالطيب (لوقا ويوحنا) .

رد الفعل عند المشاهدين: اغتاض قوم لإسرافها (مرقس) - اغتاض التلاميذ (متى) - كان تساؤل

الفريسي مع نفسه حول معرفة يسوع لشخصية المرأة (لوقا) - اغتاض يهوذا الإسخريوطي لإسرافها

(يوحنا).

٢- التحضير للعشاء الأخير:

يقول مرقس: «وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن

نمضي ونعد لتأكل الفصح. فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل

جرة ماء اتبعاه. وحيثما يدخل فقولاً لرب البيت إن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع

تلاميذي فهو يريكما عليّة كبيرة مفروشة معدة. هناك أعدا لنا. فخرج تلميذه وأتيا إلى المدينة ووجدا

كما قال لهما. فأعدا الفصح. ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر» (١٤: ١٢-١٧) .

ويقول نينهام: (إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة بأعدادها من رقم (١٢ إلى ١٦) إنما

كانت في الواقع إضافة أدخلت فيما بعد إلى الرواية التي يتبعها القديس مرقس في هذا الجزء من إنجيله.

ومن بين الأسباب لذلك الاعتقاد ما يأتي:

^{٣٣} تفسير إنجيل مرقس: ص ٣٧٠.

١- وصف اليوم الذي قيل إن القصة حدثت فيه بأسلوب لا يستخدمه اليهودي العادي الذي كان معاصرا لها.

٢- وصف أتباع يسوع في كل فقرة من هذا الإصحاح (الرابع عشر) بأنهم تلاميذه بينما أشير إليهم بإصرار في هذه الفقرة بأنهم الاثنا عشر.

٣- أن كاتب العدد ١٧ الذي يقول: «ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر» لا يعلم شيئا عن رحلة التلميذين التي ذكرت في العدد ١٣، فلو كان كاتب العدد ١٧ يعلم محتويات تلك الفقرة لكان عليه أن يتحدث عن: العشرة وليس الاثني عشر، أي أن العدد ١٧ كان يجب أن يقرأ هكذا: (ولما كان المساء جاء مع العشرة) . . .» (٦٤١).

ويختلف متى مع مرقس في قصة الإعداد للعشاء، إذ أنه يجعل التلاميذ جميعا- كما يقول جون فنتون في (ص ٤١٤ من تفسيره) يشتركون في هذا الإعداد، فهو يقول: «قال يسوع لتلاميذه اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له. المعلم يقول إن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح» (٢٦: ١٨-١٩).

٣- توقيت العشاء الأخير وأثره على قضية الصلب:

يقول جون فنتون: «يتفق متى مع مرقس (وكذلك لوقا ٢٢: ٨) في أن العشاء الأخير كان هو الفصح. وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل في المساء بعد موت يسوع» (٦٥).

ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس (ولوقا)، صحيح وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية» (٦٦).

^{٦٤} تفسير إنجيل مرقس: ص ٣٧٦.

^{٦٥} يوحنا ١٨: ٢٨، كما يقول جون فنتون.

^{٦٦} تفسير إنجيل متى: ص ٤١٥.

ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذي حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح؛ فهو يقول: «أما يسوع قبل عيد الفصح. . فحين كان العشاء. . قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ» (١٣: ١ - ٥) .
وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع في مساء اليوم السابق لأكل الفصح، وذلك في قوله:
«ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح» (٢٨: ١٨) .

إن اختلاف الأناجيل في العشاء الأخير وتوقيته ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، ألا وهي تحديد يوم الصلب.
فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس، ثم كان القبض بعد ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته، ولذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة.
أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعني أن القبض كان مساء الأربعاء، وأن الصلب حدث يوم الخميس.
هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة؟!!

٤- العشاء الأخير والتلميذ الخائن:

يقول مرقس: «ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر، وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم إن واحدا منكم يسلمني الأكل معي فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا، هل أنا؟ وآخر، هل أنا؟ فأجاب وقال لهم. هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصحفة. إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه. ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد» (١٤: ١٧ - ٢١).

ولقد أدخل متى بعض التغيرات على رواية مرقس.
ويقول لوقا: «فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم. . وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلوا من جمع.

ولما كانت الساعة اتكأوا الاثني عشر رسولا معه . وقال لهم شهوة اشتهيت أن أكل الفصح معكم . ولكن هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة . فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا» (٢٢: ٢٢-٢٣) .

أما رواية يوحنا ففيها اختلاف يسهل ملاحظته - عما روته الأناجيل الثلاثة الأخر، فهو يقول: «لما قال يسوع: هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحدا منكم سيسلمني . فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون من قال عنه . أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه . فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا سمعان الإسخريوطي . فبعد اللقمة دخله الشيطان . فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة . فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلا» (١٣: ٢١-٣٠) .

وبصرف النظر عن اختلاف الأناجيل في إجابة المسيح لتلاميذه عمن يكون الخائن، إذ قال إنجيل لوقا: «الذي يغمس في الصحفة» بينما قال إنجيل يوحنا: «الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه» - لكن النقطة الهامة التي تتعلق بخيانة يهوذا هي اختلاف الأناجيل في حادثة دخول الشيطان فيه . فهي هو يقرر أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء الأخير بيوم على الأقل (لوقا ٢٢: ٣-٧) ، بينما يقرر يوحنا أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة (يوحنا ١٣: ٢٧) أثناء العشاء الأخير...

ونبدأ الآن بعنصر معروف تحت عنوان: المعاناة في الحديقة أو آلام المسيح ومتاعبه في الحديقة . ولننظر ونتأمل إذا كانت الصورة التي رسمها كتبة الأناجيل للمسيح هنا تبين أنه جاء ليبذل دمه فدية عن كثيرين، ومن ثم كان الصلب وسفك دمه هدفا رئيسيا لرسالته، كما يقولون، أم أن المسيح فوجئ بقوة الظلم تكاد تطبق عليه، وأن حياته باتت مهددة بالخطر بشكل لم يكن يتوقعه، ولذلك أصابته حالة من الرعب القاتل كان يود في كل لحظة من لحظاتها أن ينجو من الخطر وينقذ نفسه من الموت.

٥- آلام المسيح:

ويقول مرقس: «وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا هاهنا حتى أصلي .

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب وابتدأ يدهش ويكتئب. وقال لهم: نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا هاهنا واسهروا.

ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك. فاجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت.

ثم جاء ووجدهم نياما. فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى أيضا وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه. ثم جاء الثالثة وقال لهم: الآن استريحوا، يكفي، قد أتت الساعة، هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا لنذهب، هو ذا الذي يسلمني قد اقترب» (١٤-٣٢-٤٢).

إن أبسط تعليق على هذا الكلام هو أنه واضح تماما أن المسيح لم يكن يتوقع هذه المفاجأة المذهلة وهي أن أعداءه سيقنتصونه، وطبعاً هو يعلم أنهم عندما يمسكونه فلسوف يقتلونه. ولذلك كان يصلي في كل وقت لكي تعبر عنه هذه الساعة أو هذه المحنة أو هذه الكأس، حتى ينجو.

إذن نستطيع أن نقرر-مبدئياً- بأن أي قول يقول أنه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين، أو أن سفك دمه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة آدم أو خطايا البشر، كل ذلك لا يمكن قبوله.

وإذا كان عصيان آدم، يكون تكفيره بقتل ابن الإله غصبا عن ابن الإله نفسه، فهذه كارثة أكبر؟ لأن الخطيئة تتضاعف تماماً بهذه الصورة.

بعد ذلك نذهب لمعرفة آراء العلماء ومفسرو الأناجيل.

يقول دنيس نينهام: «لقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء وجرى تساؤل عما

إذا كان يعتبر في الحقيقة جزءاً من المصدر الذي روى عنه القديس مرقس.

ويؤكد آخرون أنه لم يكن في مقدور أحد أن يكون شاهداً لأغلب الحوادث المذكورة هنا، كما لم

يكن في مقدوره أن يعلم ماهية الصلاة التي صلاها يسوع وحيداً. ولذلك فإنهم يعتبرون أن الصلاة

النموذجية (في العدد ٣٦) وتكرارها ثلاث مرات إنما هي شيء مصطنع مثل القول بإنكار بطرس ثلاث مرات.

إن القرار الموثوق منه (حول حقيقة ما جرى في الحديقة) مستحيل^{٦٧}.

أما رواية لوقا عن آلام المسيح فنجد فيها ما يجعلنا نعرضها إذ أنها تقول: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه، ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم: لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (٢٢: ٣٩-٤٦).

ويقول جورج كيرد في تفسيره لهذه الفقرات: «حسب رواية مرقس (الذي كان مصدراً للوقا) نجد أن يسوع بدأ يكتنفه الآن الفزع والذهول وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها. ولما كان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فإنه قضى الليل في تشنجات متتالية من صلاة المكروب. ولكن رواية لوقا المختصرة (بالنسبة لرواية مرقس) تعطينا بقدر الإمكان انطباعاً أقوى من حالة الاضطراب التي حلت بيسوع. فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذي انتزع نفسه بعيداً عن أصحابه، وأنه كان في ألم مبرح، وأن عرقه صار مثل قطرات الدم.

وعندما نتذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله- في صلاته- أن يجيزها عنه. إن صلاة يسوع ترينا أن عذاب الشك كان أحد عناصر محتته المعقدة. فلکم تنبأ بالآلام لكنه الآن عشية حدوثها نجده ينكص على عقبيه.

^{٦٧} تفسير إنجيل مرقس: ص ٣٨٩-٣٩٠.

هذا ولما كانت بعض المراجع القديمة تحذف العددين ٤٣، ٤٤ اللذين يقولان: (وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد حاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض)، ورغم وجودهما في أغلب النسخ وإمام علماء المسيحية في القرن الثاني بهما؛ فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه (كما يقول جورج كيرد) إلى فهم أحد الكتب بأن صورة يسوع هنا، وقد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة»^(٦٨).

فإذا سلمنا بأن هذا هو حقيقة ما حدث للمسيح في الحديقة فإن هذا يعني بوضوح أنه لم يكن يتوقع القتل إطلاقاً. وبالنسبة لعذاب الشك الذي أصابه فيمكن إرجاعه إلى أنه لا بد وقد اطمأن مسبقاً إلى أن أعداءه لن يتمكنوا من اصطياده - وهو ما سوف نعود إلى الحديث عنه بشيء من التفصيل تحت عنوان: «تنبؤات المسيح بنجاته من القتل» أما وقد رأى أعداءه على وشك اصطياده، فهناك أصابه عذاب الشك فيما إذا كان سينجو حقاً أم أنهم سيقضون عليه.

٦- القبض:

يقول مرقس: «وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. وكان مسلمه (يهوذا) قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو، هو، أمسكوه وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي. وقبله. فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه.

فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني، ولكن لكي تكمل الكتب، فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابسا إزاراً على عريه فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً» (١٤: ٤٣-٥٢).

لقد كانت القبلة هي بداية عملية القبض، ونجد هذا قد اتفق فيه متى ولوقا مع مرقس، مع خلاف يسير. أما عند يوحنا فلا مكان للقبلة، كما أنه يعطي صورة مختلفة تماماً عما روته الأناجيل الثلاثة

^{٦٨} تفسير إنجيل لوقا: ص ٢٤٣.

المتشابهة- فهو يقول: «أخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح.

فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال: من تطلبون؟
أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم.
فلما قال لهم: إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض.
فسألهم من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون» (١٨: ٣-٨).

لقد اتفقت الأناجيل الأربعة على شيء هام وهو أنه ابتداء من ذلك الوقت الذي كان في ظلمة الليل - لأنهم جاءوا بمشاعل ومصابيح - فقد تركه التلاميذ كلهم وهربوا.

أين شك التلاميذ؟

لقد سبق أن ذكرت الأناجيل على لسان المسيح قوله لتلاميذه: «كلكم تشكون فيّ، في هذه الليلة». ونحن هنا أمام احتمالين:

أحدهما: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، ورغم أنها ستسبب له ألما ومعاناة، إلا أنها ستفشل وينقذه الله من القتل الذي ينتظره على أيدي مدبريها.
ثانيهما: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألما ومعاناة وتنتهي بقتله.

فإن كانت الحالة الأولى، ورأى التلاميذ-حسبما ترويها الأناجيل بكل وضوح- أن المسيح قبض عليه في تلك الليلة، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه وتحقق ما تريد، فعندئذ لا بد وأن يشك التلاميذ في معلمهم الذي تنبأ لهم بنجاته، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث. هنا فقط يحدث الشك والزلل والارتداد عن العقيدة.

ومن المعلوم أن الشك غير الإنكار، ذلك أن اللص الذي يقبض عليه، قد ينكر السرقة، لكنه في الوقت نفسه أول من يعلم يقينا أنه سرق، فهو لا يشك في السرقة رغم أنه ينكر ذلك.

ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعاً أن التلاميذ لم يشكوا في المسيح في تلك الليلة - وإنما تحدثت عن إنكار بطرس أنه من تلاميذه - فإن هذا يعني أن الأحداث سارت حسبما جاء في تلك الحالة التي تنتهي بنجاة المسيح من القبض والقتل.

أما إن كانت الحالة الثانية وهي أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله، فإن ما شاهدته التلاميذ - حسب رواية الأناجيل أيضاً - هو أن ذلك ما حدث، ولا محل للشك - إذن - في هذه الحالة. ولا ريب في أن نفي الشك عن التلاميذ في تلك الليلة، يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبؤات خاطئة بالمسيح، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يصدر عنه، وهو أمر ننكره ونستنكره.

مما سبق نجد أن الأناجيل الأربعة اختلفت في قصة القبض وملاساتها: فقد روى كل من مرقس ومتى أن يهوذا قبّل المسيح، وروى لوقا أن يهوذا كان على وشك أن يقبّله، بينما لا يعرف يوحنا شيئاً عن القبلة.

ويذكر كل من مرقس ومتى أن تحية وكلاماً جرى بين يهوذا والمسيح، ويصمت لوقا عن تلك التحية، بينما لا يذكر يوحنا شيئاً عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة للقبض عليه في البستان.

وإذا صرفنا النظر عما جاء في روايتي الاثني عشر جيشاً من الملائكة، والشاب الذي هرب عريانياً - لبقيت ثلاث نقاط أساسية لا بد من استيعابها تماماً للوقوف عندها وهي:

١ - أن القبلة كانت الوسيلة الوحيدة لتعريف أفراد القوة بشخصية المسيح^(٦٩) (حسب مرقس ومتى ولوقا)، بينما تم ذلك في يوحنا بعد أن أظهر المسيح ذاته إليهم بطريقة تنم عن التحدي والثبات الذي يتحلى به المجاهدون من أصحاب العقائد والرسالات.

٢ - وأن حادثاً غير عادي قد وقع في تلك اللحظة، مما أذهل أفراد القوة وجعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض.

^{٦٩} وهل كانوا بحاجة إلى التعرف عليه وهو الذي دعاهم في المجمع والهيكل وناظرهم وحاججهم!.

٣- وأن التلاميذ -حسبما يرويه كتبة الأناجيل- لم يشكوا في المسيح ولو للحظة واحدة من تلك الليلة التي حدث فيها القبض.

ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها، ترد دائما إلى تنبؤات العهد القديم وخاصة سفر المزامير، فإن المزمور ٩١ الذي يستشهد به كثيرا- يقول:

«لأنك قلت يا رب ملجائي. جعلت العلى مسكنك. لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضرلة من خيمتك. لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق. أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (٩١: ٩-١٦).

أليس من حق القائل أن يقول إن ملائكة الله قد حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة التي كادت تزفي فيها قلوب المؤمنين، بعد أن رأى المسيح وتلاميذه أن سلطان الظلمة على وشك أن يبتلعهم؟

وإذا قيل: أين ذهب المسيح بعد ذلك؟

نقول: وأين ذهب إيليا (إلياس) الذي رفع إلى السماء؟

وفي هذا تقول أسفار العهد القديم: «وفيما هما (إيليا وتلميذه الإشع) يسيران ويتكلمان، إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء. وكان الإشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة إسرائيل وفرسانها. ولم يره بعد» (الملوك الثاني ١١: ٢-١٢).

وكما سبق أن رفع أخنوخ (إدريس) إلى السماء، كما تقول الأسفار:

«وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه». (تكوين ٥: ٢٤).

الحق أنه من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بالناس، أن كل ما فعله المسيح من معجزات له سابقة فعلها الأنبياء قبله. فإذا كان قد أحيا أمواتا لا يزيد عددهم حسبما ترويه الأناجيل عن ثلاثة- فقد أحيا واحد من الأنبياء. قبله جيشا عظيما من الموتى، كما أحيا غيره أفرادا ماتوا حديثا أو بعد أن انقضى على موتهم مدة طويلة.

وبالنسبة للمباركة وتكثير الطعام التي مارسها المسيح، فإنها حدثت كذلك مع الأنبياء قبله.

وبالمثل كانت عملية شفاء المرضى التي مارسها الأنبياء السابقون.

إن هذا كله رحمة من الله بخلقه، حتى لا يضلوا في المسيح ويفتنوا به فيتخذونه إلها.

٧- المحاكمة:

لم تتفق الأناجيل على عدد المحاكمات، ونظرا لضيق الوقت فسوف نكتفي بالحديث عن محاكمتين فقط.

أ- المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود:

يقول مرقس: «مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع ومعه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفي عند النار. وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا. لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم. ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد. ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق.

فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء. ماذا يشهد به هؤلاء عليك.

أما هو فكان ساكنا ولم يجب بشيء.

فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له: أنت المسيح ابن المبارك؟

فقال يسوع: أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء.

فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ وقد سمعتم التجاديف. ما رأيكم؟

فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت. فابتدأ قوم يصبقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه

ويقولون له: تنبأ. وكان الخدام يلطمون» (٥٣: ١٤-٦٥).

يقول نينهام: «ليس من السهل أن نتيين كيف نشأ هذا الجزء. ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية -ولا يزال- موضوعا يتعرض لمناقشات حيوية. ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك في قيمته التاريخية، ونناقشها باختصار كما يلي:

١ - يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها حدث أمام المجمع -أي السهندرين- وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين عضوا يرأسها رئيس الكهنة وتمثل السلطة الشرعية العليا في إسرائيل.

ولما كانت لائحة السهندرين المذكورة في المشنا، تبين الخطوات التفصيلية التي يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة، فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره القديس مرقس عن محاكمة يسوع، تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار.

٢ - ولكن، هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السهندرين، ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحاكمة في منتصف ليلة عيد الفصح، أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقس لأسبوع الأحداث غير دقيق، فهل كان يمكن أن يجتمعوا في منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح؟ إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه، كما يشك أغلب العلماء تماماً في عقد جلسة في مثل ذلك الوقت، ولو لعمل تحقيقات مبدئية»^(٧٠).

المحاكمة الثانية أمام بيلاطس:

يقول مرقس: «وللوقت في الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.

فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال له: أنت تقول؟ وكان رؤساء الكهنة يشكون عليه كثيراً.

فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً أما تجيب بشيء؟ انظر كم يشهدون عليك.

^{٧٠} تفسير إنجيل مرقس: ص ٣٩٨-٤٠١.

فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس. وكان يطلق لهم في كل عيد أسيرا واحدا، من طلبوه. وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلا. فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم. فأجابهم بيلاطس قائلا: أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا. فهيج رؤساء الكهنة الجميع لكي يطلق لهم بالحري باراباس. فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم: فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟ فصرخوا أيضا: اصلبه. فقال لهم بيلاطس: وأي شر عمل؟ فازدادوا جدا صراخا: اصلبه. فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب» (١٥: ١-١٥).

يقول نينهام: «رغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت في العراء- فإن رواية القديس مرقس لا يمكن اعتبارها بأية حال تقريرا للشاهد عيان، وفي الواقع إنها ليست تقريرا على الإطلاق. إننا لم نخطر كيف علم بيلاطس بالتهمة (وفي العدد ٢ نجده قد عرفها من قبل) ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمي (على عكس لوقا الذي يقول: فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم- ٢٣: ٢٤). وبالنسبة لما قيل عن عادة إطلاق أحد المسجونين؛ فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه: لا يعرف شيئا عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا. إن القول بأن عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين في عيد الفصح، وأن الجماهير هي التي كانت تحدد اسمه بصرف النظر عن جريمته، إنما هو قول لا يسنده أي دليل على الإطلاق، بل إنه يخالف ما نعلمه عن روح الحكم الروماني لفلسطين وأسلوبه في معاملة أهلها.

على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضا، فيبدو منها أن بيلاطس قد ووجه مقدما بالاختيار بين مجرمين أدينا، بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر، وفي نهاية الفقرة التالية (الأعداد ٢- ٥) نجد أن يسوع لم يدن. وحسبما تذكره القصة لا نجد مبررا يمنع بيلاطس من تبرئة يسوع إذا كان قد اعتقد في براءته وإصدار عفو كذلك عن باراباس. ونجد في

رواية القديس متى لهذه القصة أن اسم ذلك المتمرد قد ذكر مرتين (في ٢٧: ١٦، ١٧) في أغلب النسخ على أنه: يسوع باراباس، والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية.

إن حذف كلمة يسوع من النسخ المتداولة بيننا يمكن شرحه ببساطة على أساس أنه بالرغم من أن اسم يسوع كان شائعاً في أيام المسيح. فلم يلبث المسيحيون أن اعتبروه اسماً مقدساً يرقى عن الاستخدام العادي، وأن إطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهيناً^(٧١).

ولقد أضاف متى إلى رواية مرقس قصتين: إحداهما تحكي نهاية يهوذا، وهذا الموضوع سوف نتعرض له في حينه، وأما الأخرى فهي الحديث عن حلم زوجة بيلاطس. كذلك بين متى أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب بطريقة قاطعة فهو يقول: «فقال الوالي وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً ليصلب. فلما رأى بيلاطس أن لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا.

حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب» (٢٧: ٢٣-٢٦).

لكن العلماء يشكون في حادث غسل يد بيلاطس - كما يقول جون فنتون - باعتبار أن «عملية غسل اليد لتكون دليلاً على البراءة إنما هي عادة يهودية أكثر منها رومانية، إذ يقول سفر التثنية: يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القرييين من المدينة أيديهم، ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم.

ومن المستبعد جداً أن يكون بيلاطس قد عمل شيئاً كهذا»^(٧٢).

نكتفي بهذا القدر بالنسبة لبعض ما يقال في المحاكمات والثغرات الموجودة فيها ثم نمر بعد ذلك على عدد من العناصر التي تتعلق بقضية الصلب، وهي لا تحتاج كثيراً للاستشهاد بأقوال العلماء، إذ أن اختلاف الأناجيل فيها واضح لا يحتاج إلى تعليق.

٨ - الصلب:

^{٧١} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤١١-٤١٦.

^{٧٢} تفسير إنجيل متى: ص ٤٣٦.

١ - حامل الصليب:

يقول مرقس: «ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلا مجتازا كان أتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه وجاءوا به إلى موضع جلجته الذي تفسيره موضع جمجمة» (١٥: ٢٠ - ٢٢).

ويتفق متى ولوقا مع مرقس في أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيرواني لكن يوحنا يقرر شيئا آخر فهو يقول: «حينئذ أسلمه إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة» (١٩: ١٦ - ١٧).

يقول نينهم: «لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب، بحمل صلبانهم بأنفسهم. . ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلا في حالة يسوع، ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية (مرقس ومتى ولوقا) أن شخصا مجهولا يدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلا من يسوع.

وبالنسبة لموضع جلجثة فإن التقاليد التي تقول إنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع، كما أنها لا تزال موضع جدل. ولقد اقترحت أماكن أخرى في عصرنا الحاضر، إلا أن القطع بواحد منها لا يزال بعيدا عن التحقيق»^(٧٣).

أي أن الحديث عن القبر المقدس الذي يقول المسيحيون إن المسيح دفن فيه، وكان سببا من الأسباب الظاهرة للحروب الصليبية التي ادعى مشعلوها أنها قامت لتخليص ذلك القبر المقدس من أيدي الكفرة والتي استمرت أكثر من ٢٨٠ عاما، وقتل فيها من المسيحيين والمسلمين عشرات الألوف، ودمر فيها الكثير من المدن وأسيلت فيها دماء الكثير من الأبرياء - كل هذا قام على غير أساس.

ب - شراب المصلوب:

يقول مرقس: «أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل» (١٥: ٢٣).

^{٧٣} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٢٢.

ويقول متى: «أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرّب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب» (٢٧: ٣٤).

ج- علة المصلوب:

يقول مرقس: «وكان عنوان علته مكتوباً: ملك اليهود» (١٥: ٢٦).

ويقول متى: «وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود» (٢٧: ٣٧).

ويقول يوحنا: «وكتب بيلاطس عنواناً ووضع على الصليب، وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك

اليهود» (١٩: ١٢).

يقول نينهم: «لقد اختلفت الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علته، فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان، بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة، وأن ما ذكره القديس مرقس بوجه خاص عن علته، إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد أعدم باعتباره المسيا»^(٧٤).

إن اختلاف الأناجيل في عنوان علة المصلوب - وهو ما لا يزيد عن بضع كلمات بسيطة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون - إنما هي مقياس لدرجة الدقة لما ترويه الأناجيل. وطالما كان هناك اختلاف - ولو في الشكل كما في هذه الحالة - فإن درجة الدقة لا يمكن أن تصل إلى الكمال بأي حال من الأحوال. وقياساً على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل من ألقاب المسيح، وخاصة عندما ينسب إنجيل إلى أحد المؤمنين به قوله: كان هذا الإنسان باراً، بينما يقول إنجيل آخر في نفس الوقت: كان هذا الإنسان ابن الله. أو عندما يقول أحد الأناجيل على لسان تلميذ للمسيح: يا معلم، ويقول إنجيل آخر: يا سيد، بينما يقول ثالث: يا رب.

إن الحقيقة تبقى هنا دائماً محل خلاف!

د - اللسان والمصلوب:

يقول مرقس: «وصلبوا معه واحداً عن يمينه وآخر عن يساره. . . واللذان صلبا معه كانا يعيرانه»

(١٥: ٢٧ - ٣٢).

^{٧٤} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٢٤.

ويتفق متى مع مرقس في أن للصين كانا يعيرانه ويستهنئان به.
لكن لوقا يقول: «وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا.

فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله.
ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (٢٣: ٣٩ - ٤٣).

لقد اختلفت الأناجيل في موقف اللصين من المصلوب. .

هـ - وقت الصلب:

يقول مرقس: «وكانت الساعة الثالثة فصلبوه» (١٥: ٢٥).
لكن يوحنا يقول: «إن ذلك حدث بعد الساعة السادسة: «وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة.

فقال (بيلاطس) لليهود هو ذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه.

فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب» (١٩: ١٤ - ١٦).

يقول نينهم: «منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقس إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية الأحداث أو التوقيات مثل: (إنكار بطرس ثلاث مرات ١٤: ٦٨، ٧٢ وقت الصلب الساعة الثالثة ١٥: ٢٥ - وقت الظلمة من السادسة إلى التاسعة ١٥: ٣٣، ٣٤).

وفي هذا المثل على الأقل فإن الحساب يبدو مصطنعاً، إذ أنه من الصعب أن كل ما روت الأعداد (١٥: ١ - ٢٤) (منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب) يمكن حدوثه في فترة الثلاث ساعات.
ويبين إنجيل يوحنا (١٩: ١٤) بوضوح أن ذلك لم يحدث»^(٧٥).

^{٧٥} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٢٤.

و- صلاة المصلوب:

يقول لوقا: «ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره.

فقال يسوع: يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (٢٣: ٣٣ - ٣٤).

لقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التي حذفها الأناجيل الأخرى، بل وبعض النسخ الهامة التي تنسب للوقا أيضا.

ويقول جورج كيرد: «لقد قيل إن هذه الصلاة ربما تكون قد حيت من إحدى النسخ الأولى لإنجيل (لوقا) بواسطة أحد كتبة القرن الثاني، الذي ظن أنه شيء لا يمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود. ولملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم في عامي ٧٠، ١٣٥ صار من المؤكد أن الله لن يغفر لهم»^(٧٦).

ز - صرخة اليأس على الصليب:

يقول مرقس: «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: «الوي الوي لما شبقنتي»، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني» (١٥: ٣٢ - ٣٤).

لكن لوقا يقول: «نادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي» (٢٣: ٤٦).

بينما يقول يوحنا: «لما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل» (١٩: ٣٠).

إن صرخة اليأس على الصليب تثير عددا من المشاكل التي كانت ولا تزال موضع جدل بين العلماء، فالبعض يقول: «يبدو أن القديسين لوقا ويوحنا قد رأيا في كلماتها غموضا واحتمالا لسوء الفهم ولذلك حذفها، ثم استبدلها أحدهما بقوله: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، بينما قال الآخر: قد أكمل..».

^{٧٦} تفسير إنجيل لوقا: ص ٢٥٠.



وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذا الرأي يفترض الراوية الذي كان شاغله الأول أن يذكر الحقيقة التاريخية، ويسجل بأمانة للأجيال القائمة كلاما مزعجا يتعذر تفسيره. .

ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقرون تأويلًا مختلفًا تمامًا، يقوم على حقيقة أن هذه الكلمات (اليائسة) إنما هي اقتباس من (المزمور ٢٢: ١). وإذا أخذنا هذا المزمور ككل، فإنه لا يمكن أن يكون صرخة يأس بأي حال من الأحوال، إنما هو صلاة لعبد بار يعاني آلاما، إلا أنه يثق تماما في حب الله وحفظه من الشر، وهو مطمئن تماما إلى حمايته»^(٧٧).

ح - في أعقاب الصلب:

يقول مرقس: «انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله» (١٥: ٣٨ - ٣٩). ويقول متى: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (٢٧: ٥١ - ٥٣). ويقول لوقا: «أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه. فلما رأى قائد المائة ما كان، مجد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً» (٢٢: ٤٥ - ٤٧). أما يوحنا فإنه لا يعلم شيئاً عن ذلك.

يقول جورج كيرد: «إن حدوث كسوف للشمس (حسب رواية لوقا) بينما يكون القمر بدرا، كما كان وقت الصلب، إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث. . ولقد كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان^(٧٨) بسبب تعاسته»^(٧٩).

^{٧٧} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

^{٧٨} يلاحظ أن هذا الكلام كلام «جورج»، ولا يُقر عليه.

^{٧٩} تفسير إنجيل لوقا: ص ٢٥٣.

ويقول نينهام: «لقد قيل إن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحرار الكبار وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة الوثنية وخاصة عند موت يوليوس قيصر»^(٨٠).

ويقول جون فنتون: «لقد أضاف متى إلى ما ذكره مرقس حدوث الزلزلة وتفتح القبور وقيامه القديسين من الأموات وظهورهم لكثيرين في أورشليم بعد قيامة يسوع، وكان قصده من إضافة هذه الأحداث أن يبين أن موت يسوع كان عملاً من صنع الله»^(٨١).

الحق الذي لا مرية فيه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت صغير أو كبير. ...لقد مات إبراهيم، وكسفت الشمس في نفس اليوم، وربط الناس بين الحدثين، فلو كان الرسول يريد التأييد ولو عن طريق الأكاذيب، لصمت عن ذلك. لكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -برأه الله - يرفض كل أكذوبة من كل لون لتأييده، ولهذا صعد المنبر وقال: «أيها الناس، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد أو لحياته. فإذا رأيتم شيئاً من ذلك، فادعوا الله واصلوا».

ط - شهود الصلب:

لعل هذه واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، وإنها لترينا أن شهود الصلب كن نساء وقفن ينظرن من بعيد ذلك الذي علق على الصليب، ولم تكن هناك فرصة للتحقق والمعاينة عن قرب. يقول مرقس: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة. اللواتي أيضاً تبعنه وخدمته حين كان في الجليل. وأخر كثيرات صعدن معه إلى أورشليم»^(١٥: ٤٠ - ٤١).

وكذلك يقول متى في (٢٧: ٥٥ - ٥٦).

ويقول لوقا: «وكان جميع معارفه ونساء كن تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك»^(٢٣: ٤٩).

^{٨٠} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٢٧.

^{٨١} تفسير إنجيل متى: ص ٤٤٤.

ويقول يوحنا: «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» (٢٥ : ١٩).

ويقول جون فنتون: «لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة، فإننا لا نسمع عنه شيئاً أكثر من هذا، بعد إنكاره ليسوع. إن مرقس ومتى ولوقا يخبروننا أن شهود الصلب كن نساء تبعن يسوع من الجليل إلى أورشليم، وقد رأين دفنه، واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد، وقابلن يسوع (بعد قيامته)»^(٨٢).

ويعلق العلماء على ما قاله يوحنا عن وجود مريم أم المسيح عند الصليب بقولهم: «إنه من غير المحتمل أساساً أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصليب»^(٨٣).

كذلك تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على اختلاف الأناجيل في شهود الصلب: «نجد في الأناجيل (الثلاثة) المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع، وأن القائمة التي كتبت بعناية واستفاضة لا تضم والدته - وأنهن كن ينظرن من بعيد» (مرقس ١٥ : ٤٠).

ولكن في يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب تحت الصليب، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ المحبوب إلى خاصته.

هذا بينما لا تظهر والدته في أورشليم - حسبما ذكرته المؤلفات القديمة - إلا قبيل عيد العنصرة وفي رفقة إخوته (أعمال الرسل ١ : ١٤)^(٨٤).

من ذلك نتبين أن شهود الأحداث الرئيسية التي قامت عليها العقائد المسيحية وهي الصلب، والقيامة، والظهور، إنما كن - على أحسن الفروض - نساء شاهدن ما شاهدن من بعيد، ثم قمن بعد ذلك بالرواية والتبليغ...!

^{٨٢} تفسير إنجيل متى: ص ٤٥٥.

^{٨٣} تفسير إنجيل مرقس: ص ٤٣١.

^{٨٤} ج ١٣، ص ٩٩.

التعليق على أحداث الصلب:

والآن يحق لنا التعليق على أحداث الصلب فنقول: إن اعتماد كتاب أحد الأناجيل على ما رواه كاتب إنجيل آخر، كان أولى به أن يوجد تآلفا بين الأناجيل، ويمنع التناقض والاختلاف بينها. ولكن ما حدث كان على النقيض من ذلك.

وإذا أخذنا بما ترويهِ الأناجيل عن الصلب وأحداثه، لوجدناها قد اختلفت فيه من الألف إلى الياء.

ويكفي أن يراجع القارئ ما ذكرته الأناجيل عن حادث القبض وملابساته - المحاكمات - توقيت الصلب (اليوم والساعة) - صرخة اليأس على الصليب - شهود الصلب، كل ذلك وغيره كثير يكفي للقول بأن الأناجيل اختلفت فيما بينها اختلافا بعيدا. وهو اختلاف يكفي لرفضه ما يذكره أحد الأناجيل - على الأقل - إذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر. فأيهما نأخذ به، وأيهما نرفضه؟ رب قارئ درج على الإيمان التقليدي بما ترويهِ الأناجيل، لا يجد مفرا الآن من أن يقول: «إنما العلم عند الله»!!.

نهاية يهوذا الخائن

لقد انفرد إنجيل متى - دون بقية الأناجيل - بالحديث عن نهاية يهوذا، كذلك تحدث سفر أعمال الرسل الذي سطره لوقا عن كيفية هلاكه. ولنرجع الآن إلى هذين المصدرين لنرى كيف هلك يهوذا، وما إذا كانا قد اتفقا في الحديث عن هذا الجزء الخطير، والذي له علاقة مؤكدة بقضية الصلب أم أنها اختلفا كالعادة.

يقول متى: «حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دينَ ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا فقالوا ماذا علينا، أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي هذا الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم.

حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب - ٢٧: ٣ - ١٠).

ويقول جون فنتون: «إن متى يستخدم الفترة ما بين قرار السهندرين والمحاكمة أمام بيلاطس، في أخبار قرائه عن نهاية يهوذا. وعند هذه النقطة نجد أن متى لا يتبع مرقس الذي لم يورد أي ذكر ليهوذا بعد القبض على يسوع. ويذكر متى أن يهوذا غير رأيه بعد أن رأى يسوع قد دين، فأرجع النقود إلى أعضاء السهندرين واعترف لهم بجرمه. ثم هو يضع النقود في خزانة الهيكل، ويمضي ليخنق نفسه. ويقول رؤساء الكهنة إنه طالما كانت تلك النقود ثمنًا لحياة، فلا يحل وضعها في خزانة الهيكل، ولهذا يشترون بها قطعة من الأرض مقبرة للغرباء. وهذا يحقق نبوءة يرجعها متى إلى أرميا (خطأ) ولكنها في الواقع من كتاب زكريا الذي لعب من قبل دورا هاما في رواية متى.

ولقد سجل لوقا موت يهوذا في (أعمال الرسل ١: ١٨)، وتتفق روايته مع رواية متى في جزء منها، بينما تختلف في جزء آخر»^(٨٥).

إننا قبل أن نذهب لمعرفة ما سجله لوقا عن موت يهوذا في سفر أعمال الرسل نجربنا جون فنتون: أنه اتفق مع متى في جزء من الرواية، وخالفه في جزء آخر، كما أن متى أرجع قصة حقل الدم إلى نبوءة ظنها - خطأ - من سفر أرميا بينما هي لها شبيهة في سفر زكريا.

وتقول رواية لوقا المشار إليها في سفر أعمال الرسل: «في تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ. وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين. فقال أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقال بفم داود عن يهوذا. فإن هذا اقتنى حقلاً من أجره الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم؛ لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» (١: ١٥ - ٢٠).

^{٨٥} تفسير إنجيل متى: ص ٤٣١.

فعلى حسب رواية لوقا تجد - كما يقول جون فنتون -: «أن يهوذا نفسه الذي يشتري الحقل ثم هو يموت هناك، ولهذا سمي ذلك الحقل حقل دم. إن هذا يعني: إما أن كلاً من متى ولوقا كان لديه مدخلاً مستقلاً لمثل تلك القصص عن يهوذا، أو أن لوقا اختصر رواية متى وأدخل إليها بعض التغييرات»^(٨٦).

وسواء أكان هذا أو ذاك، فإن هذا واحد من بين مئات الأدلة على أننا نتعامل مع كتب مؤلفة بكل معنى الكلمة، لا علاقة لها بوحى الله.

إن ما اتفق عليه متى ولوقا - وصمت عنه مرقس ويوحنا - هو أن يهوذا الخائن قد هلك في ظروف مريبة، لكن روايتها اختلفت في ثلاثة عناصر هي:

الأول: يتعلق بكيفية موته، وفيها يروي متى أن يهوذا قد انتحر بخنق نفسه، بينما يروي لوقا أنه مات ميتة دموية، انشق فيها وسطه وانسكبت جميع أحشائه.

الثاني: ويتعلق بمشتري الحقل، فيروي متى أن رؤساء الكهنة هم الذين اشتروه، بينما يروي لوقا أن يهوذا كان هو الشاري.

الثالث: كذلك اختلفت روايتا متى ولوقا في سبب تسمية الحقل باسم: حقل دم، فرواية متى ترجع ذلك لكونه اشترى بنقود كانت ثمناً لبيع دم بريء، بينما يرد لوقا تلك التسمية إلى الميتة الدموية التي ماتها يهوذا.

إن ما يذكره متى ولوقا عن هلاك يهوذا لا يعني إلا شيئاً واحداً هو: أن يهوذا قد اختفى في فترة الاضطراب التي غشيت أحداث الصلب وملابساته».

يقول العلامة رشيد رضا في تفسير المنار (٦/ ٣١):

«ومن الشواهد على التعارض والتناقض في قصة الصلب منها: أن أصل هذه العقيدة أن المسيح بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر، مع أن هذه الأناجيل تصرح بأنه حزن واكتأب عندما شعر بقرب أجله، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس، ففي متى: (٣٧: ٢٦) «ثم أخذ معه بطرس،

^{٨٦} تفسير إنجيل متى: ص ٤٣١.

وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب (٣٨) فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا هنا، واسهروا معي (٣٩) ثم تقدم قليلا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا. بل كما تريد أنت. فمضى أيضا ثانية، وصلى قائلاً: يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك».

ومثل هذا في لوقا: (٢٢: ٤٣ - ٤٥) فكيف يقول المسيح هذا، وهو إله عندهم؟ فهل يمكن أن يجهل ما يمكن، وما لا يمكن، وأن يطلب إبطال الطريقة التي أراد الأب - وهو هو عندهم - أن يجمع بها بين عدله ورحمته؟^(٨٧).

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا: إنهما صلبا معه، قال مرقس: (١٥: ٢٧) وصلبوا معه لصين؛ واحدا عن يمينه، وآخر عن يساره (٢٨) فتم الكتاب القائل: «وأحصى مع أثمة» إلى أن قال: واللذان صلبا معه كانا يعيرانه. وكذلك قال متى: (٤٤: ٢٧) وأما لوقا فقد سمى الرجلين اللذين صلبا معه: مذنبين، ولكنه قال: (٢٣: ٣٩) وكان واحد من المذنبين المعلقين معه يجدف عليه قائلاً: «إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا (٤٠) فأجاب الآخر وانتهره» إلخ.

وفيه أن المسيح بشر هذا بأنه يكون معه في الفردوس ذلك اليوم، فكانت نبوة الكتاب (المراد به أشعيا) أنه يصلب مع أثمة بصيغة الجمع ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك، ولكن كيف يقول اثنان من الإنجيليين المعصومين على رأيهم: إن الذي عيره وأهانته هو أحدهما، والآخران وهما مثله في عصمته يقولان: بل كلاهما عيراه؟ ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة، ومن أظهرها: مسألة دفنه ليلة السبت وقيامه من القبر قبل فجر يوم الأحد، مع أن البشارة أنه يكون في بطن الأرض ثلاثة أيام بلياليها، وهي مدة يونان في بطن الحوت.

ومنها: مسألة النساء اللواتي جئن القبر، وفيها عدة خلافات في وقت المجيء، ورؤية الملك أو الملكين ورؤيته هو إلخ» انتهى.

وقال - رحمه الله - في بيان تناقض الأناجيل في قصة القيامة! تفسير المنار (٦ / ٣٧):

^{٨٧} فضلا عن صراخه على الصليب! كما في إنجيل متى (٢٧: ٤٦) إلهي إلهي، لماذا تركتني).

«...يقولون: إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر للنساء ولتلاميذه ولأناس آخرين، وأرى بعضهم أثر المسامير في جسده، وقد اتفقت على قيامه جميع الأناجيل، فكيف يجمع بين هذا وبين القول بأن الذي صلب غيره؟»

ونقول:

«أولا»: إنه لا ثقة لنا برواية هذه الأناجيل، وبيننا الدلائل على عدم الثقة بها بالاختصار، ومنها تعارضها في هذه المسألة ونبينها هنا بشيء من التطويل.

و«ثانياً»: إنه يحتمل أن يكون لهذه الدعوى سبب ثم توسع القوم فيها كما هي عادتهم في الروايات عن العجائب والمستغربات حتى تسنى لبولس ومريديه أن يفرغوها في هذا القالب الذي نراه في كتب العهد الجديد، وسترى بيان هذا قريباً.

أما البيان الأول: ففي إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى (أي أم يعقوب) جاءتا وقت الفجر لتنظرا القبر فوجدتا الملك قد دحرج الحجر وجلس عليه فأخبرهما أن يسوع قام منه وسبق تلاميذه إلى الجليل، وهناك يرونه، فذهبتا لتخبرا التلاميذ، فلاقهما يسوع، وسلم عليهما، وقال لهما كما قال الملك (راجع ٢٨ متى وهو الفصل الأخير).

وفي الفصل الأخير من مرقس أن النساء كن ثلاثاً، الثالثة سالومة، وأنهن جئن القبر عند طلوع الشمس، وأنهن رأين الحجر مدحرجاً ولم يقلن كمتى: إن الملك كان قاعداً عليه، بل قال: إنهن وجدن في القبر شاباً عن اليمين، وإنه قال لهن: «اذهبن، وقلن لتلاميذه، ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل» فزاد عطف بطرس على التلاميذ، وقال: إنهن هربن ولم يقلن لأحد شيئاً؛ إذ أخذتهن الرعدة والخيرة وكن خائفات، ثم قال: إنه ظهر أولاً لمريم المجدلية (أي دون من كان معها خلافاً لمتى) فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا، ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنتين وهما منطلقان إلى البرية، فأخبرا الباقيين فلم يصدقوا (١٤) أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام، وهذا مما زاده على متى.

وأما لوقا فلم يقل: إن النساء اللواتي جئن لافتقاد القبر هن الثلاث اللواتي ذكرهن مرقس، ولا الثنتان اللتان اقتصر عليهما متى، بل ذكر أنهن نساء كن جئن من الجليل مع يوسف الذي دفن يسوع، ونظرن القبر والدفن. وأنهن جئن أول الفجر، لا عند طلوع الشمس، كما قال مرقس، وأنهن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن القبر، ولم يجدن الجسد فيه، ولم يقل إنهن وجدن شابا فيه عن اليمين، كما قال مرقس، ولا الملك على الحجر خارجه، كما قال متى. بل قال إنهن بيننا كن متحيرات إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقعة، وقال لهن: لماذا تطلبن الحي بين الأموات (وهذا تعبير قد يؤيد قول من قالوا: إنه لم يمت وذكرهن بقوله: إنه يسلم ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم. ولم يأمرهن بإخبار التلاميذ بأن يسبقوه إلى الجليل، وأنهم هناك يرونه، كما قال متى ومرقس، وقال: إنهن رجعن وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقيين بهذا كله).

فخالف مرقس الذي قال: إنهن لم يقلن شيئا. وقال: إن هؤلاء النسوة هن مريم المجدلية وبونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن. وإن التلاميذ وجميع الباقيين لم يصدقوهن؛ إذ تراءى لهم كلامهن كالهذيان.

ثم ذكر أنه (أي يسوع) مشى مع اثنين منهم كانا منطلقين إلى قرية عمواس، وهي على ٦٠ غلوة من أورشليم (خلافًا لمرقس الذي قال: لاثنتين منطلقين إلى البرية) وقال: إن أعينهما أمسكت عن معرفته، وأنهما ذكرا قصته، وأنه كان «إنسانا نبيا» وأنه وبخهما ووصفهما بالغباوة وبطء القلوب في الإيمان، وأنهما ضيفاه في القرية، وأنه لما اتكأ معهما وأخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما، انفتحت أعينهما، فعرفاه، ثم اختفى عنهما، وأنهما في تلك الساعة رجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر (هكذا مع أن الظاهر أنهما منهم فيكون الباقي تسعة) مجتمعين هم والذين معهم، ويقولون: إنه ظهر لسمعان. فأخبراهم خبرهما. ولم يلبث أن ظهر لهم، وأكل معهم.

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فذكر في الفصل (٢٠) أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر باكرا، والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعا، فركضت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر. فركضا إلى القبر، ودخلا فيه؛ فرأيا الأكفان موضوعة،

وكانت مريم تبكي خارج القبر، ثم انحنت إلى القبر فنظرت ملكين جالسين ؛ واحدا عند الرأس، والآخر عند الرجلين، وبعد الكلام معهما عن سبب بكائها، التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفا فلم تعرفه، وظنت أنه البستاني، ثم تعرف إليها، وأمرها أن تخبر التلاميذ بقوله: «إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» فأخبرتهم.

ثم ذكر أن التلاميذ كانوا مجتمعين عشية ذلك اليوم، والأبواب مغلقة، خوفا من اليهود، فجاء يسوع ووقف في الوسط وسلم عليهم. وأن توما لم يكن معهم فظهر له بعد ثمانية أيام، ثم ذكر في الفصل (٢١) أنه أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية فلم يعرفوه أولا، ثم اصطادوا سمكا بأمره وحضر غداءهم.

هذا ملخص دعوى قيام يسوع من القبر برواية الأناجيل الأربعة، ويرى المتأمل فيها أنها متعارضة متناقضة. ومن الغريب أنه لم يصرح أحد منهم، بأنه ظهر لهم في الجليل، كما نقلوا عنه وعن الملك أو الملكين. والقاعدة الأصولية في المتعارضين إذا لم يمكن الجمع بينهما، ولا ترجيح أحدهما على الآخر أن يقال: «تعادلا فتساقطا» وبهذه القاعدة التي لا مندوحة عن القول بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في هذه الأناجيل - اتقاء الوقوع في الترجيح بغير مرجح، نقول: إن روايات الأربعة ساقطة لا يعتد بشيء منها.

تنبؤ المسيح بنجاته:

بعد ما ذكرنا لك أخانا القارئ الكريم تناقض الأنجيل بشأن قصة الصلب المزعومة «وهي واحدة من أخطر القضايا النصرانية باعتبارها صارت ركيزة من ركائز العقيدة التي تبناها بولس، وصار لها السيادة فيما بعد، ولم تكن على الإطلاق من وصايا المسيح ولا من رسالته. وماذا رأينا فيها؟ رأينا أن هذه المصادر النصرانية -وهي الأنجيل- قد اختلفت تماماً في كل جزئية تتعلق بموضوعات الصلب. وقلنا -من قبل- إننا نتبع في دوائرنا القضائية في كل بلد من بلاد العالم، أنه عندما تختلف شهادة الشهود، ترفض على الفور شهاداتهم.

كذلك فإن السمة الواضحة والعامل المشترك بين هذه المصادر المسيحية، شيء واحد، هو أن كل ما كتب قام على ظن وعلى تناقض يتناقض بعضه مع بعض، وينقض بعضه بعضاً. وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحالة في آية من آياته، وذلك من معجزات القرآن فقد قال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

لقد وجدنا أن كل ما كتب وخاصة ابتداء من قضية الصلب، وملحقاتها وهي القيامة والظهور، قد اختلف فيه كتبه الأنجيل جميعاً من الألف إلى الياء^(٨٨). والآن نذكر لك إن شاء الله شهادة الكتاب المقدس -عند النصارى- بنجاة المسيح من الصلب على لسان المسيح نفسه! عملاً بما ورد في إنجيل لوقا (١٩ / ٢٢) «مَنْ فَمَكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ».

جاء في المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١١٤):

«المسيح يرفض كل محاولة لقتله:

منذ أن بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم فيها نجد الأنجيل تذكرنا بين الحين والحين برفضه فكرة قتله واستنكارها تماماً، ثم هو قد عمل كثيراً لإحباط جميع المحاولات التي رآها تبذل من اليهود لقتله.

^{٨٨} بتصرف يسير من المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١٢٧).

يقول إنجيل يوحنا: «أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني لماذا تطلبون أن تقتلوني..؟»

لكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد حدثكم الحق الذي سمعته من الله. هذا لم يعمله إبراهيم» (١٦: ٧ - ١٩، ٣٧: ٨ - ٤٠).

ولأن المسيح إنسان عادي ككل البشر فإنه لا يدري ما يحدث في المستقبل، ولذلك اتخذ من الاحتمالات ما يجنبه الوقوع في براثن أعدائه من اليهود. ولو كان يعلم أنهم سيقبضون عليه في يوم معين، فلم - إذن - تلك الاحتمالات؟ يقول إنجيل يوحنا: «كان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهود لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه» (١: ٧).

«فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية» (١١: ٥٣ - ٥٤).

هذا - ونكتفي الآن بذكر عدد من التنبؤات الواضحة التي قالها المسيح بنجاته من القتل، والتي تتفق وتلك الاحتمالات التي اتخذها للمحافظة على حياته.

١ - حدث ذات مرة في إحدى محاولات القبض عليه أن «أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه.

فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي للذي أرسلني.

ستطلبوني ولا تجدونني، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يوحنا ٧: ٣٢ - ٣٤).

لا نظن أحدا يشك في وضوح هذا القول الذي يعني أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجده لأنه سيمضي للذي أرسله، أي سيرفعه الله إليه كما سبق أن رفع إيليا (إلياس) وشاهده تلميذه الإشع (اليسع) وهو يصعد إلى السماء.

٢ - وفي موقف آخر من مواقف التحدي بين المسيح واليهود، أكد لهم نبوءته السابقة وأن

محاولاتهم ضده ستنتهي برفعه إلى السماء:

«قال لهم يسوع أيضا أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا».

فقال اليهود أعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟
فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني . .

والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنا ٨: ٢١ - ٢٩).

لكن ذلك المصلوب صرخ يائسا على الصليب قائلاً: إلهي إلهي لماذا تركتني؟^(٨٩)
٣ - ولقد كانت آخر أقوال المسيح لتلاميذه في تلك اللحظات التي سبقت عملية القبض مباشرة، وهو تأكيدهم أن الله معه دائماً ولن يتركه:

^{٨٩} فلم يسمع له! أما المسيح فإن الله يسمع له، «وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي» (يوحنا ١١/٤٠)، ويؤكد كاتبة رسالة العبرانيين بقوله: «الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وُسِّع له من أجل تقواه» (عبرانيين ٥/٧).

والذي صرخ على الصليب هو الدودة الحفيرة الذي لم يسمع الله له كما في المزمير (١٢٢/١-١٨): «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي؟ عن كلام زفيري؟ إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدؤ لي، وأنت القدوس الجالس بين تسييحات إسرائيل، عليك اتكل آباؤنا، اتكلوا فنجيتهم، إليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يَجْزُوا».

أما أنا فدودة لا إنسان، عارٌّ عند البشر، ومحتقِرُ الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي، يغفرون الشفاه، ويُغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجيه، لينقذه، لأنه سُرَّ به... لأنه قد أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتفتني، ثقبوا يدي ورجلي، أخصى كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرسون فيّ، يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقتربون».

يقول الدكتور منقذ السقار: «نلاحظ أن كلمة «عار» تلحق بالشخص نفسه، لا الصليب الواقع عليه، فهو العار، وهو الدودة، وحاشا للمسيح العظيم أن يكون دودة أو عاراً، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم».

لقد مجد الله المسيح فلم يكن عاراً، بل كان فخراً وعزاً، وإن تاهت عنه عيون البعض، فرأوا مجده عاراً، ونجاته خزيّاً، لقد غفلوا عن النبوة القائلة: «استجب لي يا إله بَرِّي، في الضيق رحبت لي، تراءف عليّ واسمع صلاتي، يا بني البشر، حتى متى يكون مجدي عاراً؟ حتى متى تحبون الباطل، وتبتغون الكذب؟ سلاه، فاعلموا أن الرب قد ميّز تقيّه، الرب يسمع عندما أدعوه» (المزمور ٤/١-٣)، فخلاصه عليه السلام هو المجد الذي لم يؤمن به النصارى، واعتبروه عليه السلام لعنة وعاراً، لكنه كذب وباطل، فقد سمع الله دعاء تقيّه ومسيحه» انتهى من كتابه: «هل افتدانا المسيح على الصليب» (ص: ٦٩).

«هو ذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يوحنا ١٦: ٣٢ - ٣٣).
ومن المؤكد أن ذلك المصلوب قد تركه إلهه، كما قال بلسانه في صرخته اليائسة، ومن المؤكد كذلك أن ذلك المصلوب قد غلبه أعداؤه وقهره الموت وأخضعه لسلطانه.

٤ - وفي آخر مواجهة عاصفة حدثت بين المسيح والكهنوت اليهودي كان قوله:
«إني أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب. ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل» (متى ٢٣: ٣٩، ٢٤: ١).

إن التحدي في هذا القول واضح، ذلك أن المسيح يؤكد لأعدائه أنهم لن يروه منذ تلك الساعة حتى يأتي في نهاية العالم «بقوة ومجد كثير». لكن ذلك المصلوب رآه الكهنوت اليهودي أسيرا في قبضته أثناء المحاكمة، ثم رأوه بعد ذلك معلقا على الخشبة قتيلا قد أسلم الروح والمشية، ولم يبق منه إلا جسد خامد فقد نبض الحياة.

وأستعير لغة المسيح في الإنجيل، اكتفاء بهذا القدر فأقول: «من له أذنان للسمع فليسمع، ومن يسمع فعليه أن يعقل...».

عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية

قد تبين لك أخانا القارئ بما مضى أن عقيدة الصلب والفداء! عقيدة باطلة، قد تناقض كتابهم فيها، بل أثبت بطلانها؟!، فمن أين جاؤوا بها؟!

يجيب عن هذا علامة الأزهر الاستاذ محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٦ / ٢٧):

«عقيدة الصلب والفداء وثنية:

اعترف أمامنا كثير من الذين قالوا: إنهم نصارى، بأن كلا من هذه العقيدة، وعقيدة التثليث لا تعقل، وأن العمدة عندهم النقل عن كتبهم المقدسة، فلما كانت تلك الكتب ثابتة عندهم وجب أن

يقبلوا جميع ما فيها، سواء عقل أم لم يعقل، ويقول بعضهم: إن كل دين من الأديان فيه عقائد وأخبار يجزم العقل باستحالتها، ولكنها تؤخذ بالتسليم.

ونحن نقول: إنه ليس في عقائد الإسلام شيء يحكم العقل باستحالتها، وإنما فيه أخبار عن عالم الغيب لا يستقل العقل بمعرفتها؛ لعدم الاطلاع على ذلك العالم، ولكنها كلها من الممكنات أخبر بها الوحي، فصدقناه، فالإسلام لا يكلف أحدا أن يأخذ بالمحال.

وأما نقلهم هذه العقيدة عن كتبهم... فهو معارض بنقل مثله عن كتب الوثنيين وتقاليدهم، فهذه عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من الوثنيين، كما بينه علماء أوربة الأحرار، ومؤرخوهم، وعلماء الآثار والعاديات منهم في كتبهم.

قال (دوان) في كتابه: «خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى» (ص ١٨١، ١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص:

«إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة، قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين، وغيرهم» وذكر الشواهد على ذلك:

منها قوله: يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البكر، الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء - على رأيهم - تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

وذكر أن (مستر مور) قد صور كرشنا مصلوبا، كما هو مصور في كتب الهنود، مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقا. ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب، والنصارى تقول: إن يسوع صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك.

وقال (هوك) في ص ٣٢٦ من المجلد الأول من رحلته: «ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة، وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة».

وقال (مورينورليمس) في ص ٣٦ من كتابه (الهنود): ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء في مناجاتهم، وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد «الكياتري» وهو: إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أُمِّي بالإثم، فخلصني يا ذا العين الحندوقية، يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب».

وقال القس «جورك كوكس» في كتابه «الديانات القديمة» في سياق الكلام عن الهنود: «يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة».

ونقل هيجين عن (أندرادا الكروزويوس) وهو أول أوربي دخل بلاد النيبال والتبت، أنه قال في الإله (أندرا) الذي يعبدونه: «إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير، لكي يخلص البشر من ذنوبهم، وإن صورة الصليب موجودة في كتبهم».

وفي كتاب جورجوس الراهب صورة الإله «أندرا» هذا مصلوبا، وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة الطول، فالرأسي أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلي أطولها، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة أنها تمثل شخصا.

هذا، وأما ما يروى عن البوذيين في «بوذا» هو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح، من جميع الوجوه. حتى إنهم يسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون: إنه إنسان كامل، وإله كامل تجسد بالناسوت، وإنه قدم نفسه ذبيحة ؛ ليكفر ذنوب البشر، ويخلصهم من ذنوبهم، فلا يعاقبون عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات.

بين ذلك كثير من علماء الغرب، منهم (بيل) في كتابه (تاريخ بوذا) و (هوك) في رحلته و (مولر) في كتابه (تاريخ الآداب السنسكريتية) وغيرهم.

ومن أراد المقابلة بين إله النصارى، وآله الوثنيين الأولين في الشرق والغرب، فعليه أن يقرأ كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»^(٩٠)، فهل يتصور من مسلم هداه الله بالإسلام إلى التوحيد الخالص، والدين القيم دين العقل والفطرة المبني على تكريم نوع الإنسان أن يستحب العمى على الهدى، فيرضى لنفسه التخبط في ظلمات العقائد الوثنية؟! انتهى.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن!، من الذي أدخل هذه العقيدة الوثنية في هذه الديانة؟! إنه القائل: «إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه» (كورنثوس الأولى ٩: ١٩ - ٢٣).

فهو يظهر بكل لون وبكل شكل ليربح من أتباع كل لون ومن أتباع كل شكل قوماً!، فيكون للوثنيين الرومانيين الذين انتشرت وثنتهم في عصره وثنيا ليربح الوثنيين.

هل تعلم من القائل أخانا؟!!

الجواب: إنه بولس مغير دين المسيح!!!

^{٩٠} كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» تأليف: محمد بن طاهر التنير البيروتي.

جاء في التعريف بهذا الكتاب: «يهدف الكاتب في هذا الكتاب إلى إبراز التشابه أو التطابق بين العقائد التي كانت عند الأمم الوثنية السابقة للديانة المسيحية، وما أدخل على المسيحية من عقائد وطقوس وشعائر، أي أن الكتاب يهدف إلى كشف الأصول الوثنية للتحريفات والتلفيقات التي أدخلت في الديانة النصرانية، وشكلت أهم عناصر منظومتها العقائدية والشعائرية. جاء الكتاب في ثمانية عشر فصلاً كشف فيها المؤلف بالوثائق أو النصوص أن عقيدة (التثليث) - التي هي أساس الديانة المسيحية المعاصرة ومحورها ومرتكزها - مأخوذة أخذاً مباشراً من الوثنيات الشرقية القديمة؛ كما أن عقيدة التثليث قد عرفت طريقها إلى كل الأمم الوثنية القديمة شرقية وغربية؛ فوجدت في مصر والهند والصين وبابل، والأمم الغربية القديمة، فقد (كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية القديمة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي).

الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب^(٩١)؛

إن الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب وسفك الدم، فتلك نظرية بولسية أقحمها بولس في مسيحية المسيح الحقّة. وهذا شيء نستطيع تبيانه من الأناجيل:

١ - بينما كان المسيح يسير خارجا «إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟

فقال له: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا. قال له: أية الوصايا؟

فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك.

قال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حدثتي، فماذا يعوزني بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاك واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (متى ١٩: ١٦ - ٢١).

ومن الملاحظ أن المسيح قبل أن يجيب السائل إلى سؤاله، فقد صحح صيغة السؤال، فنفى الصلاح عن نفسه، ورده إلى الله الذي تفرد في ذاته وصفاته. وبذلك قرر المسيح على رؤوس الأشهاد أن «الله المثل الأعلى في السموات والأرض»، وأن أي خلط بين الله - سبحانه - وبين المسيح، إنما هو قول مردود وكفر مرفوض.

ومن ذلك يتبين أن الخلاص الحق يقوم على الإيمان بالله الواحد، ثم العمل الصالح. ولا مجال للحديث هنا عن الصلب أو الصليب، فتلك كلها مسميات قال بها بولس وتلاميذه، ما أنزل الله بها من سلطان.

٢ - في يوم الدينونة تكون النجاة بالعمل الصالح بعيدا عن الصلب وفلسفاته، بل وحتى اسمه. فهناك «يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأنني جعت

^{٩١} المناظرة بين الإسلام والنصرانية الدكتور جميل غازي، (ص: ١١٧).

فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريبا فأويتموني. عريانا فكسوتوني. مريضا فزرتوني. محبوسا فأتيتكم إليّ.

فيجيئه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك. أو عطشنا فسقيناك. ومتى رأيناك غريبا فأويناك أو عريانا فكسوناك؟

فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتم بأحد إخوتي الأصغر، فبي فعلتم. ثم يقول الملك للذين عن اليسار: اذهبوا عني

يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته؛ لأنني جعت فلم تطعموني. .

حينئذ يجيئونه هم أيضا قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا؟

فيجيئهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصغر، فبي لم تفعلوا.

فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية» (متى ٢٥: ٣٤ - ٤٦).

هكذا يدان الناس: أهل البر والعمل الصالح إلى الحياة الأبدية السعيدة، وأهل الشر والبخل إلى عذاب أبدي.

ومرة أخرى لا دخل لفلسفة الصلب والفداء في إنقاذ أهل الشر، فلن تنفعهم في شيء.

٣ - يقول يعقوب في رسالته: إن الدينونة التي تحدد المصير الأبدي للإنسان تقوم على ركيزتين

هما: إيمان بالله الواحد يصحبه عمل صالح، وبدونها لا فائدة ترجى. وإن كلا منهما لا علاقة له

بالصلب وسفك الدم، من قريب أو بعيد: «أنت تؤمن بأن الله واحد. حسنا تفعل. والشياطين يؤمنون

ويقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت؟ بالأعمال يتبرر

الإنسان، لا بالإنسان وحده» (٢: ١٩ - ٢٤).

إن «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ

الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (١: ٢٧).

من ذلك وغيره كثير وكثير جدا، نتبين أن الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب على الإطلاق.

أسئلة حول الصلب والفداء:

قال العالم الأزهرى الدكتور محمد جميل غازي في المناظرة (ص: ١٢٠):

«نضع الآن مجموعة من الأسئلة حول الصلب والفداء، موجهة إلى المسيحيين لعلنا نجد لها إجابة

إن تيسر الوقت في جولة أخرى. وهذه الأسئلة هي:

١ - ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأى عدل وأي رحمة في

تعذيب غير مذنب وصلبه؟

قد يقولون: إنه هو الذي قبل ذلك، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو يتتحر، فإنه

مذنب، ولو كان يريد ذلك.

٢ - إذا كان المسيح ابن الله، فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد

يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب الصلب مع دق المسامير في يديه؟

٣ - ما هو تصور المسيحيين لله -جل في علاه- الذي لا يرضى إلا أن ينزل العذاب المهين بالناس،

والعهد في الله -الذي يسمونه الأب ويطلقون عليه: الله محبة، الله رحمة- أن يكون واسع المغفرة، كثير

الرحمات؟

٤ - من هذا الذي قيد الله -سبحانه وتعالى- وألزمه وجعل عليه أن يلتزم العدل وأن يلتزم

الرحمة، وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما، بين العدل والرحمة، بأن ينزل ابنه الوحيد، في صورة

ناسوت، يصلب تكفيرا عن خطيئة آدم؟

٥ - يدعي المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أي شرع يلتزم الأحفاد

بأخطاء الأجداد -خاصة وأن الكتاب المقدس ينص على أنه «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل

الأولاد عن الآباء. فكل إنسان بخطيئته يقتل» (تثنية ١٦: ٢٤)؟

٦ - إذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلاً على هذا الوضع، فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم

آثمين معتدين على السيد المسيح؟

إن اليهود -وخاصة يهوذا الأسخريوطي- كانوا حسب الفهم المسيحي لموضوع الصلب أكثر

الناس عبادة لله، لأنهم بذلك نفذوا إرادة الله التي قضت بصلب ابنه فقاموا هم بتنفيذ ذلك العمل.

٧ - هل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضروريا، أم كانت هناك وسائل

أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر^(٩٣)؟

ماذا يقول المسيحيون للإجابة عن مثل هذا السؤال، كما يقدمه كاتب مسيحي هو القس بولس

ساباط، إذ يقول:

«لم يكن تجسد الكلمة ضروريا لإنقاذ البشر، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية» -

ثم يترسل هذا الكاتب، فيذكر السبب في اختيار الكلمة لتكون فداء لخطيئة البشر، فيقول:

«إن الله على وفرة ما له من الذرائع إلى فداء النوع البشري وإنقاذه من الهلاك الذي نتج من الخطيئة

ومعصية أمره الإلهي، قد شاء - سبحانه - أن يكون الفداء بأعز ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق

الغرض وبلوغه سريعا».

إن أبسط الذرائع لدى الله - سبحانه - إذا استخدمنا لغة ذلك القس، هي أن يقول الله: عفوت

عنك يا آدم. إن هذا ما يقوله القرآن الكريم ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾^(٩٣).

ونصرخ في وجه هذا الكاتب فنقول إنه ليس من الحكمة في شيء أن نفتدي بدينار ما نستطيع أن

نفتديه بفلس^(٩٤).

^{٩٣} وأي نوع من البشر سيغفر له بالصلب؟ هل اليهود فقط أم كل الناس؟، وهل الذين صلبوا رب النصارى سيغفر لهم؟! أم سيضاف

إلى ذنوبهم ذنب تعذيب الرب؟!، وهل نزل من أجل أن يغفر خطاياهم أم من أجل أن يضاف إلى ذنوبهم ذنب جديد؟، فلماذا لم يصلب

الله نفسه حتى لا يعذب أحد بصلبه!!!

ثم من أي نوع من الذنوب كان الفداء؟! هل من كل الذنوب فلننفل ما نشاء؟!، أم من خطيئة واحدة لم نرتكبها؟!، فكم حادثة صلب

نحتاجها لنغفر ذنوبنا أجمعين؟!.

^{٩٤} وعلى أسوأ تقدير لماذا لم يصلب الله المذنب نفسه ويرتاح الناس جميعا طالما أنه لا يريد أن يغفر له، أو لا يستطيع أن يغفر له إلا بدم

وفداء؟!!!! تعالى الله عن إفكهم!.

^{٩٥} في إنجيل متى (٩/ ١-٨): «فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَاجْتَاَزَ وَجَاءَ إِلَى مَدِينَتِهِ. ٢ وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحًا عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ

إِيَّاهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». ٣ وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!». ٤ فَعَلِمَ يَسُوعُ

أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟ هَلْ أَبْصَرْتُ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ ٦ وَلَكِنْ لِكَيْ

ثم هناك إجابة أخرى عن هذا السؤال نقتبسها من كاتب مسيحي آخر هو الأب بولس اليافي الذي يقول: «ما لا ريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدي البشر ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية لأبيه السماوي لكنه أبى إلا أن يتألم، ليس لأنه مريض بتعشق الألم أو لأن أباه ظالم يطرب لمراى الدماء، وبخاصة دم ابنه الوحيد، وما كان الله بسفاح ظلوم، لكن الإله الابن شاء مع الله الأب أن يعطي الناس أمثلة خالدة من المحبة تبقى على الدهر وتحركهم على الندامة لما اقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة»^(٩٥).

ومرة أخرى نصرخ في وجه هذا المؤلف مؤكدين أنه صور الداء أدق تصوير عندما تكلم عن الدماء والقسوة، لكنه عندما بدأ يحيب ويصف الدواء تعثر وكبا ولم يقل إلا عبارات جوفاء لا تحمل أي معنى.

٨ - ونعود إلى القس بولس ساباط، ونسأله كما سأل: إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟ يحيب هذا الكاتب بما يلي: «إذا عاد الناس إلى اجترار الخطايا، فالذنب ذنبهم لأنهم نسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم»^(٩٦).

تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَافُلُوجِ: «قُمْ أَهْمِلْ فِرَاشَكَ وَأَذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!». ٧ فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. ٨ فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَجَدُّوا اللَّهَ الَّذِي أُعْطِيَ النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هَذَا.

ولنا أن نسأل أيها أيسر أن يقال للناس مغفورة لكم خطاياكم أم أن يتجسد إله وينزل ويصلب بعد أن يصفع ويضرب ويهان، ويكفر به من كان مؤمنا من قبل؟! فلماذا لم يغفر الله للناس خطاياهم بكلمة؟! أيملك الناس هذا السلطان ولا يملكه رب الناس، حتى إنه يحتاج إلى حيلة يحال بها على الشيطان!!!

^{٩٥} إن المحبة لكانت أوضح وأصح! إذا علم الله الناس كيف يتوبون، ثم يتوبون، فيقول لهم: غفرت لكم ذنوبكم. وهذا ما يقوله القرآن الكريم: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

^{٩٦} فما هو حال الذين كانوا يعملون السيئات وماتوا قبل مجيء المسيح، هل ستغفر لهم كل خطاياهم؟ أم لم ينفعهم الصلب شيء؟!، فإن نفعهم الصلب وغفرت لهم خطاياهم، فقد ظلم الله -وحاشاه سبحانه- غيرهم نعني: الذين جاؤوا بعد المسيح، حيث لن يغني صلب المسيح عن خطاياهم هم شيئا؛ وإن كان سيغفر لهم خطية هم لم يرتكبوها أصلا ولن يغفر الخطية التي ارتكبوها!!!!.

ومعنى هذا أن خطيئة واحدة محيت، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدت بعد ذلك. وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم. فلقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا من جنته وناره. فلماذا كانت ظاهرة التجسد لخطيئة واحدة، وتركت خطايا أكبر، لا تعد ولا تحصى؟

٩ - أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - ظل حائرا بين العدل والرحمة ألوف السنين، حتى قبل المسيح منذ ألفي عام فقط أن يصلب تكفيرا عن خطيئة آدم^(٩٧).

١٠ - يلزم - كما في جميع الشرائع - أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو وبين الخطيئة التي ارتكبتها آدم؟

١١ - هذا - إلى أن خطيئة آدم التي لم تزد عن أن تكون أكلا من شجرة نهي عنها قد عاقبه الله عليها - باتفاق المسيحيين والمسلمين - بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كاف، فالحرمان من الجنة الفينانة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين. وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه، وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك. فكيف يستساغ أن يظل مضمر السوء غاضبا ألوف السنين حتى وقت صلب المسيح؟^(٩٨).

^{٩٧} وما حال أهل الصلاح الذين ماتوا قبل مجئ المسيح؟! وما مآلهم؟! هل كانت تنفعهم طاعاتهم أم لم تنفعهم بسبب وجود خطيئة لم يرتكبوها هم؟!.

^{٩٨} ورد في سفر التكوين (٣/ ١٤-١٩) بيان هذه العقوبات التي فرضها الله على آدم وزوجه والحية فما هي؟! «فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ لِّلْحَيَّةِ: «لَأَنَّكَ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٥ وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ». ١٦ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابِ حَبْلِكَ، بِالْوَجْعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ أَشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ». ١٧ وَقَالَ لِآدَمَ: «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٨ وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. ١٩ بِعَرَقٍ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْرًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

١٢ - وقد مرت بالبشر منذ عهد آدم إلى عهد عيسى أحداث وأحداث وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة في عهد نوح حيث لم ينج إلا من آمن بنوح واتبعه وركب معه السفينة. . فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم، فكيف تبقى بعد ذلك ضغينة أو كراهية تحتاج لأن يضحي عيسى بنفسه فداء للبشرية؟.

١٣ - والكاتب المسيحي الذي أسلم -عبد الأحد داود وكان مطرانا للموصل- ينتقد قصة التكفير عن الخطيئة هذه انتقادا سليما فيقول: «إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي، وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوما عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب»؟^(٩٩).

١٤ - ويقول هذا الكاتب -عبد الأحد داود-: «إن ما حمّله على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها، إذ أمرته الكنيسة بأوامر لم يستسغها عقله وهي:

أ - نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدي.

ب - الله لا يخلص أحدا من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم بدون شفيع.

ج - الشفيع لا بد أن يكون إلها تاما وبشرا تاما».

ويدخل هذا الكاتب في نقاش طويل مع المسيحيين بسبب هذه الأوامر، فهم يرون أن الشفيع لا بد أن يكون مطهرا من خطيئة آدم، ويرون أنه لذلك ولد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه.

ويسألهم الكاتب: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه؟

ويجيب هؤلاء: بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الابن رحمها.

والسؤال: لماذا لم ترفع هذه العقوبات عن سائر البشر بعد حادثة الصلب؟! لماذا بقيت أتعاب الحمل للمرأة؟، ولماذا بقيت شهوة الرجل للمرأة إذا كانت عقوبة على المعصية!، ولماذا ما زلنا نأكل من الأرض بالتعب وعرق الوجه؟!، لماذا لم نعد جميعا إلى الجنة بعد الصلب مباشرة؟!.

^{٩٩} فإنه لم يرد على لسان المسيح أبدا ذكر للخطيئة الأصلية وتوارثها بين الأبناء!

ويعود الكاتب يسأل: إذا كان الله يستطيع -التطهير- هكذا في سهولة ويسر إذ يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر، بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب؟ ونضيف إلى نقاش عبد الأحد داود، أن قولهم بضرورة أن يكون الشفيع مطهراً من خطيئة آدم، مما استلزم أن يولد عيسى من غير أب أو أن يطهر الله مريم قبل دخول عيسى رحمها، يحتاج إلى طريق طويل معقد، وكان أيسر منه أن ينزل ابن الله مباشرة في مظهر الإنسان دون أن يمر بدخول الرحم والولادة. ونضيف كذلك أن اتجاه المسيحيين هذا يتعارض مع اتجاه مسيحي آخر، هو أن ابن الله دخل رحم مريم ليأخذ مظهر الإنسان وليتحمل في الظاهر بعض خطيئة آدم الذي يبدو ابن الله كأنه ولد من أولاده، ثم يصلب ابن الله تكفيراً عن خطيئة البشر الذين أصبح كواحد منهم.

ويبقى أن نسأل أسئلة أخيرة في هذا الموضوع هي:

هل كان الأنبياء جميعاً، نوح - إبراهيم - موسى . . ، مدنسين بسبب خطيئة أبيهم؟

وهل كان الله غاضباً عليهم كذلك، وكيف اختارهم مع ذلك هداية البشر؟

هذه الأسئلة نضعها بين يدي النصارى لعلهم يحاولون الإجابة عنها.

شبهات النصارى على إنكار القرآن للصلب.

هذا الفصل ساقه العلامة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار وقد ذكرناه لما فيه من الفائدة، يقول

في (٢٨/٦) من تفسيره:

«الشبهة الأولى»: يدعي بعضهم فيما يموه به على عوام المسلمين، أن مسألة الصلب متواترة،

فالعلم بها قطعي.

والجواب عن هذه الشبهة: أن دعوى التواتر ممنوعة؛ فإن التواتر عبارة عن إخبار عدد كثير، لا

يجوز العقل اتفاقهم، وتواطؤهم على الكذب، بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكا صحيحا لا شبهة

فيه، وكان خبرهم بذلك متفقا لا خلاف فيه، هذا إذا كان التواتر في طبقة واحدة رأوا بأعينهم شيئا

(مثلا) وأخبروا به، فإن كان التواتر في طبقات كان ما بعد الأولى مخبرا عنها، ويشترط أن يكون أفراد

كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الإخبار عمن قبلهم، وأن يكون كل فرد من كل

طبقة قد سمع جميع الأفراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم. وأن يتصل السند هكذا إلى الطبقة

الأخيرة، فإن اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر.

وأنى للنصارى بمثل هذا التواتر؟ والذين كتبوا الأناجيل، والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون

عدد التواتر، ولم يخبر أحد منهم عن مشاهدة، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه

الاشتباه والوهم.

بل قال يوحنا في إنجيله: إن مريم المجدلية وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه

البستاني، وهو قد كان صاحب آيات، وخوارق عادات، فلا يبعد أن يلقي شبهه على غيره، وينجو

بالتشكل بصورة غير صورته، كما رووا عنه أنه قال لهم: «إنهم يشكون فيه» وكما قال مرقس: إنه ظهر

لهم بهيئة أخرى.

ثم إن ما عزي إليهم، لم ينقله عنهم عدد التواتر، بالسماع منهم طبقة بعد طبقة، إلى العصر الذي

صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيهما دينهم، وقد بين الشيخ «رحمة الله الهندي» وغيره انقطاع

أسانيد هذه الكتب بالبيانات الواضحة. وسيأتي في هذا السياق ما يدل على عدم الثقة بها.

«الشبهة الثانية»: يقولون لو لم تكن هذه القصة متواترة متفقاً عليها، لوجد فيهم من أنكرها، كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده؛ كالتثليث، ولم تخالفه في هذه العقيدة.

والجواب عن هذا عسير على من يجهل تاريخهم، يسير على المطلع عليه، فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرنثيين، والتاتيانوسيين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد، وقال فوتيوس: إنه قرأ كتاباً يسمى: «رحلة الرسل» فيه أخبار بطرس، ويوحنا، وأندراوس، وتوما، وبولس، ومما قرأه فيه: «أن المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره، وقد ضحك بذلك من صالبيه».

هذا، وإن مجامعهم الأولى قد حرمت قراءة الكتب التي تخالف الأناجيل الأربعة، والرسائل التي اعتمدتها، فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب ويتلفونها، وإننا نرى ما سلم بعض نسخه منها، كإنجيل برنابا ينكر الصلب، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فقدت كانت تنكره أيضاً، فنحن لا ثقة لنا باختيار المجامع لما اختارته، فنجعله حجة، ونعد ما عداه كالعدم. على أن عدم العلم بالمنكرين لا يقتضي عدم وجودهم، وعدم وجودهم لا يقتضي أن يكون ما اتفقوا عليه بتقليد بعضهم لبعض ثابتاً في نفسه.

«الشبهة الثالثة»: يقولون: إن الأناجيل، ورسائل العهد الجديد قد أثبتت الصلب، وهي كتب مقدسة معصومة من الخطأ، فوجب اعتقاد ما أثبتته.

ونقول: «أولاً»: لا دليل على عصمة هذه الكتب، ولا على أن كاتبها كانوا معصومين.

و«ثانياً»: لا دليل على نسبتها إلى من نسبت إليهم؛ لأنها غير متواترة كما تقدم.

و«ثالثاً»: أنها معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا، وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجحاً عندنا؛ لأنهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقة لنا بأهلها، ولا كانوا معصومين عندهم، ولا عندنا.

و«رابعاً»: أنها متعارضة في قصة الصلب، وفي غيرها.

و«خامسا»: أنها معارضة بالقرآن العزيز، وهو الكتاب الإلهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح، دون غيره، فقصارى تلك الكتب أن تفيد الظن بالقرائن كما قال -تعالى-: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ والقرآن قطعي، فوجب تقديمه؛ لأنه يفيد العلم القطعي.

إن بعض المسلمين يصدقون دعاة النصرانية، ومجادليهم في زعمهم أن هذه الأناجيل محفوظة عندهم من عهد المسيح إلى الآن، وأنها مسلمة عند جميع فرقهم، ومعروفة عند غيرهم، فلم يكن يختلف فيها اثنان. ولكن من طالع كتبهم التاريخية والدينية، يعلم أن هذه الدعوى باطلة، وإنما يصدقهم المسلمون الجاهلون؛ لتوهم أن النصرانية نشأت كالإسلام في مهد القوة والعزة والمدنية والحضارة، فأمكن حفظ كتبها كما أمكن حفظ القرآن، وشتان بين الأمتين في نشأتها شتان، وإليك نورا من البيان، وإن شئت المزيد من مثله فارجع إلى الكتب المؤلفة في هذا الشأن.

الدلائل على عدم الثقة بالأناجيل: ألف سلسوس من علماء الوثنيين في القرن الثاني للميلاد كتابا في إبطال الديانة النصرانية قال فيه كما نقل عنه أكهارن من علماء ألمانية ما ترجمته: «بدل النصارى أناجيلهم ثلاث مرات، أو أربع مرات، بل أكثر من هذا تبديلا؛ كأن مضامينها بدلت».

وفي كتبهم أن الفرقة الأبيونية من فرق النصارى في القرن الأول للميلاد كانت تصدق إنجيل متى وحده وتنكر ما عداه، ولكن كان ذلك الإنجيل مخالفا لإنجيل متى الذي ظهر بعد ظهور قسطنطين، وأن الفرقة المارسيونية من فرق النصارى القديمة كانت تأخذ بإنجيل لوقا، وكانت النسخة التي تؤمن بها مخالفة للموجودة الآن، وكانت تنكر سائر الأناجيل، وهي عندهم من المبتدعة.

وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية ما نصه (١: ٦) إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر (٧) ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعمونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح) هكذا في ترجمة البروتستانت الأخيرة (يحولوا) وفي الترجمة القديمة التي نقل عنها كثيرون «يحرفوا» وفي ترجمة الجزويت «يقلبوا» والمعاني متقاربة تدل كلها على أنه كان في عهد بولس قوم يدعون الناس إلى إنجيل غير الذي يدعو هو إليه، ومعنى كونه غيره أنهم حرفوه، أو قلبوه حتى صار كأنه إنجيل آخر، وكما اعترف بولس بهذا اعترف بأنه كان يوجد في عصره رسل كذابون

غدارون تشبهوا برسل المسيح. صرح بذلك في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس فقال: (١١: ١٣) لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى رسل المسيح (١٤) ولا عجب لأن الشيطان يغير شكله إلى ملاك نور (١٥) فليس عظيماً إذا كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر).

وفي سفر الأعمال تصريح بأن بعض اليهود كانوا يبنثون بين المسيحيين، ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح، وأن الرسل والمشايع أرسلوا بولس وبرنابا إلى أنطاكية؛ لتحذير إخوانهم فيها من الذين يوصونهم بالختان، وحفظ الناموس الذي لم يأمرهم به، كما ذكر في الفصل (١٥) منه، وفي آخره أنه حصلت مشاجرة هنالك بين بولس وبرنابا وافترقا. ومن المعلوم أن بولس كان عدو المسيحيين، وخصمهم، وأنه لما ادعى الإيمان لم يصدقه جماعة المسيح عليه السلام، ولولا أن شهد له برنابا لما قبلوه، وبرنابا يقول في أول إنجيله: إن بولس نفسه كان من الذين بشروا بتعليم جديد غير تعليم المسيح. فمع أمثال هذه النصوص في أمهات كتبهم المقدسة كيف يمكن للمسلم أن يثق بها؟

ومن الشواهد على التعارض والتناقض في قصة الصلب منها: أن أصل هذه العقيدة أن المسيح بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر، مع أن هذه الأناجيل تصرح بأنه حزن واكتأب عندما شعر بقرب أجله، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس^(١٠٠)، ففي متى: (٣٧: ٢٦) «ثم أخذ معه بطرس، وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب (٣٨) فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا هنا، واسهروا معي (٣٩) ثم تقدم قليلا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا. بل كما تريد أنت. فمضى أيضاً ثانية، وصلى قائلاً: يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلا أن أشر بها، فلتكن مشيئتك».

ومثل هذا في لوقا: (٢٢: ٤٣ - ٤٥) فكيف يقول المسيح هذا، وهو إله عندهم؟ فهل يمكن أن يجهل ما يمكن، وما لا يمكن، وأن يطلب إبطال الطريقة التي أراد الآب - وهو هو عندهم - أن يجمع بها بين عدله ورحمته؟.

^{١٠٠} فضلاً عن صراخه على الصليب! كما في إنجيل متى (٢٧: ٤٦) إلهي إلهي، لماذا تركتني).

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا: إنهما صلبا معه، قال مرقس: (١٥: ٢٧) وصلبوا معه لصين؛ واحدا عن يمينه، وآخر عن يساره (٢٨) فتم الكتاب القائل: «وأحصى مع أثمة» إلى أن قال: واللذان صلبا معه كانا يعيرانه. وكذلك قال متى: (٢٧: ٤٤) وأما لوقا فقد سمي الرجلين اللذين صلبا معه: مذنبين، ولكنه قال: (٢٣: ٣٩) وكان واحد من المذنبين المعلقين معه يجدف عليه قائلا: «إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا (٤٠) فأجاب الآخر وانتهره» إلخ.

وفيه أن المسيح بشر هذا بأنه يكون معه في الفردوس ذلك اليوم، فكانت نبوة الكتاب (المрад به أشعيا) أنه يصلب مع أثمة بصيغة الجمع ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك، ولكن كيف يقول اثنان من الإنجيليين المعصومين على رأيهم: إن الذي عيره وأهانته هو أحدهما، والآخران وهما مثله في عصمته يقولان: بل كلاهما عيراه؟ ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة، ومن أظهرها: مسألة دفنه ليلة السبت وقيامه من القبر قبل فجر يوم الأحد، مع أن البشارة أنه يكون في بطن الأرض ثلاثة أيام بلياليها، وهي مدة يونان في بطن الحوت.

ومنها: مسألة النساء اللواتي جئن القبر، وفيها عدة خلافات في وقت المجيء، ورؤية الملك أو الملكين ورؤيته هو إلخ.

«الشبهة الرابعة» قولهم: إن كتب العهد العتيق قد بشرت بمسألة الصلب ونوهت بها تنويرها. ونحن نقول: إن هذا غير مسلم. بل أنتم الذين تأولتم عبارات من تلك الكتب وجعلتموها مشيرة إلى هذه القصة، أو كما قال السيد جمال الدين: «إنكم فصلتم قميصا من تلك الكتب وألبستموها للمسيح» كما أنكم تدعون أن الذبائح الوثنية كانوا يشيرون بها إلى صلب المسيح، فكأن جميع خرافات البشر وعباداتهم حجج لكم على عقيدتكم هذه، وإن كانوا قد سبقوكم إلى مثلها. على أن كثيرا من تلك العبارات حجة عليكم لا لكم كما هو مبسوط في محله.

«الشبهة الخامسة»: يقولون: إذا جاز أن يشتبه في المسيح ويجهل شخصه الجنود الذين جاءوا للقبض عليه، والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه، فهل يجوز أن يشتبه في ذلك تلاميذه، ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة؟

ونقول: إن الجواب على هذا من وجهين:

«أحدهما»: أنه عهد بين الناس أن يشبه بعضهم بعضا شبيها تاما بحيث لا يميز أحد المتشابهين المعاشرون والأقربون، وقد يكون هذا بين الغرباء، كما يكون بين الأقربين. ولعله يقل في الذين يسافرون ويتقلبون بين الكثير من الناس من لم يقع له الاشتباه بين من يعرف ومن لا يعرف، وقد وقع لي غير مرة أن أسلم على رجل غريب اشتبه علي بصديق لي، ثم أعرف بعد الحديث معه أنه غيره، وإننا لزيادة البيان نورد قليلا من الشواهد عن الإفرنج الذين يثق دعاة النصرانية عندنا بهم ما لا يثقون بغيرهم؛ لأن هؤلاء الدعاة من أبناء جنسهم، أو مقلدتهم...^(١١)

«الوجه الثاني»: إن هذه الحادثة من خوارق العادات التي أيد الله بها نبيه عيسى ابن مريم، وأنقذه من أعدائه، فألقى شبهه على غيره، وغير شكله هو، فخرج من بينهم وهم لا يشعرون. وفي أناجيلهم وكتبهم جمل متفرقة تؤيد هذا الوجه أشرنا إلى بعضها من قبل (منها) قوله لهم: إنهم يشكون فيه يومئذ (ومنها): أنه يتشكل بغير شكله (ومنها): أنه طلب من الله أن يعبر عنه هذه الكأس أي قتله وصلبه إن أمكن. ولا شك أن هذا من الممكنات الخاضعة لمشية الله وقدرته.

ويمكن أن يستدل على استجابة الله لدعائه بقول يوحنا حكاية عنه في سياق قصة الصلب من آخر الفصل ١٦ «ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» قال هذا بعد إخبارهم بأنه تأتي ساعة يتفرقون عنه، ويبقى وحده، ولكن الله يكون معه؛ أي بعونه وحفظه، وفي هذا المعنى قول متى (٢٦: ٥٦) حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا) وقول مرقس (١٤: فتركه الجميع وهربوا) فهذا نص في أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح، فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك.

^{١١} وأخذ ينقل عنهم ثم ذكر الوجه الثاني.

ومما يدل على استجابة الله دعوته بأن ينقذه، ويعبر عنه تلك الكأس، عبارة المزمور (١٠٩) التي يقولون: إن المراد بها المسيح. وهذا نصها «٢٦ أعني يا رب، إلهي، خلصني حسب رحمتك ٢٧، وليعلموا أن هذه يدك، أنت يا رب فعلت هذا ٢٨، أما هم فيلعنون وأما أنت فتبارك، قاموا وخزوا، أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا، وليتعطفوا بخزيهم كالرداء. أحمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه».

وفي العبارات التي يحملونها على المسيح شواهد أخرى بمعنى هذا.

«الشبهة السادسة» يقولون: إذا كان المسيح قد نجا من أعدائه بعناية إلهية خاصة، فأين ذهب؟ ولماذا لم يقف له أحد على عين ولا أثر؟.

والجواب: أن هذه الشبهة لا ترد على الذين يقولون: إنه رفع بروحه وجسده إلى السماء، وإنما ترد على الذين يقولون: إن الله توفاه في الدنيا، ثم رفعه إليه، كما رفع إدريس عليهما السلام، ويقول هؤلاء: لا غرابة في الأمر، فإن أخاه موسى، عليه السلام، كان بين الألوف من قومه، الخاضعين لأمره ونهيه، وقد انفرد عنهم، ومات في مكان لم يعرفه أحد منهم، فكيف يستغرب أن يفر عيسى، عليه السلام، من قوم أعداء له، لا ولي له فيهم ولا نصير إلا أفراد من الضعفاء، قد انفضوا من حوله وقت الشدة وأنكره أمثلهم (بطرس) ثلاث مرات؟ لا بدع إذا ذهب إلى مكان مجهول، ومات فيه كما مات موسى -عليهما السلام- ولم يعرف قبره أحد، كما هو منصوص في آخر سفر (تثنية الاشتراع) من أسفار التوراة... .

«الشبهة السابعة» يقولون: إنكم تأخذون بقول إنجيل برنابا وغيره بالموضوع، وأقوال مبتدعة النصارى الأولين الذين زعموا أن يهوذا هو الذي صلب لا المسيح مع أن يهوذا قد انتحر كما ثبت في الإنجيل.

ونقول في الجواب: اتفقت النصارى على القول بأن يهوذا الإسخريوطي هو الذي دل على يسوع المسيح وكان يهوذا رجلا عاميا من بلدة تسمى (خريوت) في أرض يهوذا، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه الذين يلقبونهم بالتلاميذ الاثني عشر الذين بشرهم بأنهم يكونون معه في الملكوت على

اثني عشر كرسيا، ويدينون بني إسرائيل؛ أي يحاسبونهم في يوم الدين، ومن الغريب أن يهودا كان يشبه المسيح في خلقه، كما نقل (جورج سايل) الإنكليزي في ترجمته للقرآن المجيد فيما علقه على سورة آل عمران، وعزا هذا القول إلى (السيرتئين والكربوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرحوا بأن الذي صلب هو يهودا الذي كان يشبهه شبها تاما.

وقالوا: إن يهودا أسف وندم على ما كان من إسلامه المسيح إلى اليهود حتى حمله ذلك على بخع نفسه (الانتحار) فذهب إلى حقل، وخنق نفسه فيه (متى ٢٧: ٣ - ١٠) أو علقها (أعمال ١: ١٨) وغرضنا من هذا الخبر بيان أنهم معترفون بأن يهودا فقد بعد حادثة الصلب، ولم يظهر في الوجود، وأنهم يدعون أن سبب هذا هو قتل نفسه من الحزن والأسف، واختلف الرسل في كيفية القتل وإن كانوا معصومين (؟) ونحن نرى أنه إنما فقد لأنه هو الذي صلب، والمسيح هو الذي نجاه الله - تعالى - ورفع، فإن الذي يحمله انفعاله وألم نفسه على أن يبخع نفسه بيده خنقا أو شنقا لا يستبعد منه أن يبسلها بالاستسلام إلى من يتولى ذلك عنه فإنه أهون عليه، فمن المعقول أن يكون يهودا عندما دل اليهود على المسيح في الليل رأى بعينه عناية الله - تعالى - بإنجائه وإنقاذه من بين أيديهم (كما أنجى أخاه محمدا عليهما الصلاة والسلام من أيدي كفار قريش وكانوا أشد معرفة له من معرفة اليهود للمسيح؛ لأنهم لم يكونوا يحتاجون إلى بذل المال لمن يدهم عليه كما بذلت اليهود ثلاثين قطعة من الفضة ليهودا. فخرج ليلة الهجرة من بين الذين كانوا ينتظرونه عند داره ليقتلوه، ولم يبصروه) فلما رأى يهودا ذلك وعلم درجة عناية الله - تعالى - بعبده ورسوله عظم ذنبه في نفسه واستسلم للموت ليكفر الله عنه ذنبه كما كفر ذنب الذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل بقتل أنفسهم، فأخذوه وصلبوه من غير مقاومة تذكر. فرواية الإنجيل وسفر الأعمال عن وجدانه مخنوقا أو مشنوقا غير مسلمة، وقد تعارض القولان فتساقطا، ووجب اعتماد قول برنابا الذي أخذ به بعض قدماء النصارى.

وإذا كان إيمان يهودا قويا إلى هذه الدرجة - درجة الانتحار والبخع من ألم الذنب - فليت شعري

لماذا لا تقبل توبته ولا ينفعه إيمانه حتى ادعوا أنه مات كافرا، وأن كرسية في الملكوت سيبقى خاليا، وبشارة المسيح له لا تكون صادقة، ولماذا تقبل توبة بطرس الذي أنكر المسيح وتركه، ولعنه المسيح في

حياته وسماه شيطانا، على أن توبته دون توبة يهوذا، وما كان يهوذا إلا متمما لذريعة الفداء التي هي أساس الدين عندهم؟.

«الشبهة الثامنة»: يقولون: إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر للنساء ولتلاميذه ولأناس آخرين، وأرى بعضهم أثر المسامير في جسده، وقد اتفقت على قيامه جميع الأنجيل، فكيف يجمع بين هذا وبين القول بأن الذي صلب غيره؟.

ونقول: «أولا»: إنه لا ثقة لنا برواية هذه الأنجيل، وبيننا الدلائل على عدم الثقة بها بالاختصار، ومنها تعارضها في هذه المسألة ونبينها هنا بشيء من التطويل.

و«ثانيا»: إنه يحتمل أن يكون لهذه الدعوى سبب ثم توسع القوم فيها كما هي عادتهم في الروايات عن العجائب والمستغربات حتى تسنى لبولس ومريديه أن يفرغوها في هذا القالب الذي نراه في كتب العهد الجديد، وسترى بيان هذا قريبا.

أما البيان الأول: ففي إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى (أي أم يعقوب) جاءتا وقت الفجر لتنظرا القبر فوجدتا الملك قد دحرج الحجر وجلس عليه فأخبرهما أن يسوع قام منه وسبق تلاميذه إلى الجليل، وهناك يرونه، فذهبتا لتخبرا التلاميذ، فلاقاهما يسوع، وسلم عليهما، وقال لهما كما قال الملك (راجع ٢٨ متى وهو الفصل الأخير).

وفي الفصل الأخير من مرقس أن النساء كن ثلاثا، الثالثة سالومة، وأنهن جئن القبر عند طلوع الشمس، وأنهن رأين الحجر مدحرجا ولم يقل كمتى: إن الملك كان قاعدا عليه، بل قال: إنهن وجدن في القبر شابا عن اليمين، وإنه قال لهن: «اذهبن، وقلن لتلاميذه، ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل» فزاد عطف بطرس على التلاميذ، وقال: إنهن هربن ولم يقلن لأحد شيئا؛ إذ أخذتهن الرعدة والحيرة وكن خائفات، ثم قال: إنه ظهر أولا لمريم المجدلية (أي دون من كان معها خلافا لمتى) فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا، ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنتين وهما منطلقان إلى البرية، فأخبرا الباقي فلم يصدقوا (١٤) أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام، وهذا مما زاده على متى.

وأما لوقا فلم يقل: إن النساء اللواتي جئن لافتقاد القبر هن الثلاث اللواتي ذكرهن مرقس، ولا الثنتان اللتان اقتصر عليهما متى، بل ذكر أنهن نساء كن جئن من الجليل مع يوسف الذي دفن يسوع، ونظرن القبر والدفن. وأنهن جئن أول الفجر، لا عند طلوع الشمس، كما قال مرقس، وأنهن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن القبر، ولم يجدن الجسد فيه، ولم يقل إنهن وجدن شابا فيه عن اليمين، كما قال مرقس، ولا الملك على الحجر خارجه، كما قال متى. بل قال إنهن بيننا كن متحيرات إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقية، وقال لهن: لماذا تطلبن الحي بين الأموات (وهذا تعبير قد يؤيد قول من قالوا: إنه لم يمت وذكرهن بقوله: إنه يسلم ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم. ولم يأمرهن بإخبار التلاميذ بأن يسبقوه إلى الجليل، وأنهم هناك يرونه، كما قال متى ومرقس، وقال: إنهن رجعن وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقيين بهذا كله).

فخالف مرقس الذي قال: إنهن لم يقلن شيئا. وقال: إن هؤلاء النسوة هن مريم المجدلية وبونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن. وإن التلاميذ وجميع الباقيين لم يصدقوهن؛ إذ تراءى لهم كلامهن كالهذيان.

ثم ذكر أنه (أي يسوع) مشى مع اثنين منهم كانا منطلقين إلى قرية عمواس، وهي على ٦٠ غلوة من أورشليم (خلافًا لمرقس الذي قال: لاثنتين منطلقين إلى البرية) وقال: إن أعينهما أمسكت عن معرفته، وأنهما ذكرا قصته، وأنه كان «إنسانا نبيا» وأنه وبخهما ووصفهما بالغباوة وبطء القلوب في الإيمان، وأنهما ضيفاه في القرية، وأنه لما اتكأ معهما وأخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما، انفتحت أعينهما، فعرفاه، ثم اختفى عنهما، وأنهما في تلك الساعة رجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر (هكذا مع أن الظاهر أنهما منهم فيكون الباقي تسعة) مجتمعين هم والذين معهم، ويقولون: إنه ظهر لسمعان. فأخبراهم خبرهما. ولم يلبث أن ظهر لهم، وأكل معهم.

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فذكر في الفصل (٢٠) أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر باكرا، والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعا، فركضت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر. فركضا إلى القبر، ودخلا فيه؛ فرأيا الأكفان موضوعة،

وكانت مريم تبكي خارج القبر، ثم انحنت إلى القبر فنظرت ملكين جالسين ؛ واحدا عند الرأس، والآخر عند الرجلين، وبعد الكلام معهما عن سبب بكائها، التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفا فلم تعرفه، وظنت أنه البستاني، ثم تعرف إليها، وأمرها أن تخبر التلاميذ بقوله: «إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» فأخبرتهم.

ثم ذكر أن التلاميذ كانوا مجتمعين عشية ذلك اليوم، والأبواب مغلقة، خوفا من اليهود، فجاء يسوع ووقف في الوسط وسلم عليهم. وأن توما لم يكن معهم فظهر له بعد ثمانية أيام، ثم ذكر في الفصل (٢١) أنه أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية فلم يعرفوه أولا، ثم اصطادوا سمكا بأمره وحضر غداءهم.

هذا ملخص دعوى قيام يسوع من القبر برواية الأناجيل الأربعة، ويرى المتأمل فيها أنها متعارضة متناقضة. ومن الغريب أنه لم يصرح أحد منهم، بأنه ظهر لهم في الجليل، كما نقلوا عنه وعن الملك أو الملكين. والقاعدة الأصولية في المتعارضين إذا لم يمكن الجمع بينهما، ولا ترجيح أحدهما على الآخر أن يقال: «تعادلا فتساقطا» وبهذه القاعدة التي لا مندوحة عن القول بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في هذه الأناجيل - اتقاء الوقوع في الترجيح بغير مرجح، نقول: إن روايات الأربعة ساقطة لا يعتد بشيء منها. فهذا هو بيان الوجه الأول من وجهي الجواب.

وأما الوجه الثاني المبني على احتمال أن يكون لهذه الدعوى سبب أو أصل بني عليه ؛ فبيان: أنه يحتمل أن يكون قد شاع في ذلك الوقت أن يسوع قد قام من قبره، وأنه رآه بعض النساء وبعض تلاميذه، واضطربت الأقوال في ذلك فكتب كل مؤلف إنجيل ما سمعه، وأن يكون سبب الإشاعات تخيل مريم المجدلانية العصبية المزاج (التي روت هذه الأناجيل أن المسيح أخرج منها سبعة شياطين) أنها رأت المسيح وكلمته. ويجوز أن تكون الرؤية الخيالية اتفقت لغيرها أيضا من التلاميذ أو غيرهم بعد أن سمعوها منها، ومثل هذا يقع كثيرا، كما سيأتي بيانه بالشواهد.

وأمثال هؤلاء العامة لا يقدر على التمييز بين الحقيقة والخيال. ألم تر أنهم يروون أن المسيح وبخهم على غباوتهم، وضعف إيمانهم بعد أن كانوا عاشروه زمنا رأوا فيه ما أيده الله - تعالى - به من

الآيات، أولم تر أنهم ما كان بعضهم يصدق بعضا. بل يتهم بعضهم بعضا بالكذب والهذيان، وأنهم لضعفهم تركوا نبيهم وقت الشدة، وأنكره أمثلهم، وارتشى عليه بعضهم. فأمثال هؤلاء الصيادين والنساء، لا يستغرب منهم عدم التمييز بين الحقيقة والخيال، وطالما وقع مثل ذلك في حال الانفعالات العصبية للناس، كالخزن والخوف والعشق، يتراءى للإنسان في مثل هذه الأحوال شخص يكلمه زمنا طويلا أو قصيرا كما يحصل في الرؤى والأحلام. وبعضهم يعد هذا من رؤية الأرواح، وقد راجت سوق هذه المسألة في أوربة في هذا العصر حتى صاروا يزعمون أن فيهم من يستحضر الروح، وكان هذا معروفا في الزمن السابق؛ ولذلك احترس عنه بعض مؤلفي هذه الأناجيل، فقال: إنه لما ظهر لهم خافوا وظنوا أنهم يرون روحا، فنفى هو ذلك» انتهى.

الفصل الثالث: قضية التثليث، وإلهية المسيح

إن من أهم عقائد النصارى هي عقيدة التثليث وإلهية المسيح -صلى الله عليه وسلم-، يقول علماء مجمع البحوث كما في تفسيرهم (١١٢٦ / ٢):

«والتثليث: هو العقيدة السائدة بين الطوائف المسيحية، حيث يطلقون على الله -سبحانه- لقب الآب، ويشركون معه الابن وهو عيسى -عليه السلام- وروح القدس».

وقال شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي كما في التفسير الوسيط (٩٢ / ٤):

«النصارى اليوم -وهم لا يزالون يغيرون ويبدلون- يصرحون بأن الأقانيم ثلاثة. وأنها شيء واحد. وينتهون إلى أن المسيح هو الله، والله هو روح القدس. فقد قال الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر هي: الله الآب، والله الابن والله الروح القدس فالآب يتنمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير. غير أن ثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء. أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم، كما هي في العهد الجديد» اهـ.

ومن هذا الكلام يتبين أن النصارى يصرحون بأن الابن هو الله، ولا يكون الكلام بطريق اللزام لقولهم، بل بطريق الصريح منه. فهم يصرحون بأن الله هو الابن، كما أن الله هو الآب، كما أن الله هو روح القدس» اهـ.

وقد فصل في ذلك علامة الأزهر الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٢٨٨ / ١٠) فقال:

«وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ هَذَا الْقَوْلُ كَانَ يَقُولُهُ الْقَدَمَاءُ مِنْهُمْ، وَيَقْصِدُونَ بِهِ مَعْنَى مَجَازِيًّا كَالْمُحْبُوبِ وَالْمُكْرَمِ، ثُمَّ سَرَتْ إِلَيْهِمْ فَلَسَفَةُ الْهُنُودِ فِي (كِرْشَنَّا) وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَدَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ فِرْقَتُهُمُ الْمَعْرُوفَةُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَنَةِ، وَعَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازَ، وَعَلَى أَنَّ (ابْنَ اللَّهِ) بِمَعْنَى (اللَّهُ) وَبِمَعْنَى (رُوحِ الْقُدُسِ)؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، هَذَا تَعْلِيمُ الْكَنَائِسِ الَّذِي قَرَّبَتْهُ

المَجَامِعُ الرَّسْمِيَّةُ، بِتَأْثِيرِ الْفَلَسَفَةِ الرُّومِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْمَسِيحِ وَتَلَامِيذِهِ بِثَلَاثَةِ قُرُونٍ، وَيُخَالِفُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا الْمُوحِدُونَ وَالْعَقْلِيُّونَ.

وَالْكَنَائِسُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ وَالْأَرْتُوذُكْسِيَّةُ وَالْبُرُوتَسْتَانِيَّةُ لَا تَعْتَدُ بِنَصْرَانِيَّتِهِمْ وَلَا بِدِينِهِمْ، وَهَآكَ خُلَاصَةٌ تَارِيخِيَّةٌ فِي أَطْوَارِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَهِيَ مَا فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْبُسْتَانِيِّ، قَالَ:

«ثَالُوثُ – y Trinite»

كَلِمَةٌ تُطْلَقُ عِنْدَ النَّصَارَى عَلَى وُجُودِ ثَلَاثَةِ أَقَانِيمَ مَعًا فِي اللَّاهُوتِ تُعْرَفُ (بِالْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ) وَهَذَا التَّعْلِيمُ هُوَ مِنْ تَعَالِيمِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ وَعُمُومِ الْبُرُوتَسْتَانِيَّةِ إِلَّا مَا نَدَرَ، وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَذَا التَّعْلِيمِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ مُطَابِقٌ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَقَدْ أَضَافَ اللَّاهُوتِيُّونَ إِلَيْهِ شُرُوحًا وَإِضَاحَاتٍ اتَّخَذُوهَا مِنْ تَعَالِيمِ الْمَجَامِعِ الْقَدِيمَةِ وَكِتَابَاتِ آبَاءِ الْكَنِيسَةِ الْعِظَامِ، وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةِ وَلَادَةِ الْأَقْنُومِ الثَّانِي، وَأَنْبِثَاقِ الْأَقْنُومِ الثَّالِثِ، وَمَا بَيْنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ مِنَ النِّسْبَةِ وَصِفَاتِهِمُ الْمُمَيِّزَةِ وَالْقَابِضَةِ، وَمَعَ أَنَّ لَفْظَةَ ثَالُوثٍ لَا تُوجَدُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنَّ يُؤْتَى بِآيَةٍ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تُصَرِّحُ بِتَعْلِيمِ الثَّالُوثِ، قَدْ اقْتَبَسَ الْمُؤَلِّفُونَ الْمَسِيحِيُّونَ الْقُدَمَاءُ آيَاتٍ كَثِيرَةً تُشِيرُ إِلَى وُجُودِ صُورَةٍ جَمْعِيَّةٍ فِي اللَّاهُوتِ، وَلَكِنْ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ قَابِلَةً لِتَفَاسِيرٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَانَتْ لَا يُؤْتَى بِهَا كَبُرْهَانٍ قَاطِعٍ عَلَى تَعْلِيمِ الثَّالُوثِ، بَلْ كَرُمُوزٍ إِلَى الْوَحْيِ الْوَاضِحِ الصَّرِيحِ الَّذِي يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَقَدْ اقْتَبَسَ مِنْهُ مَجْمُوعَانِ كَبِيرَانِ مِنَ الْآيَاتِ كَحُجَجٍ لِإِثْبَاتِ هَذَا التَّعْلِيمِ:

(أَحَدُهُمَا) الْآيَاتُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الْآبُ وَالْإِبْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ مَعًا.

(وَالْآخَرُ) الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ، وَالَّتِي تَحْتَوِي عَلَى نَوْعٍ أَخْصَصَ صِفَاتِهِمْ وَنِسْبَةَ أَحَدِهِمْ إِلَى الْآخَرِ.

وَالْجِدَالُ عَنِ الْأَقَانِيمِ فِي اللَّاهُوتِ ابْتَدَأَ فِي الْعَصْرِ الرَّسُولِيِّ، وَقَدْ نَشَأَ عَلَى الْأَكْثَرِ عَنْ تَعَالِيمِ الْفَلَسَفَةِ الْهِيلَانِيِّينَ وَالْغَنُوسَطِيِّينَ، فَإِنَّ ثِيُوفِيلُوسَ أُسْقِفَ أَنْطَاكِيَّةٍ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ ثِرْيَاسَ بِالْيُونَانِيَّةِ، ثُمَّ كَانَ تَرْتِلْيَانُوسُ أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ تَرِينِتَاسَ الْمُرَادِفَةَ لَهَا وَمَعْنَاهَا الثَّالُوثُ، وَفِي الْآيَامِ السَّابِقَةِ لِلْمَجْمَعِ النَّيْقَاوِيِّ حَصَلَ جِدَالٌ مُسْتَمِرٌّ فِي هَذَا التَّعْلِيمِ، وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي الشَّرْقِ، وَحَكَمَتِ

الْكَنِيسَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَرَاءِ بِأَنَّهَا أَرَاتِيكِيَّةٌ وَمِنْ جُمْلَتِهَا آراءُ الْإِيُونِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ إِنْسَانٌ مَحْضٌ، وَالسَّابِلِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْآبَ وَالْإِبْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ إِنَّمَا هِيَ صُورَةٌ مُخْتَلِفَةٌ أَعْلَنَ بِهَا اللَّهُ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ، وَالْأَرِيُوسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِبْنَ لَيْسَ أَرْثًا كَالْآبِ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْهُ قَبْلَ الْعَالَمِ؛ وَلِذَلِكَ هُوَ دُونَ الْآبِ وَخَاضِعٌ لَهُ، وَالْمُكْدُونِيِّينَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا كَوْنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ أَفْنُومًا.

وَأَمَّا تَعْلِيمُ الْكَنِيسَةِ فَقَدْ قَرَّرَهُ الْمُجْمَعُ النِّيَقَاوِيُّ سَنَةَ ٣٢٥ لِلْمِيلَادِ، وَاجْتَمَعَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ سَنَةَ ٣٨١ وَقَدْ حَكَمَ بِأَنَّ الْإِبْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ مُسَاوِيَانِ لِلْآبِ فِي وَحْدَةِ اللَّاهُوتِ، وَأَنَّ الْإِبْنَ قَدْ وُلِدَ مِنْذُ الْأَزَلِ مِنَ الْآبِ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ مُنْبَثِقٌ مِنَ الْآبِ، وَاجْتَمَعَ طَلِيْطَلَةَ الْمُنْعَقِدِ سَنَةَ ٥٨٩ حَكَمَ بِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ مُنْبَثِقٌ مِنَ الْإِبْنِ أَيْضًا.

وَقَدْ قَبِلَتِ الْكَنِيسَةُ اللَّاتِينِيَّةُ بِأَسْرَهَا هَذِهِ الزِّيَادَةَ وَتَمَسَّكَتْ بِهَا، وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ الْيُونَانِيَّةُ فَمَعَ أَتَمَّا كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ سَاكِتَةً لَا تُقَاوِمُ قَدْ أَقَامَتِ الْحُجَّةَ فِيهَا بَعْدَ عَلَى تَغْيِيرِ الْقَانُونِ حَاسِبَةً ذَلِكَ بِدَعَا وَعِبَادَةِ (وَمِنْ الْإِبْنِ أَيْضًا) لَا تَزَالُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَوَانِعِ الْكُبْرَى لِلِاتِّحَادِ بَيْنَ الْكَنِيسَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَالْكَاثُولِيكِيَّةِ، وَكُتِبَ اللَّوْثِيرِيُّينَ وَالْكَنَائِسُ الْمُصْلِحَةُ أَبَقَتْ تَعْلِيمَ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ لِلثَّلَاوْثِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ دُونَ تَغْيِيرٍ، وَلَكِنْ قَدْ ضَادَّ ذَلِكَ مِنْذُ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ جُمْهُورٌ كَبِيرٌ مِنَ اللَّاهُوتِيِّينَ وَعِدَّةٌ طَوَائِفَ جَدِيدَةٍ كَالسُّوسِينِيَّانِ وَالْجَرْمَانِيِّينَ وَالْمُوحِّدِينَ وَالْعُمُومِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ حَاسِبِينَ ذَلِكَ مُضَادًّا، لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالْعَقْلِ.

وَقَدْ أَطْلَقَ سُويْدُ نَبْرَغُ الثَّلَاوْثِ عَلَى أَقْنُومِ الْمَسِيحِ مُعْلِمًا بِثَّلَاوْثٍ، وَلَكِنْ لَا ثَّلَاوْثَ الْأَقَانِيمِ بَلْ ثَّلَاوْثَ الْأَقْنُومِ، وَكَانَ يَفْهَمُ بِذَلِكَ أَنَّ مَا هُوَ إِلَهِيٌّ فِي طَبِيعَةِ الْمَسِيحِ هُوَ الْآبُ، وَأَنَّ الْإِلَهِيَّ الَّذِي اتَّحَدَ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ هُوَ الْإِبْنُ، وَأَنَّ الْإِلَهِيَّ الَّذِي انْبَثَقَ مِنْهُ هُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ، وَانْتِشَارُ مَذْهَبِ الْعَقْلِيِّينَ فِي الْكَنَائِسِ اللَّوْثِيرِيَّةِ وَالْمُصْلِحَةِ أَضْعَفَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ اعْتِقَادَ الثَّلَاوْثِ بَيْنَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ اللَّاهُوتِيِّينَ الْجَرْمَانِيِّينَ.

وَقَدْ ذَهَبَ (كَتَنُ) إِلَى أَنَّ الْآبَ وَالْإِبْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى ثَلَاثِ صِفَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي اللَّاهُوتِ وَهِيَ الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ وَالْمَحَبَّةُ، أَوْ عَلَى ثَلَاثَةِ فَوَاعِلَ عُلْيَا: وَهِيَ الْخَلْقُ وَالْحِفْظُ وَالضَّبْطُ، وَقَدْ

حَاوَلَ كُلُّ مَنْ هِيجَنَ وَشَلِنَعَ أَنْ يَجْعَلَ لِتَعْلِيمِ الثَّالُوثِ أَسَاسًا تَحْيِيلِيًّا، وَقَدْ اقْتَدَى بِهِمَا اللَّاهُوتِيُّونَ الْجَرْمَانِيُّونَ الْمُتَأَخَّرُونَ، وَحَاوَلُوا الْمُحَامَاةَ عَنْ تَعْلِيمِ الثَّالُوثِ بِطَرِيقِ مَبْنِيَّةٍ عَلَى أُسُسٍ تَحْيِيلِيَّةٍ وَلَاهُوتِيَّةٍ، وَبَعْضُ اللَّاهُوتِيِّينَ الَّذِي يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْوَحْيِ لَا يَتَمَسَّكُونَ بِتَعْلِيمِ اسْتِقَامَةِ الرَّأْيِ الْكُنَائِسِيَّةِ بِالتَّدْقِيقِ كَمَا هِيَ مُقَرَّرَةٌ فِي مَجْمَعِي نِيَقِيَّةٍ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْمُسْكُونِيَّةِ، وَقَدْ قَامَ مُحَامُونَ كَثِيرُونَ فِي الْأَيَّامِ الْمُتَأَخَّرَةِ لِعُضْدِ آرَاءِ السَّابِلِيِّينَ عَلَى الْخُصُوصِ اهـ.

وَأَقُولُ: قَدْ حَدَثَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَذَاهِبُ جَدِيدَةٌ فِي النَّصْرَانِيَّةِ فِي أُوْرُبَّةَ وَأَمْرِيكَةَ قَرُبَ بَعْضِهَا كَثِيرُونَ مِنْ إِصْلَاحِ الْإِسْلَامِ لَهَا، سَيُفْضِي هَذَا إِلَى رُجُوعِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِلَيْهِ بَعْدَ تَنْظِيمِ الدَّعَايَةِ الصَّحِيحَةِ لَهُ وَتَعْمِيمِهَا، وَنَحْنُ نُبَيِّنُ هَذِهِ الْأَطْوَارَ فِي الْمَنَارِ فِي أَوْقَاتِهَا اهـ.

نقول: وهذا الذي ذكره هو اعتقاد النصارى على اختلاف طوائفهم^(١١٢) وقد بين الله فساد هذه العقيدة في عدة مواطن من كتابه من ذلك:

^{١١٢} ونقصد بذلك جماهير النصارى أي الطوائف المشهورة من أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت، وقد خالف في ذلك طائفة تدعى «الموحدين»! وقد جاء في كتاب «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» برئاسة العالم الأزهري الدكتور محمد جميل غازي (ص: ١٦٥) ما نصه:

ولكن لا يزال يوجد إلى اليوم طائفة هامة وقوية من بين الطوائف المسيحية المشهورة هي طائفة "الموحدين"، وقد أصبحت ظاهرة اليوم في الولايات المتحدة. ويتلخص قول الموحدين المسيحيين في: «لا إله إلا الله - المسيح رسول الله» إنسان فقط. وفيما يلي خلاصة مركزه لبعض مبادئ الفكر التوحيدي المسيحي:

١ - إن كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدس تسجيلًا قيمًا للخبرات الإنسانية وهي تصر على أن كاتبه كانوا معرضين للخطأ. ولهذا السبب فإن أغلب الأجزاء الرئيسية للمعتقدات المسيحية قد رفضت.

٢ - إن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر وبالتالي ثلاثة آلهة. إن الأسفار لم تعط أي مستند للاعتقاد في الثلث. إن نظام الكون يتطلب مصدرًا واحدًا للشرح والتعليل لا ثلاثة. لذلك فإن عقيدة الثلث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية.

٣ - لقد قدمت اعتراضات قوية ضد عقيدة لاهوت يسوع المسيح. إن الكتاب المقدس لم يقل بذلك، كما أن يسوع فكر في نفسه كزعيم ديني هو المسيا وليس كإله.

وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان، إذ لو كان عند أي من بطرس أو يهوذا أية فكرة على أن يسوع إله لما كان هناك تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا. إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنًا إلهيًا له كل القوى.

أولاً: قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

ثانياً: قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

ثالثاً: قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ

٤ - إن الحقيقة المزعومة عن أن يسوع مات من أجل خطايانا وبهذا وقانا لعنة الله إنما هي مرفوضة قطعاً. إن الاعتقاد في أن موت يسوع كان له هذه النتيجة إنما يعني الطعن في أخلاق الله.

إن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة.

إن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله هو أمر مناقض للحلم الإلهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها.

٥ - إن الموحدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر.

إنه لو كان إلهاً فإن المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة. حيث إنه يمتلك قوى لا نملكها. إن الإنسان لا يستطيع

تقليد الإله^١، ثم عزوا ذلك إلى (دائرة المعارف الأمريكية، جـ ٢٧، ص ٣٠٠ - ٣٠١).

أَتَى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴿[المائدة: ٧٢ - ٧٧].

رابعاً: قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]

خامساً: قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

سادساً: قوله تعالى:

﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]

سابعاً: قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ

يَتَّخِذُ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿[مريم: ٣٠ - ٣٦].

ثامنا: قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٩]

وقد بين علماء الأزهر -رحمهم الله- فساد هذه العقيدة وكلامهم في بيان فساد هذا المعتقد كثير -
ولله الحمد والمنة!- ومن باب التسهيل على القارئ؛ سنقسم كلامهم كما يلي:

أولاً: بيان حقيقة المسيح، ونفي ألوهيته وبنوته لله تعالى.

جاء في التفسير الوسيط - لمجمع البحوث (٢/ ٩٨٨):

«وغلّو النصارى في دينهم: أنهم أفرطوا في تقديس عيسى عليه السلام - حتى أخرجوه من مرتبة

البشرية، واتخذوه إلهاً من دون الله، وجعلوه ابناً لله...

[قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾: أي: ما عيسى ابن مريم إلا رسول،

وليس إلهاً من دون الله، ولا ابناً لله، كما تدعون.

وفي قصر عيسى على الرسالة - كما فهم من أسلوب الآية - زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على

الله غير الحق، وإشعاراً بأنهم قوم مفترون.

وفي ذكر اسمه: عيسى. وفي نسبته إلى أمه: مريم - إشارة إلى أنه إنسان ككل الناس ولدته أنثى، كما

أن في هذه النسبة أيضاً، تكذيباً لمن نسبوه إلى يوسف النجار^(١٣).

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: أي: وعيسى كلمة الله، أي إنه تكوّن في بطن أمه، ووُجدَ

بسبب كلمة الله وأمره: (كُنْ) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩). من غير سبب مادي من وجود زوج، كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم.

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: أي: إن عيسى تكوّن في بطن أمه، ونشأ فيها بنفخ الله تعالى - الروح فيه.

وكما أن عيسى من روح الله، فإن آدم وسائر ذريته من روح الله - تعالى - التي خلقها وأودعها في

كل كائن حي، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

وحديث: «إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ

يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ

وَأَجَلَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ

بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ

^{١٣} انظر إنجيل متى (١/ ١٦-١) «وَيَعْقُوبُ وَلَكَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ». وإنجيل لوقا (٣/ ٢٣ -

٣٨) «وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يَوْسُفَ، بَنٍ هَالِي».

والسؤال البدهي: أهو ابن الله - تعالى الله وتقدس -، أم هو ابن يوسف النجار؟! وكلاهما باطل صراح! نبرأ إلى الله منه.

أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(١٠٤).

ولما لم يتكوّن عيسى - عليه السلام - من نطفة أب وإنما تكون من نفخة بإذن الله - وصف بأنه: روح، ومعنى (منه): أي من الله. أي كائنة من الله، تشريفاً وتفضيلاً له، وهذا وجه من وجوه وردت في بيان معنى الروح، ومنها: أن معنى الروح؛ الرحمة والنعمة من الله على عباده، أي أن عيسى - عليه السلام - لما كان رحمة من الله لقومه، ونعمة عظيمة منه عليهم، من حيث إنه كان يرشدهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، سمى روحاً منه - سبحانه وتعالى - وكانت منه تشريفاً وتعظيماً له عليه السلام، والمعنى: أن عيسى روح عظيمة، وهبة جليلة، مبتدأة من الله.

و (من): ابتدائية على كل معنى، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لروح. أي وروح عظيمة مبتدأة من جهته تعالى، وليست (من) تبعية كما تزعم النصارى، ليصلوا إلى باطل من أباطيلهم، وهو أن عيسى جزء من الله».

وقالوا أيضاً - رحمهم الله - في (٢ / ٩٩٣): ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾: أي: لن يأنف من وصفتموه بالألوهية، وأنه ابن الله، من أن يكون عبداً لله، ولن يترفع عن ذلك؛ لأنه شرف عظيم يفخر به المخلصون.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: ولا الملائكة المقربون عند الله، ومنهم الروح الأمين: جبريل عليه السلام، لا يأنفون من أن يكونوا عبيداً لله، ولا يترفعون عن ذلك، لأنهم مفطورون على الطاعة. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

والمقصود بهذا الاستطراء: تقوية الرد على النصارى وتأكيده، حيث زعموا أن عيسى إله مع الله، فلن يكون عبداً لله.

ولما كان منشأ ذلك عندهم أنه خلق من غير أب، بين الله لهم أن الملائكة خلِقوا من غير أب ولا أم، ولهم عند الله تلك المكانة العالية، وأنهم أكمل حالاً في العلم بالمغيبات، وفي القدرة على حمل ما لا

^{١٠٤} الفتح الكبير: ١ - ٢٨٧ للبخاري ومسلم ولأبي داود وللترمذي وللنسائي ولابن ماجه عن ابن مسعود.

يستطيعه البشر، وهم -مع ذلك- لا يأنفون من وصفهم بالعبودية، بل يعتزون بأنهم عباد الله ... فكيف يأنف عيسى من ذلك؟! والعبودية لله أعلى مراتب الشرف، وأعظم درجات الكمال. وإن كانت الشبهة التي عليها يعولون في إثبات أن المسيح ابن الله، هي أنه كان يخبر عن المغيبات، وكان يأتي بخوارق العادات، فتلك شبهة واهية؛ لأنه لم يكن -في ذلك- بدعاً من الرسل، فقد أجرى الله على يد غيره من الأنبياء كثيراً من خوارق العادات. والمعنى: لا أحد يأنف من ذلك.

﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: أي: ومن يأنف من عبادة الله ويرتفع عنها، ظنا منه أن العار يلحقه بسبب هذه العبادة، فمردُّهم - وسائر الخلق - إلى الله، حيث يلقي كل جزاءه، ومن يستكبر على الخضوع له تعالى - لتوهمه أن طاعة الله دون مقامه - فسيحشر الله العابدين والمعبودين إليه - جميعاً - يوم القيامة، حيث لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً. والاستكبار دون الاستنكاف. والاستكبار: طلب الكبر، وهذا وعيد شديد، للذين يقولون على الله غير الحق «أهـ».

وجاء كذلك في التفسير الوسيط - لمجمع البحوث (٢/ ١٠٣٩):

«أرسل الله عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل: يدعوهم إلى التوحيد، والعمل الصالح. ولما كانت ولادته من غير أب - كما تقدم في سورة آل عمران - غلاً فيه النصارى. فزعموا أنه: إله أو ابن الله: ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. ولهذا القول الشنيع، حَكَمَ القرآنُ عليهم بالكفر، وردَّ عليهم بما يبطل عقيدتهم بقوله:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

أي: قل لأولئك الكفار يا محمد: مَنْ يقدر أن يمنع الله من شيء أراده .. ومن ذلك أن يهلك المسيح ابن مريم وأُمُّه ومن في الأرض جميعاً؟ .. لا أحد يستطيع ذلك ... وهم يقرّون به.

وإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولا عن أمه - شيئاً؟. فكيف يكون إلهاً، وهو لا

يستطيع دفع الهلاك عن نفسه؟

ومن صفات الإله أنه لا يعجز عن شيء. وإذن، فالمسيح ابن مريم - وأمه - مخلوقان كسائر مخلوقات الله، التي ينفذ فيها حكم الله، ولا يُردُّ عنها قضاؤه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:

ولله - وحده - ملك جميع الموجودات، والتصرف المطلق فيها، إحياء وإماتة، وإيجاد وإعدام. فلا شريك له في ذلك.

وهذا دليل آخر، على نفي الألوهية عن عيسى؛ لأنه لو كان إلهًا - كما يزعمون - لكان له شيء في ملك السموات والأرض وما بينهما - وقد ثبت في كتبهم أنه يردُّ الأمور كلها إلى الله ملكًا وتصرفًا.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾:

أي: يبدع ما يشاءه عن المخلوقات - على أي صورة - وفقًا لحكمته - جل وعلا -.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

وهو القادر على كل شيء من الخلق وغيره. ومن ذلك: أنه خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من غير أب وأم.

وفي هذه الآية، بيان لبعض أحكام الملك والألوهية، على وجه يزيح ما اعتراه من الشبه في أمر المسيح - عليه السلام - لولادته من غير أب.

وقالوا -أيضا- في (٢/ ١١٢٤) عند تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

مَرْيَمَ...﴾ الآية ٧٢ من سورة المائدة، قالوا:

«ذَكَرَ [سبحانه] مَنْ انْحَرَفَ مِنَ النِّصَارِيِّ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَادَّعَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

والمعنى: لقد كفر الذين زعموا من النصارى أن الله هو المسيح ابن مريم. مع أنه بشر والبشر لا

يصح أن يكون إلهًا.

ونسبة المسيح إلى مريم، للإيدان بأنه ليس له حظ من الألوهية.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾:

قالوا هذا - على الرغم من أن المسيح عليه السلام، قال لهم: اعبدوا الله ربي وربكم .. وقدم ربوبية الله تعالى إليه على ربوبيته - عز وجل - إليهم، للدلالة على أنه بشر مثلهم. ولهذا عطفهم عليه. ونحن نؤمن - بل نؤمن - بأن الأناجيل الباقية، قد تطرّق إليها التحريف والتغيير والتبديل، وزخرت بالمناقضات، ولكنها بقيت فيها - مع هذا - بقية ناطقة بالتوحيد تؤيد ما قررته هذه الآية والآيات الأخرى الكثيرة الكريمة:

فما في الأناجيل، ما قاله المسيح - عليه السلام - «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك. ويسوع: المسيح الذي أرسلته» (يوحنا: ١٧ / ٣).
وقوله: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله» (يوحنا: ٨ / ٤٠).
وقوله: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى: ٤ / ١٠).
وقوله: «ليس لأعمل لمشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يوحنا: ٦ / ٣٨).
والأمثلة عديدة لا يتسع لها المجال.
﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾:
دعاهم المسيح - عليه السلام - إلى أن يعبدوا الله وحده؛ لأنه ربه وربهم، كما تقدم.
... أما الرد على دعواهم أن المسيح ابن الله؛ لأنه ورد وصفه بهذا أربعا وأربعين مرة في العهد الجديد - وهو يضم الأناجيل الأربعة والرسائل الملحق بها - فهو: أن هذا اللقب فيه، لم ينحصر في المسيح عليه السلام، ولم يقتصر عليه، بل أطلق: على آدم - عليه السلام^(١٠٠)، وعلى إسرائيل حيث أطلق عليه لفظ (ابن الله البكر)^(١٠١)، وعلى داود عليه السلام^(١٠٢)، كما أطلق فيه على الملائكة^(١٠٣) وعلى المؤمنين جميعاً^(١٠٤)، فلم يكن مقصوراً على المسيح - عليه السلام -^(١٠٥).

^{١٠٠} (لوقا: ٣ / ٣٨).

^{١٠١} (خروج ٤ / ٢٢ - ٢٣).

^{١٠٢} (المزامير: ٢ / ٧).

^{١٠٣} (لوقا: ٢٠ / ٣٦).

^{١٠٤} (متى: ٥ / ٤٥).

ومع هذا، فقد ورد أيضًا في العهد الجديد وصف المسيح -بما يقرب من ضعفي هذا العدد- بأنه ابن الإنسان ثمانية وسبعين مرة^(١١١).

وطبيعي أن هذين الوصفين، يهدمان البنوة بمعنى الألوهية، وإذا انهدمت البنوة فقد انهدمت تبعًا لها الأبوة.

...﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ الآية.

...وهنا، تقرر الآية الكريمة: أنه رسول من البشر، كسائر من سبقه من الرسل، فليس إلهًا، ولا ابنا للإله، ونسبته إلى مريم، للإيدان بأنه وُلِدَ من غير أب، فإن الولد ينسب إلى أبيه لا إلى أمه؛ وللدلالة على بشريته وبشريتها؛ لأن التوالد من صفات البشر.

وأما معجزاته فهي كمعجزات الأنبياء السابقين: أجراها الله على أيديهم، لتأييدهم. وليست من صنعهم.

وكل نبي له معجزة تناسب أمته، فإذا كان عيسى قد أحيا الموتى بإذن الله، فقد ألقى موسى العصا، فانقلبت من جماد إلى حية تسعى بإذن الله، وهذا أبلغ من إحياء الموتى، لأن الحياة، هنا أجريت على جماد لم تسبق له حياة حيوانية، بخلاف إحياء ميت سبقت له الحياة.

على أن إحياء عيسى للموتى، كان بقدر المعجزة، فلم يتجاوزها إلى إحياء كل ميت، كشأن الإله القادر. فكيف يكون إلهًا؟!^(١١٢).

والأنجيل الباقية بين أيدينا، تؤيد ما ذكره القرآن الكريم.

^{١١١} نقول: قد ورد ما يبين معنى هذا اللقب في لغتهم فإذا نظرت: (مرقس: ٣٩/١٥) «وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ أَلْمَيْتَةِ أَلْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ أَلرُّوحَ، قَالَ: «حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ!». ونفس القصة في (لوقا: ٤٧/٢٣) «فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ أَلْمَيْتَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللَّهُ قَائِلًا: «بِالْحَقِّيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!». فالجمع بين هذين النصين يبين لك معنى هذا اللقب في لغتهم، فكل بار تقى هو ابن الله عندهم!.

^{١١٢} راجع قاموس الكتاب المقدس: (١٠٨، ١٠٩).

^{١١٣} نقول: وفيما بين أيديهم من الكتاب الذي يؤمنون به إثبات إحياء الموتى لغير المسيح صلى الله عليه وسلم، من ذلك إحياء إيلاء ابن المرأة كما جاء في (الملوك الأول: ١٧/١٧)، وإحياء إيلشع للصبي (الملوك الثاني: ٤/٢٣) وبل ورد أنه أحيا ميتا وهو ميت في قبره! كما في (الملوك الثاني ١٣/٢٠)، بل هذا حزقيال أحيا جيشا كاملا بكلمة! كما في (حزقيال ٣٧/١-١٤).

فقد جاءَ فيها: أن المسيح عليه السلام - قال مخاطباً ربه سبحانه: «أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا: ١٧ / ٣).

ففي هذا النص، يعترف السيد المسيح، بأن الله هو الإله وحده، وأنه رسول من عنده. وهذا ينقض دعواهم أنه إله.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾. ومريم -عليها السلام- أم المسيح، صديقة من البشر. والصديق: هو الذي يلتزم الصدق، ويؤيد فعله قوله ونيتته، وشأنه أن يلتزم الحق دائماً. وهي من سلالة طاهرة، ونشأت في بيئة طيبة، في كفالة نبي الله زكريا عليه السلام، وشبّت على طاعة الله تعالى: ﴿... وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ﴾. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: أي: أنهما كسائر البشر يأكلان الطعام، لحفظ حياتهما، ولو حرماً الطعام، لهلكا كسائر الكائنات الحية.

ومن هذا شأنه، لا يكون إلهاً، وإن كان من المصطفين الأخيار. وقد جاءَ في كتابهم: أنه كان يطلب الطعام من أتباعه. كما في إنجيل (لوقا ٢٤ / ٤١-٤٣): "أعندكم ها هنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك، وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم". وأكل الطعام: يستدعي الحاجة^(١١٣) إليه للانتفاع به. والإله غني عما سواه.

وقال علماء المجمع في التفسير الوسيط (٣ / ١١٨٨):

«واذكر يا محمد للناس، وقت قول الله - عز وجل - في الآخرة؛ توبيخاً للكفرة، وتبكيته لهم: أأنت يا عيسى، قلت للناس: اتخذوني وأُمَيَّ إلهين من دون الله، مع أنك أرسلت إليهم بدعوة التوحيد؟ وقد نعى الله على الذين اتخذوا المسيح إلهاً، في مواضع عدة من هذه السورة. وعبادة أمه كانت معروفة في الكنائس الشرقية والغربية^(١١٤)، وسُمِّيَ الذين عبدوها: «الْمَرْيَمِيُّونَ»... وهذه العبادة منها:

^{١١٣} فضلاً عما وراء الطعام من قضاء الحاجة؛ والإله الحق منزّه عن هذا كله سبحانه وتعالى.

ما هو صلاة ذات دعاء وثناء على المعبود.

ومنها ما هو استغاثة، واستشفاع.

ومنها ما هو صيام ينسب إليها، ويسمى صيام العذراء.

وكل ذلك يقترب بخضوع وخشوع لذكرها ولصورها ولتأثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها، وأنها

تنفع وتضر: في الدنيا والآخرة، إما بنفسها أو بواسطة ابنها. ويسمونها: «والدة الإله».

ولا تزال هذه الصور موجودة لدى طوائف المسيحيين على اختلاف مذاهبهم.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: أي: تنزيهاً لك يا الله، عن أن يكون معك إله آخر. وبذا، نزه عيسى ربه - على

رؤوس الأَشهاد - عن المشاركة في الذات والصفات، مع الخضوع لعزته والخوف من سطوته.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ﴾:

أي: ليس من شأني - ولا ينبغي لي - أن أدعى لنفسي ما ليس من حقها، فأنا مَرْبُوبٌ ولست برب،

وعابد ولست بمعبود. وذلك القول - بافتراض صدوره مني، فقد علمته.

إذ علمك واسع محيط بكل شيء: تعلم سرّي وما انطوى عليه ضميري. ولا أعم شيئاً مما استأثرت

به من غيبك وعلمك، إلا بقدر ما تُظهِره لي بالوحي. فالشك المفهوم من قوله: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عَلِمْتَهُ﴾ افتراضي لا حقيقي، ليقين عيسى - عليه السلام - بأنه لم يقله.

^{١١٤} العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ فالدعاء، والاستغاثة والاستعاذة، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة إذا صرف لغير الله فهو الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره؛ ومن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد اتخذ من دون الله إلهاً معبوداً؛ سواء صرح بتلك العبادة أم لم يصرح، و سواء صرف لرسول مكرم كمحمد، وعيسى -عليهما الصلاة والسلام-، أو لولي صالح كمریم والقديسين، أو زينب، والأولياء الصالحين؛ وعليه فالأرثوذكس يعبدون مريم ويألهونها وإن لم يطلقوا عليها وصف الإلهية، بل يعبدون الإيقونات والصور والتأثيل، مع ورود النهي الصريح في كتابهم المقدس في سفر (التثنية: ٨/٩-٩/٥): «لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثَّلاً مَنْحُوتاً صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهُ غَيْرُ» وجاء في كتاب «عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية» للدكتور حنين عبد المسيح، ص: ١٢ قوله: «تعتبر عبادة القديسين (وعلى رأسهم العذراء القديسة مريم) والملائكة من أكثر عبادات الأصنام انتشاراً واستفحالا في الكنيسة الأرثوذكسية في طقوسها وممارساتها واجتماعاتها بل وعقيدتها أيضاً».

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: إِنَّكَ أَنْتَ المحيط بجميع الغيوب، لا يخفى عليك شيء منها، في الأرض ولا في السماء.

ومن كان كذلك، فلا تخفى عليه براءتي مما نسبته إليّ من أَلَهُونِي وَأُمِّي.

وقالوا -كذلك- في (٣ / ١٦٨٩) عند قوله -جل وعز-:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾:

وقد أفادت الآية، أن كلا من اليهود والنصارى كفروا بادعاء البُنوّة لله تعالى، فأما اليهود فقد زعموا أن عزيرا ابن الله، وأما النصارى فقد زعموا أن المسيح ابن الله... وسبب قول النصارى ذلك، ادعائهم أن عيسى -عليه السلام- ما كان يستطيع إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى إلا لأنه ابن الله، لأن ذلك من خصائص الألوهية، ولهذا ملأوا كتبهم المقدسة لديهم بدعوى البنوّة، وقد شاء الله أن يكذبهم ويكشف جهلهم وزيفهم بما تضمنته أناجيلهم من التصريح بأنه ابن الإنسان، وتكرار هذا التصريح عشرات المرات في كل إنجيل من أناجيلهم.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾:

يريد الله بهذه الجملة الإشعار بأنه قول مجرد عن البرهان وخال عن الدليل... وإحياء عيسى للميت وإبرأؤه الأكمه والأبرص، معجزة لتأييد نبوته - كشأن معجزات الأنبياء، فكلها بفعل الله وخلقها، وليس جريانها على يديه بفعله لأنه ابن الله، كما ادعى النصارى ولذا كانت حوادثها محدودة على قدر قيام المعجزة المؤيدة لرسالته، وشأنه في ذلك كشأن (موسى) في أمر عصاه، بل هي أعظم إعجازا، فإن جعل الحياة في العصا حتى تبتلع السحر، أبلغ من إحياء الميت، لأن العصا ليست أهلا للحياة بخلاف الميت فإنه أهل لها، كما أنها أعظم من إبراء الأكمه والأبرص بالأولى.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾:....» انتهى.

وقالوا -أيضا- في (٣ / ١٦٩٢) عند قوله -تعالى-:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية. لا يزال الكلام متصلًا في عقائد أهل الكتاب التي كفروا بسببها فقد بينت هذه الآية أنهم تجاوزوا زعم النبوة لعزير والمسيح إلى ما هو أشد وهو اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا.

والمعنى: اتخذ اليهود علماء دينهم أربابا من دون الله فأطاعوهم في تحريم ما أحلَّ الله وتحليل ما حرَّم الله وجعلوهم بطاعتهم لهم كأنهم آلهة لهم يطاعون فيما يشرعون، طائنين أنهم مقدسون، مع أن كثيرا منهم آثمون، كما سيبينه الله تعالى، قال الربيع: قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال: ربما وجدوا في كتاب الله - يعني التوراة - ما يخالف قول الأحرار، فكانوا يأخذون بأقوالهم، ويتركون حكم كتاب الله: اهـ. واتخذ النصارى رهبانهم - أي علماءهم المتعبدین - اتخذوهم آلهة من دون الله بأن أطاعوهم فيما لم يحل، كما يطاع الله فيما شرعه لعباده مع أنهم آثمون.

روى الترمذي عن عدی بن حاتم قال أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب (وكان نصرانيا وقتئذ) فقال: ما هذا يا عدی اطرح عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه" وقد أسلم عدی بعد ذلك وكان من خيرة الصحابة - رضي الله عنهم -

﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: أي واتخذ النصارى المسيح، ابن مريم إلهًا^(١١٥)، وكان ذلك على صور شتى فمَرَّة عبده على أنه ابن الله، وأخرى عبده على أنه إله، وثالثة على أنه ثالث آلهة ثلاثة، وكل ما فعله هؤلاء لم يأمر به الله ولذا قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي وما أمرهم الله في كتبه التي أنزلها إليهم، إلا ليطيعوا إلهًا واحدًا فيما أمرهم به أو نهاهم عنه، هو الله لا إله إلا هو، فلا يصلح أن يطاع أو يعبد غيره - سبحانه - وتنزيها له عن أن يكون له شريك بأية صورة مما يفعلون.

^{١١٥} قالوا في الهامش: راجع ما كتبناه عن السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في ربيع ﴿إن الله اصطفى﴾ وما بعده من سورة آل عمران، وفي ربيع ﴿إنا أوحينا إليك﴾ في آخر سورة النساء، وفي الربع الأخير من سورة المائدة.

وقال علماء المجمع كذلك في التفسير الوسيط (٩ / ٨٢٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

أي: ما عيسى بن مريم إلا عبد كسائر العبيد، أنعمنا عليه بالنبوة، فهو رفيع المنزلة على المكانة، ولكنه لا يستحق أن يكون معبوداً لكونه عبداً من عباده تعالى، ولم يكن إلهاً أو ابن إله كما زعمت النصارى ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أمراً عجيباً حقيقاً بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة حيث كان آية يستدل بها على قدرة الله تعالى، فإنه كان من غير أب ثم جعل الله له من المعجزات إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك مما لم يجعل لغيره في زمنه مما حمل بعض الناس على الافتتان به، والحق أنه بشر جعله الله دليلاً على قدرة الله تعالى شأنه، حيث وجد من غير أب وهو بشر وكان مثلاً لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة خالقه.

وقال شيخ الأزهر السابق في التفسير الوسيط (٣ / ٤٠٠-٤٠٥):

«وقد تجاوز أهل الكتاب الحد وغالوا في شأن عيسى. أما اليهود فقد أنكروا رسالته واتهموا أمه مريم بما هي منه بريئة. وأما النصارى فقد رفعوا عيسى - عليه السلام - إلى مرتبة فوق مرتبة البشرية، واعتبره بعضهم إلهاً، واعتبره بعض آخر منهم ابناً لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً... والخطاب هنا وإن كان يشمل أهل الكتاب جميعاً من يهود ونصارى، إلا أن النصارى هم المقصودون هنا قصداً أولاً، بدليل سياق الآية الكريمة، فقد ذكرت حججاً تبطل ما زعمه النصارى في شأن عيسى، ولذا قال ابن كثير ما ملخصه: قوله - تعالى - يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا: ينهى - سبحانه - أهل الكتاب عن الغلو والإطراء. وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء أكان حقاً أم باطلاً، أم ضلالاً أم رشاداً، ولهذا قال - تعالى - اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله» اهـ.

... ثم بين - سبحانه - القول الفصل في شأن عيسى فقال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.

أي: إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. أرسله - سبحانه - لهداية الناس إلى الحق، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: أن عيسى مكون ومخلوق بكلمة من الله وهي كلمة (كن) من غير واسطة أب ولا نطفة. وهذه الكلمة ألقاها - سبحانه - إلى مريم، أي: أوصلها إليها بنفخ جبريل فيها فكان عيسى بإذن الله بشرا سويا.

وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: ونفخة منه، لأن عيسى حدث بسبب نفخة جبريل في درع مريم فكان عيسى بإذن الله. فنسب إلى أنه روح من الله، لأنه بأمره كان. وسمى النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح. قال - تعالى -: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. وقيل المراد بقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: وذو روح من أمر الله، لأنه - سبحانه - خلقه كما يخلق سائر الأرواح.

وقيل: الروح هنا بمعنى الرحمة. كما في قوله - تعالى - ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: برحمة منه. وصدر - سبحانه - الجملة الكريمة بأداة القصر (إنما) للتنبيه على أن عيسى - عليه السلام - ليس إلا رسولا أرسله الله لهداية الناس إلى الحق.

وذكره - سبحانه - بلقبه وباسمه وبنوته لمريم، للإشارة إلى أنه إنسان كسائر الناس، وبشر كسائر البشر، فهو مولود خرج من رحم أنثى كما يخرج الأولاد من أمهاتهم. وإذا كان لم يخرج من صلب أب، فيكفى أنه قد خرج من رحم أم، وكفى بذلك دليلا على بشريته.

قال بعض العلماء ما ملخصه: وقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: خلقه بكلمة منه وهي (كن) كما خلق آدم. وكان عيسى بهذا كلمة الله لأنه خلقه بها، فقد خلق من غير بذر يبذر في رحم أمه، فما

كان تكوينه نماء لبذر وجد، وللأسباب التي تجرى بين الناس، بل كان السبب هو إرادة الله وحده وكلمته (كن) وبذلك سمي كلمة الله.

وتعلق النصارى بأن كون عيسى كلمة الله دليل على ألوهيته - تعلق باطل - فما كانت الكلمة من الله إلهًا يعبد. وإنما سمي بذلك، لأنه نشأ بكلمة لا بمني من الرجل يمى....

وقوله: وَرُوحٌ مِنْهُ أَيُّ أَنَّهُ - سبحانه - أنشأه بروح مرسل منه وهو جبريل الأمين. وقد يقال: إنه نشأ بروح منه - سبحانه - أي: أنه أفاض بروحه في جسمه كما أفاض بها على كل إنسان كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۖ﴾.

والرأي الأول أولى. وعلى ذلك يكون معنى قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: أنه نشأ بنفخ الله الروح فيه من غير توسط سلالة بشرية، ونطفة تتشكل إنسانا، وذلك بالملك الذي أرسله وهو جبريل ...

وسمي الله - تعالى - عيسى روحا باعتباره نشأ من الروح مباشرة، ولأنه غلبت عليه الروحانية.. وبهذا يزول الوهم الذي سيطر على عقول من غالوا في شأن عيسى فنحلوه ما ليس له، وما ليس من شأنه، إذ جعلوه إلهًا، أو ابن إله ...^(١١٦).

وقوله المسيح مبتدأ، وعيسى عطف بيان له أو بدل منه. وقوله ابن مريم صفة له وقوله رَسُولُ اللَّهِ خبر للمبتدأ. وقوله وَكَلِمَتُهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ وهو رسول الله. أو قوله أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ جملة حالية من الضمير المجرور في كَلِمَتُهُ بتقدير قد، والعامل فيها معنى الإضافة. والتقدير: وكلمته ملقيا إياها إلى مريم.

وقوله وَرُوحٌ مِنْهُ مَعْطُوفٌ عَلَى كَلِمَتِهِ والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لروح. ومن لا ابتداء الغاية مجازا وليست تبعية، أي أن الروح كائن من عند الله - تعالى - ونافع بإذنه.

وقال - أيضا - في (٣ / ٤٥): « ثم بين - سبحانه - أن المسيح عيسى - عليه السلام - عبد من عباد الله - تعالى -، وأنه لن يستنكف أبدا عن عبادة الله والإذعان لأمره فقال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ

^{١١٦} قال في الهامش: تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة، بمجلة لواء الإسلام السنة ١٨ العدد ٩.

يَكُونُ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ... أي لن يمتنع المسيح ولن يتنزه عن العبودية لله - تعالى - ولن ينقطع عنها. ولن يعاب أن يكون عبدا لله تعالى.

والجملة الكريمة مستأنفة لتقرير ما سبقها من تنزيه لله - تعالى - عن أن يكون له ولد، وإثبات لوحدهانيته - عز وجل - وإفراده بالعبادة.

وقد روى المفسرون في سبب نزولها أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب صاحبنا يا محمد؟ قال: «ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال صلى الله عليه وسلم: وأي شيء قلت؟ قالوا تقول: إنه عبد الله ورسوله. قال صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله».

والمعنى: لن يأنف المسيح ولن يمتنع عن أن يكون عبدا لله، وكذلك الملائكة المقربون لن يأنفوا ولن يمتنعوا عن ذلك، فإن خضوع المخلوقات لخالقها شرف ليس بعده شرف. والله - تعالى - ما خلق الخلق إلا لعبادته وطاعته.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾.

وصدر - سبحانه - الجملة بحرف (لن) المفيدة للنفي المؤكد، لبيان أن عدم استنكاف المسيح والملائكة المقربين عن عبادة الله والخضوع له أمر مستمر وثابت ثبوتا لا شك فيه، لأنه - سبحانه - هو الذي خلق الخلق ورزقهم. ومن حقه عليهم أن يعبدوه، ويدعوا لأمره، بل ويشعروا باللذة والأنس والشرف لعبادتهم له - سبحانه - كما قال الشاعر الحكيم:

ومما زادني عجبا وتيها ... وكدت بأخصي أطأ الشريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وجعلك خير خلقك لي نبيا «أهـ».

وقال أيضا - رحمه الله - في تفسيره (٤ / ٩٢):

وقد أمر الله - تعالى - نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد على أولئك الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بما يكشف عن جهلهم وضلالهم فقال - تعالى -: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

أي: قل - أيها الرسول الكريم - هؤلاء النصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، قل لهم على سبيل الإنكار والتوبيخ والتجهيل: من ذا الذي يملك من أمر الله وإرادته شيئا يدفع به الهلاك عن المسيح وعن أمه وعن سائر أهل الأرض، إن أراد الله - سبحانه - أن يهلكهم ويبيدهم؟ لا شك أن أحدا لن يستطيع أن يمنع إرادته - سبحانه - لأنه هو المالك لأمر الوجود كله، ولا يملك أحد من أمره شيئا يستطيع به أن يصرفه عن عمل يريده أو يحمله على أمر لا يريده، أو يستقل بعمل دونه. ومادام الأمر كذلك فدعوى أن الله هو المسيح ابن مريم ظاهرة البطلان، لأن المسيح وأمّه من مخلوقات الله التي هي قابلة لطوء الهلاك والفناء عليها.

وحاشا للمخلوق الفاني أن يكون إلها وإنما الألوهية لله الخالق الباقي ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الإمام الرازي ما ملخصه: «احتج - سبحانه - على فساد ما ذهب إليه النصارى بقوله: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط.

والتقدير: إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعا فمن الذي يقدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره. وقوله ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فمن يملك من أفعال الله شيئا والملك هو القدرة. يعنى فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله - تعالى - ومنع شيء من مراده. وقوله: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعنى: أن عيسى مشاكل لمن في الأرض في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والأحوال، فلما سلّم كونه - تعالى - خالقا لكل مدبرا لكل وجب أن يكون أيضا خالقا لعيسى» اهـ.

وفي توجيه الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للرد عليهم تثبيت له وتقوية لحجته حتى يبطل قولهم الفاسد إبطالا يزداد معه المؤمنون إيمانا بالحق الذي آمنوا به.

قال أبو السعود: «وإنما نفيت المالكية المذكورة بالاستفهام الإنكاري عن أحد مع تحقيق الإلزام والتبكي لا بنفيها عن المسيح فقط، لتحقيق الحق بنفي الألوهية عن كل ما عداه - سبحانه - وإثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني.

وتعميم إرادة الإهلاك للكل - مع حصول المطلوب بقصرها على المسيح - لتهويل الخطب، وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره - تعالى - وملكوته. لا يقدر أحد على دفع ما أريد به. فضلا عن دفع ما أريد بغيره.

وللايذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للإهلاك، كما أنه أسوة لها فيما ذكر من العجز، وعدم استحقاق الألوهية» أهـ.

وتخصيص الأم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف، لزيادة تأكيد عجز المسيح، وأنه هو وأمه عبدان من عباد الله لا يقدران على رفع الهلاك عنهما.

وعطف عليهما قوله وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً من باب عطف العام على الخاص، ليكونا قد ذكرا مرتين. مرة بالنص عليهما. ومرة بالاندراج في العام، وذلك على سبيل التوكيد والمبالغة في تعلق نفاذ الإرادة فيهما.

وقوله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تأكيد لاختصاص الألوهية به - تعالى - إثر بيان انتفائها عما سواه.

أي: لله - تعالى - وحده دون أن ينازعه منازع. أو يشاركه مشارك، ملك جميع الموجودات، والتصرف المطلق فيها، إيجادا وإعداماً، وإحياء وإماتة. فهو المالك للسموات وما فيها وللأرض وما عليها، ولما بينهما من فضاء تجرى فيه السحب بأمره، ويطير فيه الطير بإذنه وقدرته. وما المسيح وأمه إلا من جملة ما في الأرض، فهما عبدان من عباد الله يدينان له - سبحانه - بالعبادة والطاعة والخضوع.

... وقوله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعترى النصارى من شبه في أمر المسيح لولادته من غير أب، وإحيائه الموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص، كل ذلك بإذن الله. أي أنه - سبحانه - يخلق ما يشاء أن يخلقه من أنواع الخلق بالكيفية التي يريدونها تبعا لمشيئته وإرادته».

وقال أيضا كما في التفسير الوسيط له (٤ / ٢٣٧):

«... لقد كفر أولئك النصارى الذين قالوا كذبا وزورا: إن الله المستحق للعبادة والخضوع هو

المسيح ابن مريم.

وقد أكد- سبحانه- كفرهم بالقسم المقدر لأنهم غالوا في إطراء عيسى وفي وضعه في غير موضعه

كما غالت اليهود في الكفر به وفي وصفه بالأوصاف التي هو بريء منها.

ثم حكى - سبحانه- ما قاله عيسى في الرد على من جعلوه إلها فقال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

أي: وقال المسيح مكذبا لمن وصفه بالألوهية: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به

شيئا، فهو ربي الذي خلقتني وتعهدي بالتربية والرعاية، وهو ربكم - أيضا- الذي أنشأكم وأوجدكم

ورزقكم من الطيبات.

والواو في قوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ للحال. والجملة حالية من الواو التي هي فاعل قالوا.

أي: قالوا ما قالوا، والحال أن عيسى قد تبرأ مما قالوه. وقال لبني إسرائيل حين إرساله إليهم:

﴿اعبدوا الله ربي وربكم﴾.

وقوله: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ تنبيه إلى ما هو الحجة القاطعة على فساد قولهم المذكور لأن عيسى لم يفرق

بينه وبين غيره في العبودية لله - تعالى - لأنه - سبحانه - هو الخالق له ولهم ولكل شيء.

ثم حكى - سبحانه- ما قاله عيسى محذرا من الإشراف فقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ

عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

وهذه الجملة تعليل للأمر بعبادة الله وحده. والضمير المقترن بإن ضمير الشأن والمراد بتحريم

الجنة على المشرك: منعه من دخولها، لإشراكه مع الله آلهة أخرى.

والمأوى: المكان الذي يأوي إليه الإنسان. أي يرجع إليه ويستقر فيه.

أي: قال المسيح لبني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، لأنه أي الحال والشأن مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شيئا في

عبادته - سبحانه - فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أي: منعه من دخولها، بسبب شركه وكفره، وجعل مأواه

النَّارُ أَي: جعل مستقره ومكانه النار بدل الجنة وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ينصرونهم بأن ينقذوهم مما هم فيه من بلاء وشقاء مقيم.

... ثم بين - سبحانه - حقيقة عيسى عليه السلام - وحقيقة أمه مريم حتى يزيل عن ساحتهما ما افتراه عليهما المفترون فقال - تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ.

وقوله: صِدِّيقَةٌ صيغة مبالغة في التمسك بفضيلة الصدق مثل شريب ومسيك مبالغة في الشرب والمسك.

... ليس الألوهية إلا لله وحده وليس المسيح عيسى ابن مريم سوى بشر من البشر ورسول مثل الرسل الذين سبقوه كنوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الرسل الذين مضوا دون أن يدعى واحد منهم الألوهية.

وأما أم عيسى مريم فما هي إلا أمة من إماء الله كسائر النساء ديدنها الصدق مع خالقها - عز وجل - أو التصديق له في سائر أمورها. وهما - أى عيسى وأم مريم - عبدان من عباد الله كانا يأكلان الطعام، ويشربان الشراب ويتصرفان كما يتصرف سائر البشر فكيف ساغ لكم - يا معشر النصارى - أن تصفوها بأنهما إلهين مع أن طبيعتهما الظاهرة أمامكم تتنافى تنافيا تاما مع صفات الألوهية: إن وصفكم لهما بالألوهية لدليل واضح على فساد عقولكم وضلال تفكيركم، وعظيم جهلكم.

وقوله مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ جملة مشتملة على قصر موصوف على صفة، وهو قصر إضافي، أي أن المسيح مقصور على صفة الرسالة لا يتجاوزها إلى غيرها وهي الألوهية فالقصر قصر قلب لرد اعتقاد النصارى في عيسى أنه الله، أو أنه جزء من الله أو أنه أحد آلهة ثلاثة.

وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة للرسول وهو عيسى أريد بها بيان أنه مساو للرسل الكرام الذين سبقوه في تبليغ رسالة الله إلى الناس وأنه ليس بدعا في هذا الوصف وإذا فلا شبهة للذين زعموا أنه إله لأنه لم يجيء بشيء زائد على ما جاء به الرسل.

وقوله. وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ معطوف على قوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ والقصد من وصف مريم بذلك مدحها والثناء عليها، ونفى أن يكون لها وصف أعلى من ذلك، فهي ليست إلهًا. كما أنها ليست رسولًا...

وقوله: كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ جملة مستأنفة لبيان خواصهما الآدمية بعد بيان منزلتهما السامية عند الله - تعالى - وقد اختيرت هذه الصفة لهما من بين صفات كثيرة كالشرب والملبس. لأنها صفة واضحة ظاهرة للناس، ودالة على احتياجها لغيرهما في مطلب حياتهما، ومن يحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا.

وقال صاحب الكشف: «لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفص، لم يكن إلا جسمًا مركبًا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة.. وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام وحاشا للإله أن يكون كذلك» أهـ

ففي هذه الجملة الكريمة رد على ما زعمه النصارى في شأن عيسى وأمه بأبلغ وجه وأحكمه، ولذا عجب الله - تعالى - رسوله وكل من يصلح للخطاب من جهلهم وبعدهم عن الحق مع وضوحه وظهوره فقال: انْظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أي: يصرفون يقال أفكه يَأْفِكُهُ إذا صرفه عن الشيء.

أي: انظر - يا محمد - كيف تبين لهم الأدلة المتنوعة على حقيقة عيسى وأمه بيانا واضحا ظاهرا. ثم انظر بعد ذلك كيف ينصرفون عن الإصاحبة إليها والتأمل فيها لسوء تفكيرهم، واستيلاء الجهل والوهم والعناد على عقولهم.

فالجملتان الكريمتان تعجيب لكل عاقل من أحوال النصارى الذين زعموا أن الله هو المسيح ابن مريم، أو أن الله ثالث ثلاثة. مع أنه - سبحانه - أقام لهم الأدلة المتعددة على بطلان ذلك.

وكرر الله - سبحانه - الأمر بالنظر للمبالغة في التعجيب من أحوالهم الغريبة وجيء بضم المفيدة للتراخي في قوله: ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ لإظهار ما بين وضوح الآيات وانصرافهم عنها من تفاوت شديد أي: أن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بحيث يجعل كل عاقل يستجيب لها، ويخضع لما تدعو إليه

من هدايات وخيرات. وانصراف هؤلاء الضالين عنها - مع وضوحها وتعاوض ما يوجب قبولها - أمر يدعو إلى العجب الشديد من جهلهم وضلالهم وسوء تفكيرهم.

ثم تابع - سبحانه - حديثه عن ضلال أهل الكتاب وجهالتهم فأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم أن يوبخهم على عنادهم وغفلتهم وأن يواصل دعوتهم إلى الدين الحق فقال - تعالى:

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧).

... والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الضالين من النصارى وأشباههم في الكفر والشرك قل لهم: أتعبدون معبودات غير الله - تعالى - هذه المعبودات لا تملك أن تصيكم بشيء من الضرر كالمرض والفقر، ولا تملك أيضا أن تنفعكم بشيء من النفع كبسط الرزق ودفع الضرر وغير ذلك مما أنتم في حاجة إليه.

فالمراد بما لا يملك: كل ما عبد من دون الله من حجر أو وثن أو غيرهما فتكون «ما» للعموم وليست كناية عن عيسى وأمه فحسب.

وقد سار على هذا المعنى ابن كثير فقال: يقول - تعالى - منكرًا على من عبد غيره من الأصنام والأوثان والأنداد، ومبينا له أنها لا تستحق شيئا من الألوهية فقال - تعالى - قُلْ أَيُّهَا مُحَمَّدٌ لَهْوَاءِ الْعَابِدِينَ غَيْرِ اللَّهِ مِنْ سَائِرِ فِرْقِ بَنِي آدَمَ وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ النَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

ويرى كثير من المفسرين أن المراد بقوله: ما لا يملك عيسى - عليه السلام - أو هو وأمه لأن الكلام مع النصارى الذين قال بعضهم: إن الله المسيح ابن مريم. وقال آخرون منهم: إن الله ثالث ثلاثة، فتكون الآية دليلا آخر - بعد الأدلة السابقة - على فساد أقوال النصارى في عيسى وأمه مريم.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون - من دون الله - عيسى وأمه وهما لا يستطيعان أن يضراكم بشيء من الضرر في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعاكم بشيء من النفع كإيجاد الصحة

والخصب والسعة، لأن الضر والنفع من الله وحده وكل ما يستطيعه البشر من المضار أو المنافع هو بتمكين الله لهم وليس بقدرتهم الذاتية.

... وأوثر «ما» على «من» لتحقيق ما هو المراد من كونها بمعزل من الألوهية رأساً، بيان انتظامهما في مسلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً ولا شك أن من صفات الرب أن يكون قادراً على كل شيء، فقول النصارى بأن الله هو المسيح ابن مريم أو هو ثالث ثلاثة، قول ظاهر البطلان واضح الفساد ...

ثم أرشدهم - سبحانه - إلى طريق الحق، ونهاهم عن الغلو الباطل فقال: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ وَالغْلُو مَصْدَرٌ غَلَا فِي الْأَمْرِ: إذا تجاوز الحد. وهو نقيض التقصير ... وقد غالى أهل الكتاب في شأن عيسى - عليه السلام - أما اليهود فقد كفروا به ونسبوه إلى الزنا وافتروا عليه وعلى أمه افتراء شديداً وأما النصارى فقد وصفوه بالألوهية فوضعوه في غير موضعه الذي وضعه الله فيه وهو منصب الرسالة. وكما غالوا في شأن عيسى عليه السلام - فقد غالوا أيضاً في تمسكهم بعقائدهم الزائفة، مع أن الدلائل الواضحة قد دلت على بطلانها وفسادها.

... والمعنى: قل يا محمد لأهل الكتاب الذين تجاوزوا الحدود التي تقرأها الشرائع والعقول السليمة، قل لهم يا أهل الكتاب: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ أَي: لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزاً باطلاً، كأن تعبدوا سواه مع أنه هو الذي خلقكم ورزقكم، وكأن تصفوا عيسى بأوصاف هو بريء منها.

وقل لهم أيضاً: وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ أَي: ولا تتبعوا شهوات وأقوال قوم من أسلافكم وعلمائكم ورؤسائكم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ أَي: قد ضلوا من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بتحريفهم للكتب السماوية وتركهم لتعاليمها جرياً وراء شهواتهم وأهوائهم وَأَضَلُّوا كَثِيراً أَي أنهم لم يكتفوا بضلال أنفسهم بل أضلوا أناساً كثيرين سواهم ممن قلدهم ووافقهم على أكاذيبهم وقوله: وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ معطوف على قوله قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ «اهـ».

وقال أيضاً في التفسير الوسيط (٤/ ٣٤٨):

«واذكر أيها الرسول الكريم وليذكر معك كل مكلف وقت أن يسأل الله - تعالى - عبده ورسوله عيسى فيقول له يا عيسى: أأنت قلت للناس اتَّخِذُونِي أَى: اجعلوني وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي من غير الله ... وكان النداء بقوله - سبحانه - يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَي: بغير ذكر النبوة، للإشارة إلى الولادة الطبيعية التي تنفى أن يكون إلهًا أو ابن إله أو فيه عنصر الألوهية بأي وضع من الأوضاع لأن الألوهية والبشرية نقيضان لا يجتمعان فلا يمكن أن يكون البشر فيه ألوهية، ولا إله فيه بشرية.

والتعبير بقوله اتَّخِذُونِي يدل على أنه ليس له حقيقة، بل هو في ذاته اتخذ بما لا أصل له.

والمقصود بالاستفهام في قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ﴾ توبيخ للكفرة من قومه وتبكيته كل من نسب إلى عيسى وأمه ما ليس من حقهما، وفضيحتهم على رءوس الأشهاد في ذلك اليوم العصيب، لأن عيسى سينفى عن نفسه أمامهم أنه قال ذلك وإنما هو أمرهم بعبادة الله وحده. ولا شك أن النفي بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتفريع وادعى لقيام الحجة على من وصفوه بما هو بريء منه.

قال الألوسي: واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحدا من النصارى اتخذ مريم إلهًا.

وأجيب عنه بأجوبة الأول: أنهم لما جعلوا عيسى إلهًا لزمهم أن يجعلوا والدته أيضًا كذلك لأن الولد من جنس من يلد، فذكر إلهين على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحرار والرهبان في قوله: اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية، يعتقدون في مريم الألوهية وهو أولى الأوجه عندي^(١١٧) اهـ.

^{١١٧} سبق وعلقنا على هذا الإشكال عند نقل كلام علماء المجمع في تفسير هذه الآية، ونعيده هنا للإفادة مع بيان أن الإله هو المعبود فمن عبد شيئًا فقد جعله إلهًا، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ فالدعاء، والاستغاثة والاستعاذة، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة إذا صرف لغير الله فهو الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره؛ ومن صرف شيئًا من ذلك لغير الله فقد اتخذ من دون الله إلهًا معبودًا؛ سواء صرح بتلك العبادة أم لم يصرح، وسواء صرف لرسول مكرم كمحمد، وعيسى -عليهما الصلاة والسلام-، أو لولي صالح كمریم والقديسين، أو زينب، والأولياء الصالحين؛ وعليه فالأرثوذكس يعبدون

وقوله - تعالى - قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ بَيَانٍ لِمَا أَجَابَ بِهِ عِيسَى عَلَى خَالِقِهِ - عز وجل -.

أى: قال عيسى مجيباً ربه بكل أدب وإذعان: تنزيها لك - يا إلهى - عن أن أقول هذا القول، فإنه ليس من حقي ولا من حق أحد أن ينطق به.

فأنت ترى أن سيدنا عيسى - عليه السلام - قد صدر كلامه بالتنزيه المطلق لله - عز وجل - ثم عقب ذلك بتأكيد هذا التنزيه، بأن أعلن بأنه ليس من حقه أن يقول هذا القول، لأنه عبد له - تعالى - ومخلوق بقدرته. ومرسل منه لهداية الناس فكيف يليق بمن كان شأنه كذلك أن يقول لمن أرسل إليهم اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثم أضاف إلى كل ذلك الاستشهاد بالله - تعالى - على براءته، وإظهار ضعفه المطلق أمام علم خالقه وقدرته فقال - كما حكى القرآن عنه - ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ اهـ.

وقال أيضا في التفسير الوسيط (٦ / ٢٥٨):

«وأما قول النصارى «المسيح ابن الله» فهو شائع مشهور، ومن أسبابه أن الله - تعالى - قد خلق عيسى بدون أب على خلاف ما جرت به سنته في التوالد والتناسل، فقالوا عنه «ابن الله».

وقد حاجهم - سبحانه - في سورة آل عمران بأن آدم قد خلقه الله من غير أب أو أم، فكان أولى بنسبة البنوة إليه، لكنهم لم ينسبوا إليه ذلك، فينبغي أن يكون عيسى كآدم.

قال - تعالى - إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

مريم ويأهونها وإن لم يطلقوا عليها وصف الإلهية، بل ويعبدون الايقونات والصور والتماثيل، مع ورود النهي الصريح في كتابهم المقدس في سفر (الثنية: ٨/ ٥-٩): «لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثُّلاً مَنُحَوَّطاً صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. ٩ لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ» وجاء في كتاب «عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية» للدكتور حنين عبد المسيح، ص: ١٢ قوله: «تعتبر عبادة القديسين (وعلى رأسهم العذراء القديسة مريم) والملائكة من أكثر عبادات الأصنام انتشارا واستفحالا في الكنيسة الأرثوذكسية في طقوسها وممارساتها واجتماعاتها بل وعقيدتها أيضا».

وقوله: ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ذَمَّ لَهُمْ عَلَى مَا نَطَقُوا بِهِ مِنْ سُوءِ يَمَجِّهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ، والفكر القويم.
أي: ذلك الذي قالوه في شأن «عزير والمسيح» قول تلوكه ألسنتهم في أفواههم بدون تعقل، ولا
مستند لهم فيما زعموه سوى افتراءهم واختلاقهم، فهو من الألفاظ الساقطة التي لا وزن لها ولا قيمة،
فقد قامت الأدلة السمعية والعقلية على استحالة أن يكون لله ولد أو والد أو صاحبة أو شريك.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

ولقد أُنذر، سبحانه، الذين نسبوا إليه الولد بالعقاب الشديد فقال: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ .

وأُسند، سبحانه، القول إلى الأفواه مع أنه لا يكون إلا بها، لاستحضار الصورة الحسية الواقعية،
حتى لكانها مسموعة مرئية وليبان أن هذا القول لا وجود له في عالم الحقيقة والواقع، وإنما هو قول لغو
ساقط وليد الخيالات والأوهام، ولزيادة التأكيد في نسبة هذا القول إليهم، أي: أنه قول صادر منهم
وليس محكيا عنهم... والمراد بالذين كفروا من قبل: قيل، أهل مكة وأمثالهم من المشركين السابقين
الذين قالوا، الملائكة بنات الله وقيل، المراد بهم قدماء أهل الكتاب، أي، أن اليهود والنصارى
المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم يشابهه قولهم في العزيز وعيسى قول آبائهم الأقدمين، - أي
المعاصرين للعهد النبوي - قد ورثوا الكفر كابرا عن كابر.

والأولى من هذين الوجهين أن يكون المراد بالذين كفروا من قبل. جميع الأمم التي ضلت
وانحرفت عن الحق، وأشركت مع الله في العبادة آلهة أخرى.

قال صاحب المنار، وقد علمنا من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة التفسير

الوسيط لطنطاوي (٢٦٠ / ٦)

الابن لله والحلول والتثليث، كانت معروفة عند البراهمة في الهند وفي الصين واليابان وقداماء

المصريين وقداماء الفرس.

وهذه الحقيقة التاريخية - والتي بينها القرآن في هذه الآية - من معجزاته لأنه لم يكن يعرفها أحد من العرب ولا ممن حولهم، بل لم تظهر إلا في هذا الزمان»^(١١٨).

والمعنى: أن هؤلاء الضالين الذين قال بعضهم «عزير ابن الله» وقال البعض الآخر «المسيح ابن الله» ليس لهم على قولهم الباطل هذا دليل ولا برهان، ولكنهم يشابهون ويتابعون فيه قول الذين كفروا من قبلهم من الأمم ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾.

وقوله: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ تعجيب من شناعة قولهم، ودعاء عليهم بالهلاك فإن من قاتله الله لا بد أن يقتل، ومن غلبه لا بد أن يغلب...

والمعنى: قاتل الله هؤلاء الذين قالوا عَزِيرُ ابْنُ اللَّهِ والذين قالوا الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ لأنهم بقولهم هذا محل مقت العقلاء وعجبهم، إذ كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون له - تعالى - ولد أو والد أو صاحبة أو شريك...؟!.

إن ما قالوه ظاهر البطلان وهو محل عجب العقلاء واستنكارهم وغضبهم.

وقوله - سبحانه اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ بَيَانَ لِلْوَاحِدِ مِنْ أَلْوَانِ انحراف اليهود والنصارى عن الحق إلى الباطل، وتقرير لما سبقت حكايته عنهم من أقوال فاسدة، وأفعال ذميمة ... وقوله: وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ معطوف على قوله أَحْبَارَهُمْ والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف أى: اتخذوه ربا وإلهًا.

قال صاحب المنار ما ملخصه: جمع - سبحانه. بين اليهود والنصارى في اتخاذ رجال دينهم أربابا بأن أعطوهم حق التشريع فيهم: وذكر بعد ذلك ما انفرد به النصارى دون اليهود من اتخاذهم المسيح ربا وإلهًا يعبدونه واليهود لم يعبدوا عزيرا، ولم يؤثر عن من قال منهم إنه ابن الله، أنهم عنوا ما يعنيه النصارى من قولهم في المسيح: إنه هو الله الخالق المدبر لأُمُور العباد»^(١١٩).

^{١١٨} تفسير المنار - بتصرف وتلخيص ج ١٠ ص ٣٩٩.

^{١١٩} تفسير المنار ج ١٠ ص ٤٢٦.

وقوله: وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جملة حالية أى: اتخذ هؤلاء المفترون على الله الكذب من اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، بأن أطاعوهم فيما يحلونهم وفيما يجرمونهم عليهم ولو كان ذلك مخالفا لشرع الله وكذلك اتخذ النصارى المسيح ابن مريم ربا وإلهًا. والحال أنهم جميعا ما أمروا على السنة رسلهم إلا بعبادة الله وحده، فهو المعبود الذي لا تعنو الوجوه إلا له، ولا يكون الاعتماد إلا عليه، وكل ما سواه فهو مخلوق له.

وقوله: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ صفة ثانية لقوله إلهًا. أو هو استئناف بياني لتعليل الأمر بعبادة الله وحده، وأنه - سبحانه - هو المستحق لذلك شرعا وعقلا.

وقوله: سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزيه له عن الشرك والشركاء إثر الأمر بإخلاص العبادة له. أى: تنزه الله - عز وجل - وتقديسه عن الشركاء والنظرء والأعوان والأضداد والأولاد، فهو رب العالمين، وخالق الخلائق أجمعين..».

وقال شيخ الأزهر السابق في التفسير الوسيط (٢/ ١٢٦):

«إن شأن عيسى وحاله الغريبة عند الله أي في تقديره وحكمه كَمَثَلِ آدَمَ أي كصفته وحاله العجيبة في أن كليهما قد خلقه الله - تعالى - من غير أب، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم - أيضا - . فالآية الكريمة تردد ردا منطقيا حكيما يهدم زعم كل من قال بالوهمية المسيح أو اعتبره ابن الله. وكان الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى لأنه خلق من غير أب: أنه إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلهًا أو ابن إله فأولى بذلك ثم أولى آدم لأنه خلق من غير أب ولا أم. ومادام لم يدع أحد من الناس ألوهية آدم لهذا السبب فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى لانتهيار الأساس الذي قام عليه وهو خلقه من غير أب.

ولأنه إذا كان الله - تعالى - قادرا على أن يخلق إنسانا بدون أب ولا أم. فأولى ثم أولى أن يكون قادرا على خلق إنسان من غير أب فقط. ومن أم هي مريم التي تولاه - سبحانه - برعايته وصيانتها لها من كل سوء وجعلها وعاء لهذا النبي الكريم عيسى - عليه السلام -».

يقول علامة الأزهر محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٦/ ٦٧):

«... وَقَدْ غَلَتِ الْيَهُودُ فِي تَحْفِيرِ عِيسَى وَإِهَانَتِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، فَفَرَطُوا كُلَّ التَّفْرِيطِ، فَعَلَتِ النَّصَارَى فِي تَعْظِيمِهِ وَتَقْدِيرِهِ فَأَفَرَطُوا كُلَّ الْإِفْرَاطِ، فَلَمَّا دَحَضَ -تَعَالَى- شُبُهَاتِ أَوْلِيكَ قَفَى بِدَحْضِ شُبُهَاتِ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ فَتَجَاوَزُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّهَا اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الدِّينِ كَالنَّقْصِ مِنْهُ، كِلَاهُمَا مُخْرَجٌ لَهُ عَنْ وَضْعِهِ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ أَيْ الثَّابِتَ الْمُتَحَقِّقَ فِي نَفْسِهِ، إِمَّا بِنَصِّ دِينِي مُتَوَاتِرٍ، وَإِمَّا بِبُرْهَانٍ عَقْلِيٍّ قَاطِعٍ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَزَاعِمِكُمْ فِي الْمَسِيحِ شَيْءٌ مِنْهُمَا.

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَعِبَادَةِ الْمَالِ، وَإِثَارِ شَهَوَاتِ الْأَرْضِ عَلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، وَزَهْدَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّقْوَى، وَبَشَّرَهُمُ بِالنَّبِيِّ الْخَاتَمِ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُقِيمُهُمْ عَلَى صِرَاطِ الْإِعْتِدَالِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ حُقُوقِ الْأَرْوَاحِ وَحُقُوقِ الْأَجْسَادِ.

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أَيُّ: وَهُوَ تَحْقِيقُ كَلِمَتِهِ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى أُمِّهِ مَرْيَمَ وَمِصْدَاقُهَا، وَالْمُرَادُ: كَلِمَةُ التَّكْوِينِ أَوْ الْبَشَارَةِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهَا الرُّوحَ الْأَمِينَ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، بَشَّرَهَا بِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَهَبَ لَهَا غُلَامًا زَكِيًّا، فَاسْتَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ لَهَا وَلَدٌ وَهِيَ عَذْرَاءٌ لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَقَالَ لَهَا: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فَكَلِمَةُ (كُنْ) هِيَ الْكَلِمَةُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّكْوِينِ بِمَخْضِ قُدْرَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- عِنْدَ إِرَادَتِهِ خَلْقَ الشَّيْءِ وَإِيجَادَهُ، وَقَدْ خَلَقَ الْمَسِيحَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ...

وَالْإِلْقَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَعَانِي وَالْكَلَامِ كَمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَتَاعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾، وَمَعْنَاهُ الطَّرْحُ وَالنَّبْذُ، فَلَمَّا عَبَّرَ اللَّهُ عَنِ التَّكْوِينِ أَوْ الْبَشَارَةِ بِالْكَلِمَةِ حَسَنَ التَّعْيِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أَيُّ أَوْصَلَهَا إِلَيْهَا وَبَلَّغَهَا إِلَيْهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ فَفِيهِ وَجْهَانِ:

(أَحَدُهُمَا): أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِرُوحٍ مِنْهُ تَعَالَى، وَيُوضِّحُهُ قَوْلُهُ فِيهِ: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وَقَالَ فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

(وَتَانِيَهُمَا): أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ خُلِقَ بِنَفْخٍ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَيُوضِّحُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي أُمِّهِ: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾، وَقَالَ - تَعَالَى - فِيهَا: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، كَمَا قَالَ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ ذِكْرِ بَدْئِهِ مِنْ طِينٍ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَا لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ هُنَا النَّفْخُ؛ أَيُّ: نَفَخَ الْمَلِكُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي مَرْيَمَ، فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى النَّفْخِ وَالنَّفْسِ الَّذِي يُنْفَخُ، كَمَا قَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي إِضْرَامِ النَّارِ:

فَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِهَا == بِرُوحِكَ وَاجْعَلْهَا لَهَا فَيْئَةً قَدْرًا

وَالرُّوحُ الَّذِي يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ مَاخُودٌ مِنْ اسْمِ الرِّيحِ (وَأَصْلُ الرِّيحِ رُوحٌ بِالْكَسْرِ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِتُنَاسِبَ الْكَسْرَةَ، وَجُمُعُهُ أَرْوَاحٌ، وَأَصْلُ هَذَا رِوَاحٌ بِالْكَسْرِ) كَمَا أَنَّ اسْمَ النَّفْسِ بِسُكُونِ الْفَاءِ مِنَ النَّفْسِ بَفَتْحِهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَرُوحٌ مِنْهُ الْأَمْرَانِ مَعًا؛ أَيُّ أَنَّهُ خُلِقَ بِنَفْخِ الْمَلِكِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالرُّوحِ وَبِرُوحِ الْقُدُسِ، فِي أُمِّهِ نَفْخًا كَانَ كَالْتَلْقِيحِ الَّذِي يَحْصُلُ بِاقْتِرَانِ الزَّوْجِيَّةِ، وَكَانَ مُؤَيَّدًا بِهَذَا الرُّوحِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ؛ وَلِذَلِكَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الرُّوحَانِيَّةُ، وَظَهَرَتْ آيَاتُ اللَّهِ فِيهِ زَمَنَ الطُّفُولِيَّةِ وَزَمَنَ الرُّجُولِيَّةِ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، فَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُطْلِقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ رُوحٌ كَأَنَّهُ هُوَ عَيْنُ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبَ وِلَادَتِهِ وَأَيَّدَهُ بِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، كَمَا يُقَالُ: «رَجُلٌ عَدْلٌ» عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ وَالْمُرَادُ: ذُو عَدَلٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ هُنَا: الرَّحْمَةُ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى- فِي الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى- فِيهِ: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، وَيُمْكِنُ إِدْخَالُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِهِ، وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ أَنَّ الرُّوحَ مَا بِهِ الْحَيَاةُ. وَالْحَيَاةُ قِسْمَانِ: حَسِّيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ؛ فَالْأَوَّلَى: مَا يَشْعُرُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيَذْكُرُ وَيَتَفَكَّرُ وَيَتَذَكَّرُ، وَالثَّانِيَّةُ: مَا بِهِ يَكُونُ رَحِيمًا حَكِيمًا فَاضِلًا مُحِبًّا مَحْبُوبًا نَافِعًا لِلخَلْقِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْوَحْيَ رُوحًا فَقَالَ لِخَاتَمِ رُسُلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾، وَقَالَ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ مُتَحَقِّقٌ فِي عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، فَلِهَذَا جَوَزْنَا الْوَجْهَيْنِ فِي الْمَسْأَلَةِ.

وَأَيَّةُ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي خَلْقِ عِيسَى بِكَلِمَتِهِ، وَجَعَلَهُ بَشَرًا سَوِيًّا بِمَا نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، كَأَيَّتِهِ فِي خَلْقِ آدَمَ بِكَلِمَتِهِ وَمَا نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ؛ إِذْ كَانَ خَلْقُ كُلِّ مِنْهُمَا بِغَيْرِ السَّنَةِ الْعَامَّةِ فِي خَلْقِ النَّاسِ مِنْ ذِكْرِ وَأُنْثَى ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وَقَدْ عَلِمَ بِمَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ قَوْلَهُ: مِنْهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ، صِفَةً لِرُوحٍ أَيْ وَرُوحٍ كَائِنَةٍ مِنْهُ، وَزَعَمَ بَعْضُ النَّصَارَى أَنَّ ﴿مَنْ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، وَأَنَّ عِيسَى جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ ابْنُهُ، وَنَقَلَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا لِلرَّشِيدِ نَاطِرَ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ الْوَاقِدِيِّ الْمُرُوزِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ فِي كِتَابِكُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- جُزْءٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَرَأَ لَهُ الْوَاقِدِيُّ قَوْلَهُ، تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾، وَقَالَ: يَلْزُمُ إِذَا أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَجْزَاءً مِنْهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَانْقَطَعَ النَّصْرَانِيُّ وَأَسْلَمَ، فَفَرَحَ الرَّشِيدُ بِإِسْلَامِهِ، وَوَصَلَ الْوَاقِدِيُّ بِصِلَةٍ فَاخِرَةٍ.

أَمَّا أَنَا حِيلَ النَّصَارَى وَكُتُبُهُمْ فَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ لَفْظَ الرُّوحِ فِي مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسِيحِ وَفِي غَيْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَتَّى: (١: ١٨) أَمَّا وَلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا، لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ حَاطِبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وَجَدَتْ حُبْلًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ).

وَفِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا تَفْصِيلٌ لظُهُورِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ لَهَا، وَتَبَشِيرِهِ إِيَّاهَا بِوَلَدِ، وَمُحَاوَرَتِهَا فِي ذَلِكَ، وَمِنْهَا أَنَّهُمَا سَأَلَتْهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ لَهَا: (٣٥) الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ (فَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ

هُوَ اللَّهُ، وَمَنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِهِ لَا يَكُونُ إِلَهًا، فَفِي هَذَا الْفَصْلِ نَفْسِهِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا أَنَّ (الْيَصَابَاتِ) أُمَّ يَحْيَى امْتَلَأَتْ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (٤١) وَبِذَلِكَ حَمَلَتْ بِيَحْيَى وَكَانَتْ عَاقِرًا، وَأَنَّ زَكَرِيَّا أَبَاهُ امْتَلَأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (٦٧).

وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْهُ مَا نَصُّهُ: «٢٥ وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سَمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَغْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ كَانَ عَلَيْهِ (٢٦) وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». وَهَذَا الْإِسْتِعْمَالُ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ لَا حَاجَةَ لِإِضَاعَةِ الْوَقْتِ بِكَثْرَةِ إِيرَادِ الشَّوَاهِدِ فِيهِ، وَإِنَّمَا نَقُولُ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَنَا وَاحِدٌ، وَهُوَ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يُخْصِي عَدَدَهُمْ غَيْرُهُ -تَعَالَى- وَالْقُدُسُ: الطَّهَرُ، وَيُذَكَّرُ فِي مُقَابِلِهِ فِي الْأَنْجِيلِ الرُّوحُ النَّجِسُ، أَيِ: الشَّيْطَانُ، فَجَعَلُوهُ إِلَهًا كَمَا فَعَلَ الْوَثْنِيُّونَ مِنْ قَبْلُ.

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْجِيلَ تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا مِنْ كَوْنِ عِيسَى خُلِقَ بِوَاسِطَةِ رُوحِ الْقُدُسِ، وَأَنَّ يَحْيَى خُلِقَ كَذَلِكَ وَكَانَ خَلْقُهُ آيَةً مِنْ وَجْهِ آخَرَ، إِذْ كَانَ أَبُوهُ شَيْخًا كَبِيرًا وَأُمُّهُ عَاقِرًا، وَلَكِنَّ الْوَاسِطَةَ وَالسَّبَبَ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُسَمَّى بِرُوحِ الْقُدُسِ، أَيْدَهُمُ اللَّهُ بِهِ نِسَاءً وَرِجَالًا -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.

فَمِنْ الْحَقَائِقِ أَنَّ يَقُولَ قَائِلٌ مَعَ هَذَا: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ يُفِيدُ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- جَلَّ شَأْنُهُ عَنِ التَّرَكِيبِ وَالتَّجْزِؤِ وَالْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ بِخَلْقِهِ.

بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّ تَلَامِيذَ الْمَسِيحِ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا مُؤَيَّدِينَ بِرُوحِ الْقُدُسِ حَتَّى مَنْ طَرَدَهُ الْمَسِيحُ وَلَعَنَهُ مِنْهُمْ وَسَمَّاهُ شَيْطَانًا، وَقَدْ أُيِّدَ بِهِ مَنْ كَانَ دُونَهُمْ أَيْضًا.

عَلِمْنَا أَنَّ مُؤَلِّفِي الْأَنْجِيلِ يَسْتَعْمِلُونَ كَلِمَةَ «رُوحِ الْقُدُسِ» اسْتِعْمَالًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ يُوْحَنَّا قَدْ انْفَرَدَ بِعِبَارَاتٍ يُمَكِّنُ إِرْجَاعَهَا إِلَى اسْتِعْمَالِ غَيْرِهِ، وَيُمْكِنُ تَحْرِيفَهَا لِإِسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى شَيْءٍ آخَرَ كَمَا فَعَلُوا، فَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرُّوحَ مُنْبِثٌ مِنَ الْآبِ وَإِنَّهُ عَيْنُ الْآبِ»، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ يُوْحَنَّا حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ: (١٥: ٢٦) وَمَتَّى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِثُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي).

أَصْلُ الْإِنْشَاقِ: أَنْ يَكْسِرَ الْمَاءُ مَا أَمَامَهُ مِنْ سَدٍّ عَلَى الشَّطِّ، وَيَفِيضُ عَلَى مَا وَرَاءَهُ، وَفِي قِرَاءَةِ أُخْرَى فِي تَرْجَمَةِ الْبَرْوُوسْتَانِتِ «يُخْرِجُ»^(١٢٠) فَمِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ اسْتَنْبَطُوا عَقِيدَةً وَثْنِيَّةً تَنْقُضُهَا نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي الْأَنْجِيلِ.

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ خَبَرٌ عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (وَفَرَقَ بَيْنَ يَنْبُتُ مِنْ عِنْدِهِ وَبَيْنَ انْبَثَقَ مِنْهُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ لَا تَدُلُّ عَلَى مَا زَعَمُوا أَيْضًا) وَهِيَ بَشَارَةٌ مِنَ الْمَسِيحِ بِمَنْ يُرْسِلُهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بَعْدَهُ الَّذِي عَبَّرُوا عَنْهُ هُنَا بِالْمُعْزِيِّ، وَكَلِمَةُ الْمُعْزِيِّ تَرْجَمَةٌ لِلْبَارْقَلِيطِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مَعْنَاهَا (مُحَمَّدٌ أَوْ أَحْمَدُ) وَتُقْرَأُ بِالِاسْتِقَامَةِ وَبِالْإِمَالَةِ، فَلَا يَخْتَاجُ فِي تَحْرِيفِهَا عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْنَا إِلَى مَعْنَى الْمُعْزِيِّ الَّذِي قَالُوهُ، إِلَّا إِلَى لِيِّ اللِّسَانِ بِهَا لِيًّا قَلِيلًا.

وَقَدْ تُرْجِمَتْ فِي أَنْجِيلِ بَرْنَابَا (بِمُحَمَّدٍ) فَكَانَتْ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ مَوْضِعَ الْاسْتِغْرَابِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ظَانِّينَ أَنَّ بَرْنَابَا نَقَلَ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ نَطَقَ بِكَلِمَةِ مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيَّةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نَطَقَ بِتَرْجَمَتِهَا، وَمِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ تَرْجَمَةُ الْأَعْلَامِ وَالْأَلْقَابِ، عَلَى أَنَّ «رُوحَ الْحَقِّ» مِنْ جُمْلَةِ أَسْمَاءِ نَبِينَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا تَرَى فِي أَسْمَائِهِ الْمَسْرُودَةِ فِي دَلَائِلِ الْخَيْرَاتِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ يُوْحَنَّا فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ أَنْجِيلِهِ تَفْصِيلًا عَنِ الْمَسِيحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِبَشَارَتِهِ بِالْبَارْقَلِيطِ، مِنْهُ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يَذْهَبَ هُوَ مِنَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَذْهَبْ لَا يَأْتِي الْبَارْقَلِيطُ، وَأَنَّهُ مَتَى جَاءَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَعَلَى الْبِرِّ وَالْحِسَابِ (الدَّيْنُونَةِ) وَفَسَّرَ الْخَطِيئَةَ بِعَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ، أَيِ الْمَسِيحِ، وَمِنْهُ أَنَّهُ هُوَ -أَيِ الْمَسِيحِ- لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ؛ لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ وَعَدَمِ طَاقَتِهِمْ الْإِحْتِمَالِ، قَالَ: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ (١٤) ذَاكَ يَمَجِّدُنِي؛ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»^(١٢١).

^{١٢٠} كذا في الترجمة العربية المبسطة، وفي ترجمة الشريف (الذي يأتي من الأب).

^{١٢١} النص كاملاً كما في إنجيل يوحنا (١٦: ٧-١٤): «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِيُّ، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: ٩ أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَا تَهْمُ لَا يُؤْمِنُونَ بِي، ١٠ وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَا تَهْمُ إِلَيَّ وَلَا تَرَوْنِي أَيْضًا، ١١ وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلَا تَهْمُ هَذَا الْعَالَمُ قَدْ دِينَ.

وَلَمْ يَجِئْ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبَخَ النَّاسَ وَبَكَّتْهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ وَعَلَى طَعْنِ بَعْضِهِمْ فِيهِ وَفِي أُمِّهِ، وَعَلَى غُلُوِّ طَائِفَةٍ فِيهِمَا وَجَعَلِيهَا إِهْنِ مَعَ اللَّهِ، وَعَلَّمَ النَّاسَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْعَقَائِدِ وَالْأَدَابِ وَالْفَضَائِلِ وَالْأَحْكَامِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَأَخْبَرَ بِالْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ - لَمْ يَجِئْ أَحَدٌ بِكُلِّ هَذَا إِلَّا رُوحَ الْحَقِّ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُنْشِقٌّ مِنْ اللَّهِ أَيْ مُرْسَلٌ مِنْهُ لِإِحْيَاءِ النَّاسِ، كَمَا يُرْسِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ لِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ شَبَّهَ بَعْثَهُ بِالْغَيْثِ الَّذِي تَأْخُذُ مِنْهُ كُلُّ أَرْضٍ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهَا.

فَإِذَا كَانَتْ عِبَارَةٌ يُوحَنَّا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ، وَأَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَهُ تَدُلُّ بِلَفْظِ الْإِنْبِثَاقِ عَلَى مَا قَالُوا، فَلْيَجْعَلُوا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الْأَفْتُونُومُ الثَّالِثُ أَوْ الْأَفْتُونُومُ رَابِعًا، وَيَنْتَقِلُوا مِنَ التَّثْلِيثِ إِلَى التَّرْبِيعِ، لَا، لَا أَقُولُ لَهُمْ أَصِرُّوا عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَالتَّضْلِيلِ، بَلْ أَقُولُ لَهُمْ مَا قَالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ، تَعَالَى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ الْخ.

و تكلم - رحمه الله - عن أخطاء بعض المفسرين الذين لم يضبطوا عقيدة النصارى - نقول ذلك إنصافاً للحق -؛ ثم قال كما في تفسير المنار (٦ / ٢٥٤):

«وَجَدَ الْآنَ فِي نَصَارَى أَوْرُبَّةَ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُوحِدِينَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ نَبِيٌّ رَسُولٌ لَا إِلَهَ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي النِّصَارَى مَنْ يَقُولُ بِتِلْكَ الْفَلَسَفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ يُغَيِّرُونَ فِي دِينِهِمْ مَا شَاءُوا أَنْ يُغَيِّرُوا فِي فَلْسَفَتِهِ وَغَيْرِ فَلْسَفَتِهِ، وَكَانَ أَكْبَرُ تَغْيِيرٍ حَدَثَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِّرِينَ مَذْهَبَ (الْبُرُوتَسْتَانْتِ) أَيْ: إِصْلَاحِ النَّصْرَانِيَّةِ؛ حَدَثَ مُنْذُ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ، وَصَارَ هُوَ السَّائِدَ فِي أَعْظَمِ الْأُمَمِ مَدَنِيَّةً وَارْتِقَاءً؛ كَالْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَإِنْكِلَرَةَ وَأَلْمَانِيَّةَ. نَسَفَ هَذَا الْمَذْهَبُ أَكْثَرَ التَّقَالِيدِ وَالْخُرَافَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ، ثُمَّ اسْتَبَدَلَ بِهَا تَقَالِيدَ أُخْرَى، فَصَارَ عِدَّةُ مَذَاهِبَ فِي الْحَقِيقَةِ.

١٢ «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْرِجُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ ذَلِكَ يُمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنِّي وَيُخْرِجُكُمْ».

وَمَعَ هَذَا تَرَى هَؤُلَاءِ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَعَادُوا النَّصْرَانِيَّةَ إِلَى أَصْلِهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُرْجِعُوهَا إِلَى التَّوْحِيدِ الصَّحِيحِ الَّذِي هُوَ دِينُ الْمَسِيحِ وَسَائِرِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرُسُلِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، فَهُمْ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ بِاللَّوْهِيَّةِ الْمَسِيحِ وَبِالتَّثْلِيثِ، وَيَعُدُّونَ الْمُوَحَّدَ غَيْرَ مَسِيحِيٍّ، كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ الْفِرْقَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ الْأُخْرَيَانِ مِنْ فِرْقِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَهُمُ الْكَاثُولِيكُ وَالْأَرْثُودُكْسُ، فَجَمِيعُ فِرْقِ نَصَارَى هَذَا الْعَصْرِ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ هُوَ اللَّهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

... قَالَ -تَعَالَى- فِي تَبَكُّيْتِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ وَرَدَّ زَعْمِهِمْ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أَيْ قُلْ، أَيُّهَا الرُّسُولُ، هَؤُلَاءِ النَّصَارَى الْمُتَجَرِّبِينَ عَلَى مَقَامِ الْأَلُوْهِيَّةِ بِهَذَا الزَّعْمِ الْبَاطِلِ: مَنْ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ شَيْئًا يَدْفَعُ بِهِ الْهَلَاكَ وَالْإِعْدَامَ عَنِ الْمَسِيحِ وَأُمَّهُ، وَعَنْ سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِنْ أَرَادَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُهْلِكَهُمْ وَيُبِيدَهُمْ؟.

وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّجْهِيلِ؛ أَيْ: إِنْ الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ قَابِلَةٌ لَطُرُوءِ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ عَلَيْهَا كَسَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَهُمَا وَيُهْلِكَ أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا، لَا يُوجَدُ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ إِرَادَتَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَالِكُ لِأَمْرِ الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يَضْرِفَهُ عَنْ عَمَلٍ يُرِيدُهُ أَوْ يَحْمِلُهُ عَلَى أَمْرٍ لَا يُرِيدُهُ، أَوْ يَسْتَقِلَّ بِعَمَلٍ دُونَهُ. تَقُولُ الْعَرَبُ: مَلِكٌ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَمْرُهُ: إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ، فَصَارَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفَذَ أَمْرًا وَلَا أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا إِلَّا بِهِ أَوْ بِإِذْنِهِ.

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي وَصْفِ الْحُمْرَةِ الَّتِي لَمْ يَكْسِرِ الْمَرْجُ حَدَّتَهَا، وَلَمْ تُبْطِلِ النَّارُ تَأْثِيرَهَا: لَمْ يَمْلِكِ الْمَاءُ عَلَيْهَا أَمْرُهَا وَلَمْ يُدْنِسْهَا الضَّرَامُ الْمُحْتَضَى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَبْلَغَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ نَفَى أَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ بَعْضَ أَمْرِهِ تَعَالَى فَضْلًا عَنْ مَلِكِ أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَصَارَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَهُ، أَوْ يُحَوِّلَهُ عَنْ إِرَادَتِهِ بِوَجْهِ مَا، وَلَوْ الدُّعَاءُ وَالشَّفَاعَةُ؛ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنْ ارْتَضَاهُ، فَلَا أَمْرَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَهُ وَحْدَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ ذَلِكَ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَذَا

الملائكة -عليهم السلام- فإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الهلاك أو عن والدته، كما أنه لا يستطيع غيره أن يدفعه عنه إذا أراد الله -تعالى- إنزاله به؛ فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء؟!.

ومن غريب تهافت هؤلاء الناس أنهم قالوا: إن شر نوع من أنواع الإهلاك، وهو الصلب نزل بالمسيح -الذي هو الكلمة والله هو الكلمة بزعمهم- ولم يستطع أن يدفعه عن نفسه، وأنه استغاث بربه خائفاً وجلاً صارعاً خاضعاً؛ ليصرف عنه ذلك الكأس، فلم يجبه إلى ما طلب! وهم يكابرون أنفسهم في دفع هذا التهافت بمثل قولهم: «إنه كان له طبيعتان ومشيتان؛ ثنتان منهما إلهيتان، وثنتان بشريتان»، وليت شعري، إذا كان هذا ممكناً؛ فهل يمكن معه أن يجهل المسيح بطبيعته البشرية طبيعته الإلهية، فيعرض عليها بمثل قولهم عنه في إنجيل متى (٢٧: ٤٦) إلهي إلهي، لماذا تركتني) ويستنجدها غير عالم بما يمكن وما لا يمكن لها بمثل ما قالوه عنه في إنجيل متى (٢٦: ٣٩) ثم تقدم قليلاً، وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس) إلى أن قال: (٤٢) فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً: إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك) وهذا أعظم حجة عليهم مصادقة حجة القرآن، فإن مشيئة الله لا يردّها شيء.

ثم إن الطبيعة البشرية هي التي خاطبت البشر، فإذا كان هذا شأنها؛ لا يقبل قولها، ولا يوثق بتعليمها؛ فكيف تجعل مع الطبيعة الأخرى شيئاً واحداً يسمى رباً وإلهاً ويعبد؟ والناس ما رأوا إلا الطبيعة البشرية، ولا عرفوا غيرها، ولا سمعوا إلا كلامها، ولا رأوا إلا أفعالها، والنكتة في عطف ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ على المسيح وأمه التذكير بآتمهما من جنس البشر الذين في الأرض، وما جاز على أحد المثليين جاز على الآخر، وأناجيلهم تعترف بأن المسيح كان كغيره في الشؤون البشرية، كما سيأتي في تفسير (ما المسيح ابن مريم إلا رسول ٥: ٧٥) الآية.

وها نحن ننقله إليك أخانا القارئ من تفسير المنار (٦/ ٤٠٣)

«قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قد يقول قائلهم إذا سمع ما تقدم: إذا كان التثليث أمراً باطلاً، لا حقيقة له، وكان الإله الحق

وَاحِدًا، لَا تَعُدُّ فِيهِ، وَلَا تَرْكِبَ مِنْ أَصُولٍ وَلَا أَقَانِيمَ، وَلَا يُشَبِّهُ الْأَجْسَامَ بِذَاتٍ وَلَا صِفَةً، فَمَا بَالُ الْمَسِيحِ، وَمَا شَأْنُهُ؟ هَلْ يُعَدُّ فَرْدًا مِنْ أَفْرَادِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا يَمْتَّازُ عَلَيْهَا بِالذَّاتِ وَلَا بِالصِّفَاتِ؟ وَهَلْ تُعَدُّ أُمُّهُ كَسَائِرِ النِّسَاءِ؟ أَجَابَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، الَّتِي يُورِدُهَا مَنْ أَكْبَرُوا الْمَسِيحَ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا؛ فَبَدَأَ بِذِكْرِ خُصُوصِيَّتِهِ الَّتِي امْتَّازَ بِهَا عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ، ثُمَّ ثَنَّى بِبَيَانِ حَقِيقَتِهِ الَّتِي يُشَارِكُ بِهَا كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِمْ.

أَمَّا الْخُصُوصِيَّةُ: فَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا رَسُولًا مِنْ رُسُلِ اللَّهِ -تَعَالَى- الَّذِينَ بَعَثَهُمْ لِهَدَايَةِ عِبَادِهِ، قَدْ خَلَتْ وَمَضَتْ مَنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الَّذِينَ اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَهُ بِالرَّسَالَةِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْآيَاتِ. فَبِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ امْتَّازَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ الرُّسُلُ عَلَى جَمَاهِيرِ النَّاسِ، وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ صَدِيقَةٌ مِنْ فَضْلِيَّاتِ النِّسَاءِ، فَمَرَّتَبُهَا فِي الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ تَلِي مَرْتَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُمَا الشَّخْصِيَّةُ وَالنَّوْعِيَّةُ فَهِيَ مُسَاوِيَّةٌ لِحَقِيقَةِ غَيْرِهِمَا مِنْ أَفْرَادِ نَوْعِيَّتِهِمَا وَجِنْسِيَّتِهِمَا، بِدَلِيلِ أَنََّّهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ، وَكُلٌّ مِنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى مَا يُقِيمُ بِنَيْتِهِ وَيَمُدُّ حَيَاتَهُ؛ لِئَلَّا يَنْحَلَّ بَدَنُهُ وَتَضْعُفَ قُوَاهُ، فَيَهْلِكَ، دَعُ مَا يَسْتَلْزِمُهُ أَكْلُ الطَّعَامِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى دَفْعِ الْفَضَلَاتِ، وَكُلُّ مُفْتَقِرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مُمَكِّنٌ، مُسَاوٍ لِسَائِرِ الْمُمْكِنَاتِ الْمَخْلُوقَةِ فِي حَاجَتِهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا خَالِقًا، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبًّا مَعْبُودًا، وَأَنَّ مَنْ سَفِهَ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ وَاحْتِقَارِهِ لِحِنْسِهِ أَنْ يَرْفَعَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُسَاوِيَةِ لَهُ فِي مَا هِيَئَتْهُ وَمُشَخَّصَاتِهِ بِمَزِيَّةٍ عَرَضِيَّةٍ لَهَا، فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ لَهَا عَبْدًا، وَيُسَمِّيَ مَا يُفْتَنُّ بِخُصُوصِيَّتِهِ مِنْهَا إِلَهًا أَوْ رَبًّا.

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أَي: انْظُرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ، أَوْ أَيُّهَا السَّامِعُ، نَظَرَ عَقْلٍ وَفِكْرٍ، كَيْفَ نُبِّئُ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى بُطْلَانِ دَعْوَاهُمْ فِي الْمَسِيحِ ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ اسْتِبَانَةِ الْحَقِّ بِهَا، وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ مُقَدِّمَاتِهَا إِلَى نَتَائِجِهَا، كَأَنَّ عُقُولَهُمْ قَدْ فَقَدَتْ بِالتَّقْلِيدِ وَظُفَيْفَتِهَا؟!

أَقَامَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْبُرْهَانَ مِنْ حَالِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ عَلَى بُطْلَانِ كَوْنِهِ إِلَهًا، وَبَيَّنَّ مَا يُشَارِكَانِ بِهِ أَشْرَفَ الْبَشَرِ مِنَ الْمَزِيَّةِ الْخَاصَّةِ، وَمَا يُشَارِكَانِ بِهِ سَائِرَ الْبَشَرِ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْعَامَّةِ.

وَقَفَى عَلَى ذَلِكَ بِالتَّعَجُّبِ مِنْ بُعْدِ التَّفَاوُتِ مَا بَيْنَ قُوَّةِ الْآيَاتِ الَّتِي حَجَّهْمُ بِهَا، وَشِدَّةِ انْصِرَافِهِمْ عَنْهَا، ثُمَّ لَقِنَ نَبِيَّهُ حُجَّةً أُخْرَى يُورِدُهَا فِي سِيَاقِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَتَبَكُّيَتِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ مَا لَا فَايِدَةَ فِي عِبَادَتِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَيُّ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ، هُوَ لَا النَّصَارَى وَأَمْثَلُهُمُ الَّذِينَ عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ، أَتَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ - أَيُّ: مُتَجَاوِزِينَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ - مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا تَخْشَوْنَ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ بِهِ إِذَا تَرَكْتُمْ عِبَادَتَهُ، وَتَرْجُونَ أَنْ عَنْكُمْ إِذَا أَنْتُمْ عَبْدْتُمُوهُ، وَلَا يَمْلِكُ لَكُمْ نَفْعًا تَرْجُونَ أَنْ يُجْزِيَكُمْ بِهِ، إِذَا عَبْدْتُمُوهُ، وَتَخَافُونَ أَنْ يَمْنَعَهُ عَنْكُمْ إِذَا كَفَرْتُمُوهُ؟ ! ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أَيُّ وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ السَّمِيعُ لِأَدْعِيَتِكُمْ وَسَائِرِ أَقْوَالِكُمْ، الْعَلِيمُ بِحَاجَاتِكُمْ وَسَائِرِ أَحْوَالِكُمْ، فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَدْعُوا غَيْرَهُ، وَلَا أَنْ تَعْبُدُوا سِوَاهُ.

وَلَمَّا كَانَ قَوْلُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ مِنْ أَشَدِّ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ بِتَعْظِيمِ الْأَنْبِيَاءِ فَوْقَ مَا يَحِبُّ، وَكَانَ إِذَا الْيَهُودُ لَهُ وَسْعِيهِمْ لِقَتْلِهِ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْجُمُودِ عَلَى تَقَالِيدِ الدِّينِ الصُّورِيَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْهُوَى فِيهِ، وَكَانَ هَذَا الْغُلُوُّ هُوَ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى قَتْلِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَشَعْيَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ انتهى.

ويقول أيضا - رحمه الله - في تفسير المنار (١٠ / ٢٩٠):

«كُنَّا بَيْنَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٥: ١٨) أَنَّ لَقَبَ «ابْنِ اللَّهِ» أُطْلِقَ فِي كُتُبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَلَى آدَمَ، كَمَا تَرَاهُ فِي نَسَبِ الْمَسِيحِ فِي آخِرِ الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا وَهُوَ: «ابْنُ شَيْثَ بْنِ آدَمَ بْنِ اللَّهِ». وَعَلَى يَعْقُوبَ كَمَا فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ (٤: ٢٢) «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرُ».

وَعَلَى أَفْرَايِمَ كَمَا فِي سِفْرِ أَرْمِيَا: (٣١: ٩) «لَأَنِّي صِرْتُ أَبَا وَأَفْرَايِمَ هُوَ بَكْرِي».

وَعَلَى دَاوُدَ: مِنْ (٨٩: ٢٦): «هُوَ يَدْعُونِي أَبِي أَنْتَ إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلَاصِي ٢٧ أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بَكْرًا أَعْلَى مِنْ كُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ».

وَأَنَّهُ أَطْلَقَ أَيضًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَسَمَّى اللَّهُ أَبَا لَهُمْ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُتُبِ الْعَهْدَيْنِ، وَيُقَابِلُهُ إِطْلَاقُ الْمَسِيحِ لَقَبَ «أَوْلَادِ إِبْلِيسَ» عَلَى غَيْرِ الصَّالِحِينَ، وَتَسْمِيَةُ إِبْلِيسَ أَبَاهُمْ كَمَا تَرَى فِي إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا: (٨: ٤١) «أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالِ أَبِيكُمْ، قَالُوا: إِنَّا لَمْ نُؤْلَدْ مِنْ زِنَا لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ ٤٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي - إِلَى أَنْ قَالَ - أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا».

وَهَذَا شَوَاهِدٌ أُخْرَى مِنْ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ ابْنِ اللَّهِ فِي الْأَفْرَادِ كَسَلِيمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَفِي الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَتَسْمِيَتِهِمْ مَوْلُودِينَ مِنْ اللَّهِ -تَعَالَى- وَتَسْمِيَتِهِ -سُبْحَانَهُ- أَبَا لَهُمْ.

وَيَبْنَى -أَيْضًا- أَنَّ هَذَا الْإِسْتِعْمَالَ مَجَازِيٌّ قَطْعًا لَا يَحْتَمِلُ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَلَكِنَّ النَّصَارَى قَدْ خَرَجُوا عَنْ قَوَانِينِ الْعَقْلِ وَاللُّغَاتِ بِجَعْلِ إِطْلَاقِ لَفْظِ «ابْنِ اللَّهِ» عَلَى الْمَسِيحِ وَحْدَهُ حَقِيقِيًّا وَعَلَى غَيْرِهِ مَجَازِيًّا، وَوَعَدْنَا بِتَوْضِيحِ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ عَلَى أَنَّنَا كُنَّا قَدْ بَيَّنَّاهُ وَوَضَّحْنَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (٤: ١٧١) الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ، وَكَذَا فِي مَوَاضِعَ مِنَ التَّفْسِيرِ (الْمَنَارِ) وَلَعَلَّنَا مَا وَعَدْنَا بِإِيضَاحِهِ إِلَّا وَنَحْنُ ذَاهِلُونَ عَنْ هَذَا وَكَثْرَةُ الْكَلَامِ فِي الْمَحَالِ لَا تَزِيدُهُ إِلَّا غُمُوضًا وَإِشْكَالًا.

فَالنَّصَارَى قَدْ تَحَكَّمُوا فِي تَفْسِيرِ «ابْنِ اللَّهِ» وَتَفْسِيرِ «الْكَلِمَةِ» وَتَفْسِيرِ «رُوحِ الْقُدُسِ» وَتَفْسِيرِ اسْمِ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» بِمَا يُنَافِي الْعَقْلَ وَنُصُوصَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ، فَجَعَلُوهَا مُتَعَارِضَةً مُتَنَاقِضَةً. كُلُّ ذَلِكَ لِإِذْخَالِ عَقِيدَةِ قَدَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ مِنَ الْهُنُودِ وَالْمُصْرِيِّينَ وَالْيُونَانِ عَلَى دِينِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُبْنِيِّ عَلَى أَسَاسِ التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ.

... قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي قَالُوهُ فِي عَزَائِرِ الْمَسِيحِ هُوَ قَوْلُهُمْ الَّذِي تَلَوْكُمُ السِّتْنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ، مَا أَنْزَلَ بِهِ اللَّهُ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ حَرَكَةَ اللِّسَانِ، إِذْ لَيْسَ لَهُ مَدْلُولٌ فِي

الْوُجُودِ، وَلَا حَقِيقَةً فِي مَدَارِكِ الْعُقُولِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (١٨: ٤، ٥).
وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُهُ فِي التَّبْيِي: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٣٣: ٤).

وَقَوْلُهُ فِي أَهْلِ الْإِفْكِ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٢٤: ١٥).
فَذَكَرَ الْأَفْوَاهَ -وَكَذَا الْأَلْسِنَةَ- مَعَ الْعِلْمِ بِهَا بِالْحَسِّ لِيَبَانَ مَا ذَكَرَ، أَيْ أَنَّهُ قَوْلٌ لَا يَعْدُوهَا وَلَا يَتَجَاوِزُهَا إِلَى شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ فَهُوَ كَمَا يَقُولُ الْعَوَامُّ: «كَالَامٍ فَارِعٌ».

يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ أَيْ: يُشَاهِبُونَ وَيُحَاكُونَ فِيهِ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فَقَالُوا هَذَا الْقَوْلَ أَوْ مِثْلَهُ، قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ سَلَفَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُمْ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ نُزُولِ الْقُرْآنِ، إِذْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا أَنَّ أَحَدًا مِنْ سَلَفِ أُولَئِكَ الْيَهُودِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ أَوْ غَيْرِهَا قَالُوا عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ فِي نَفْسِهِ، وَلَوْ كَانَتْ الْآيَةُ نَصًّا فِيهِ لَجَزَمْنَا بِهِ؛ لِأَنَّهُ عَدَمٌ وَصُولِ نَقْلِ إِلَيْنَا فِيهِ لَا يَقْتَضِي عَدَمَ وَقُوعِهِ^(١٢٣)، وَالرَّاجِحُ الْمُخْتَارُ أَنَّ الْمُرَادَ بِكُلِّ مَنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْآيَةِ الْجِنْسُ، وَهُوَ يَصْدُقُ بِوُقُوعِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي أَيِّ عَصْرِ كَانَ، وَالْمُخْتَارُ فِي مُضَاهَاتِهِمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ يَصْدُقُ فِي كُلِّ مَنْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ، وَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ تَارِيخِ قُدَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنَّ عَقِيدَةَ الْإِبْنِ اللَّهِ، وَالْحُلُولِ، وَالتَّثْلِيثِ، كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ فِي الْهِنْدِ وَالْبُودِيِّينَ فِيهَا وَفِي الصِّينِ وَالْيَابَانَ وَقُدَمَاءِ الْفُرسِ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ: (٤: ١٧١) الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا آتِفًا وَهَذَا الْبَيَانُ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَا يَمُنُّ حَوْثُهُمْ، بَلْ لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا فِي هَذَا الزَّمَانِ، كَمَا يُقَالُ مِثْلُ هَذَا فِيمَا بَيَّنَّاهُ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ كُتُبِهِمْ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ قَرِيبًا فِي فَصْلِ خَاصٍّ «انتهى».

^{١٢٣} وإلا لاتخذ اليهود تكأة للطعن في القرآن يومئذ -وهم الذين يتربصون بالقرآن والإسلام الدوائر-؛ فهذا كالأجماع منهم -يومئذ- على صحة ما جاء في القرآن.

ثانياً: ما جاء عن علماء الأزهر في بيان فساد ما يسمى بالتثالوث!

يقول علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (١١٢٧ / ٢):

«وأما كلمة التثليث: فقد اعترف كبار علماء اللاهوت - في قاموس الكتاب المقدس - أنها: «لم ترد في الكتاب المقدس. ويُظنُّ أن أول من صاغها واخترعها واستعملها، هو ترتليان، في القرن الثاني للميلاد. وقد خالفه كثيرون. ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية.

ثم استقر التثليث - بعد ذلك - عند الكنيسة المسيحية، على يد أوغسطينوس في القرن الخامس»^(١٢٣).

ومن هنا يتضح أن التثليث نبت بعد المسيح -عليه السلام- بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على المسيحية الحقّة الموحدة. وبهذا استحق القائلون به الحكم عليهم بالكفر الصريح.

وقال كبار الباحثين: إن التثليث تسرّب إلى المسيحية من العقائد الوثنية الهندية القديمة^(١٢٤).

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: والحق أنه لا يمكن - عقلاً - أن يكون الإله إلا واحداً. ولو فرض اتفاق الآلهة على ما يخلقون، فإن كان كل واحد منهم قادراً على ما يقدر عليه الآخر، فما فائدة التعدد؟ وإن كان كل منهم عاجزاً، فلا يصلحون - جميعاً - للألوهية. وإن كان البعض قادراً والبعض عاجزاً، فالقادر هو الإله وحده.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: معناه: أنه لا يمكن أن يكون الإله سوى إله واحد. كما ذكرنا في الأدلة السابقة.

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا تهديد للقائلين بالتثليث، وإنذار لهم بأن عليهم أن يستجيبوا للوحي السماوي الصادق: الذي يؤيده العقل السليم، والنظر الدقيق. وهو التوحيد. فإن لم يرجعوا إليه، فإن الله سبحانه، سيأخذهم بعذاب مؤلم، جزاء كفرهم القبيح.».

^{١٢٣} قاموس الكتاب المقدس ٢٣٢، ٢٣٣.

^{١٢٤} وسيأتي معنا إن شاء الله فصل مستقل لبيان أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية قديمة.

وقال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (٢/ ٩٩٠):

قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾: أي: وإذا كان هذا شأن المسيح وحاله: ليس إلهًا ولا ابنا لله، فآمِنُوا بِاللَّهِ - وحده - ربًّا لا شريك له في العبادة، ولا في الملك والسلطان، وليس معه ثان ولا ثالث، وليس بوالد ولا ولد، وآمنوا بالرسول جميعًا. وفي جملتهم: عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ولا تكفروا بأحدٍ منهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، الله واحد منهم. والتعبير بقوله: (وَلَا تَقُولُوا) دون ولا تؤمنوا بثلاثة: لبيان أن مجرد النطق بذلك منكر وقبيح، فضلا عن أن يكون اعتقادا وإيمانا، وفيه إشارة إلى أن ما ذهبوا إليه لا ظلَّ له من الحقيقة وإنما هو مجرد قول بالأفواه.

(انتهوا خَيْرًا لَكُمْ): أي: انتهوا عن الشرك والتثليث يكن الانتهاء عن ذلك خيرا لكم؛ لأنكم - به - تخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام، إلى العقيدة المبنية على الحجة والبرهان، فتفوزون من الله بالرضوان.

(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ): أي: إن العقيدة الصحيحة التي جمعت الخير كله، هي عقيدة التوحيد التي عبر القرآن عنها بقوله: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) أي إنما الله واحد بالذات، منزّه عن التعدد بأي وجه من الوجوه، متفرد في ألوهيته، وليس كما ادّعاه النصارى من أن عيسى وأمه مريم إلهان مع الله. وليس كما زعموه أيضا من تركبهما من أقانيم ثلاثة^(١٢٥) - الأب والابن والروح القدس - وأن كلا منهما له صفات

^{١٢٥} في هامش الكتاب: «عقيدة التثليث - في الأصل - عقيدة وثنية، سبقت المسيحية بآلاف السنين، فقد ظهرت - عند البابليين - في صورة إله السماء، وإله الأرض، وإله البحر، ثم في صورة إله الشمس، وإله القمر، وإله التشريع.

وظهرت عند الهنود في صورة الإله براهما، والإله شنو، والإله شيقا. وهو إله واحد في ثلاثة أقانيم. ثم ظهرت هذه الفكرة عند بطليموس الأول بالإسكندرية. راجع تاريخ الفلسفة للدكتور مذكور ص ٦، ١٢، ٦٥.

كما ظهرت في المسيحية بعد المسيح - عليه السلام - بثلاثة قرون (انظر كتاب قصص الأنبياء لفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار، صفحة ٤٨٠، ٤٨٣ طبعة أولى).

الألوهية، وأنها اتحدت وصارت إلهًا واحدًا؛ لأن العقل - كما يحيل تعدد الآلهة - يحيل كذلك تركيبها واتحادها».

وقال شيخ الأزهر السابق محمد طنطاوي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٠٣):

«وبعد أن بين -سبحانه- القول الحق في شأن عيسى، دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وبجميع رسله. ونهاهم عن التمسك بالضلال والوهم فقال -تعالى-: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً. انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ: إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

والفاء في قوله: فآمِنُوا للإفصاح عن جواب شرط مقدر. أي: إذا كان ذلك هو الحق في شأن عيسى، فآمِنوا بالله إيمانًا حقا بأن تفردوه بالألوهية والعبادة، وآمنوا برسله جميعا بدون تفريق بينهم، ولا تغالوا في أحد منهم بأن تخرجوه عن طبيعته وعن وظيفته..

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ نهى لهم عن النطق بالكلام بالباطل. أي: ولا تقولوا الآلهة ثلاثة، أو المعبودات ثلاثة. فثلاثة خبر لمبتدأ محذوف وعبر -سبحانه- بقوله: وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً بدل قوله -مثلا-: ولا تؤمنن بثلاثة لأن أمر الثلاثة قول يقولونه، فإن سألتهم عن معناه قالوا تارة معناه: الأب والابن والروح القدس، أي أنهم ثلاثة متفرقون. وتارة يقولون معناه: أن الأقانيم ثلاثة والذات واحدة.. إلى غير ذلك من الأقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان.

قال صاحب الكشف: والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة. وأن المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله -تعالى-: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾.

والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون: في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ...).

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: "كلمة التثليث لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها: ترتليان، في القرن الثاني للميلاد... وكم نادى أريوس أن الأب وحده هو الأزلي، بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخلق".

هذا، وقد أفاض بعض العلماء في الرد على مزاعم أهل الكتاب في عقائدهم..
وقوله: ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ أمر لهم بسلوك الطريق الحق، والإقلاع عن الضلالات والأوهام.
أي: انتهوا عما أنتم فيه من ضلال يا معشر أهل الكتاب، واتركوا القول بالتثليث، يكن انتهاؤكم
خيرًا لكم، بعبادتكُم الله وحده تكونون قد خرجتم من ظلمات الشرك إلى نور الوحدانية.
وقوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ إثبات لوحدة الله -تعالى- بأقوى طريق. أي: إن المعبود بحق ليس
إلا واحد، وهو الله -تعالى- ذو الجلال والإكرام، الخالق لهذا الكون، والمدبر لأمره.
وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ تنزيه له -جل وعلا- عن صفات المخلوقين، وتوبيخ لمن
وصفه بصفات لا تليق به.

وسبحان منصوب بفعل مقدر من لفظه: أي: أسبحه تسييحًا وأنزهه تنزيها عن أن يكون له ولد،
لأن الأبوة والبنوة من صفات المخلوقين، وهو -سبحانه- منزّه عن صفات المخلوقين، قال -تعالى-:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه أي أنه -سبحانه-
مالك لجميع الموجودات علويها وسفليها، ولا يخرج عن ملكه منها شيء.
قال -تعالى-: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، ومن كان شأنه كذلك
تنزه عن أن يلد أو يولد أو يكون له شريك في ملكه.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ تذييل قصد به بيان سعة قدرته -سبحانه وهيمته على هذا الكون.
والوكيل: هو الحافظ والمدبر لأمر غيره. أي: وكفى بالله وكيلًا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو
الغنى عنهم وهم الفقراء إليه. ومفعول كفى محذوف للعموم. أي: كفى كل أحد وكالة الله وحفظه
وتدبيره، فتوكلوا عليه وحده، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له.

يقول العالم الأزهرى محمد رشيد رضا -رحمه الله- كما في تفسير المنار (٦/ ٧١):

«... قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ إلخ. أي فإذا كان الأمر كذلك، وهو
المعقول الذي لا تحتمل غيره النقول، فآمِنُوا بِاللَّهِ إيمانًا يليق به، وهو أنه واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، لم يلدْ

وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، تَنَزَّهَ عَنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، وَنَسَبَتِهَا إِلَيْهِ وَاحِدَةً، وَهِيَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَهُوَ الْخَالِقُ، وَمَمْلُوكَةٌ وَهُوَ الْمَالِكُ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ فِي مَجْمُوعِ مُلْكِهِ أَقَلُّ مِنْ حَبَّةِ رَمَلٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْيَابِسِ مِنْهَا، وَمِنْ نُقْطَةِ مَاءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَحَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، فَمِنَ الْجَهْلِ الْفَاضِحِ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ نِدٌّ وَكُفٌّ فِيهَا، أَوْ يُقَالَ: إِنَّهُ حَلَّ أَوْ اتَّحَدَ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

وَأَمِنُوا بِرُسُلِهِ كُلِّهِمْ، كَمَا يَلِيقُ بِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ عَبِيدٌ لَهُ خَصَّهِمْ بِضَرْبٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةِ «الْوَحْيِ» لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ كَيْفَ يُوحِدُونَ رَبَّهُمْ وَيَعْبُدُونَهُ وَيَشْكُرُونَهُ، وَكَيْفَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُصْلِحُونَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ.

وَلَا تَقُولُوا: الْإِلَهُةُ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ وَالْإِبْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، أَوْ: اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَقَانِيمَ كُلٌّ مِنْهَا عَيْنُ الْآخِرِ، فَكُلٌّ مِنْهَا إِلَهٌ كَامِلٌ، وَمَجْمُوعُهَا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَتَسْفَهُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَرْكِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الَّذِي هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَالْقَوْلِ بِالثَّلَاثِ الَّذِي هُوَ عَقِيدَةُ الْوَثْنِيِّينَ الطَّغَامِ، ثُمَّ تَدْعُوا الْجَمْعَ بَيْنَ الثَّلَاثِ الْحَقِيقِيِّ وَالتَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ تَنَاقُضٌ تُحِيلُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَقْبَلُهُ الْأَفْهَامُ.

انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ؛ أَي: انْتَهَوْا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي ابْتَدَعْتُمُوهُ فِي دِينِ الْأَنْبِيَاءِ تَقْلِيدًا لِأَبَائِكُمُ الْوَثْنِيِّينَ الْأَغْيَاءِ، يَكُنْ هَذَا الْإِنْتِهَاءُ خَيْرًا لَكُمْ، أَوْ انْتَهَوْا عَنْهُ وَانْتَحِلُوا قَوْلًا آخَرَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْهُ، وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ بِتَوْحِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ حَتَّى الْمَسِيحِ الَّذِي سَمَّيْتُمُوهُ إِلَهًا فَإِنَّ مِمَّا لَا تَزَالُونَ تَحْفَظُونَ عَنْهُ قَوْلَهُ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا [١٧/٣]: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ).

إِنَّمَا ﴿اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ وَلَا أَقَانِيمُ، وَلَا هُوَ مُرَكَّبٌ وَلَا مُتَّحِدٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَيْ: تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ كَمَا تَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ إِنَّهُ ابْنُهُ وَإِنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ جِنْسٌ فَيَكُونُ لَهُ مِنْهُ زَوْجٌ يَقْتَرِنُ بِهَا فَتَلِدُ لَهُ ابْنًا.

وَالنُّكْتَةُ فِي اخْتِيَارِ لَفْظِ الْوَلَدِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، عَلَى لَفْظِ الْإِبْنِ الَّذِي يُعْبَرُونَ بِهِ، هِيَ بَيَانُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ الْإِبْنَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَلَدًا، أَيْ مَوْلُودًا مِنْ تَلْقِيحِ أَبِيهِ لِأُمِّهِ، وَهَذَا مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّهُ ابْنٌ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً؛ كَمَا أُطْلِقَ فِي كُتُبِ الْعَهْدِ

الْعَتِيقَ وَالْعَهْدَ الْجَدِيدَ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَدَاوُدَ وَعَلَى صَانِعِي السَّلَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَخْيَارِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ دَخْلٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا يُعَدُّ مِنْ بَابِ الْخُصُوصِيَّةِ.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ خَاصٌّ مَوْلُودٌ مِنْهُ يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى ابْنَهُ حَقِيقَةً، بَلْ لَهُ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسِيحُ مِنْ جُمْلَتِهَا خَلَقَ كُلَّ ذَلِكَ خَلْقًا، وَكُلُّ ذِي عَقْلٍ مِنْهَا وَإِدْرَاكِ يَفْتَخِرُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ عَبْدًا ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، لَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالنَّبِيِّينَ الصَّالِحِينَ، كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ الْآيَةُ التَّالِيَةُ لَهُذِهِ، وَلَا بَيْنَ مَنْ خَلَقَهُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ كَالْمَلَائِكَةِ وَآدَمَ، وَمَنْ خَلَقَ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ كَحَوَاءَ وَعِيسَى، وَمَنْ خَلَقَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، كُلُّهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ -تَعَالَى- سَوَاءً، عَبِيدٌ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ مُحْتَاجُونَ دَائِمًا إِلَى فَضْلِهِ، وَهُوَ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَمَا يَشَاءُ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أَي: بِهِ الْكَفَايَةُ لِمَنْ عَرَفَهُ وَعَرَفَ سُنَّتَهُ فِي خَلْقِهِ إِذَا وَكَّلُوا إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، وَلَمْ يُجَاوِلُوا الْخُرُوجَ عَنْ سُنَّتِهِ وَشَرَائِعِهِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ» اهـ.

يقول شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط (٤ / ٢٣٨):

«وقوله - تعالى - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بيان لما قالته طائفة أخرى من طوائف النصارى الذين يتفرقون في العقائد والنحل، ويتجمعون على الكفر والضلال، فهم شيع شتى، وفرق متنابهة، كل شيعة منهم تكفر الأخرى وتعارضها في معتقاداتها.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: في تفسير قول النصارى إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ طريقتان:

الأول: أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة. والذي يؤكد ذلك قوله - تعالى - للمسيح أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقوله: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَي: أحد ثلاثة آلهة. أو واحد من ثلاثة آلهة.

والطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: آب، وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة. وعنوا بالآب الذات. وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة.

وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمير أو اللبن؛ فزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد. ثم قال الإمام الرازي: واعلم أن هذا معلوم البطلان ببدئية العقل. فإن الثلاثة لا تكون واحدا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا وأظهر بطلانا من مقالة النصارى^(١٢٦). وقد ذكر بعض المفسرين أن الذين قالوا من النصارى إن الله ثالث ثلاثة هم النسطورية والمرقسية^(١٢٧).

ومعنى ثالث ثلاثة: واحد من ثلاثة. أى: أحد هذه الأعداد مطلقا وليس الوصف بالثالث؛ فقد ذكر النحاة أن اسم الفاعل المصوغ من لفظ اثنين وعشرة وما بينهما لك أن تستعمله على وجوه منها: أن تستعمله مع أصله الذي صيغ هو منه، ليفيد أن الموصوف به بعض تلك العدة المعينة لا غير. فتقول: رابع أربعة أى: واحد من أربعة وليس زائدا عليها، ويجب حينئذ إضافته إلى أصله. وقوله: وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ بيان للاعتقاد الحق بعد ذكر الاعتقاد الباطل. وقد جاءت هذه الجملة بأقوى أساليب القصر وهو اشتهاها على «ما» و «إلا». مع تأكيد النفي بمن المفيدة لاستغراق النفي.

والمعنى: لقد كفر الذين قالوا كذبا وزورا إن الله واحد من آلهة ثلاثة، والحق أنه ليس في هذا الوجود إله مستحق للعبادة والخضوع سوى إله واحد وهو الله رب العالمين، الذي خلق الخلق بقدرته، ورباهم بنعمته. وإليه وحده مرجعهم وإياهم.

ثم بين - سبحانه - سوء عاقبة هؤلاء الضالين الذين قالوا ما قالوا من ضلال وكذب فقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله: لَقَدْ كَفَرَ والمراد بانتهاهم: رجوعهم عما هم عليه من ضلال وكفر.

^{١٢٦} تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٦٠.

^{١٢٧} حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٥١٣.

والمراد بقوله: - عَمَّا يَقُولُونَ: أي عما يعتقدون وينطقون به من زور وبهتان أي: لقد كفر أولئك الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة كفرا شديدا بينا والحق أنه ليس في الوجود سوى إله واحد مستحق للعبادة، وإن لم يرجع هؤلاء الذين قالوا بالتثليث عن عقائدهم الزائفة وأقوالهم الفاسدة ويعتصموا بعروة التوحيد لِيَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أَي: ليصيبين الذين استمروا على الكفر منهم عذاب أليم. فالجملة الكريمة تحذير من الله - تعالى - لهم عن الاستمرار في هذا القول الكاذب. والاعتقاد الفاسد الذي يتنافى مع العقول السليمة، والأفكار القويمة).

يقول علامة الأزهر محمد رشيد رضا تفسير المنار (٦/ ٤٠١):

«قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أَكَّدَ تَعَالَى بِالْقَسَمِ أَيْضًا كُفْرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، ثَالِثُ أَقَانِيمٍ ثَلَاثَةٍ ؛ وَهِيَ: الْآبُ، وَالْإِبْنُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ النَّصَارَى قَبْلَ افْتِرَاقِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَالْمُلْكَانِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ، كَانُوا فِيهَا بَلَاغَنَا يَقُولُونَ: الْإِلَهُ الْقَدِيمُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ يَعُمُّ ثَلَاثَةً أَقَانِيمَ؛ أَبَا وَالِدًا غَيْرَ مَوْلُودٍ، وَابْنًا مَوْلُودًا غَيْرَ وَالِدٍ، وَرُوحًا مُتَّبَعَةً بَيْنَهُمَا» اهـ.

فَكَانَ هُوَ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ يَرَوْنَ - بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَالِ نَصَارَى زَمَانِهِمْ، وَمَا يَرَوْنَ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ - أَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنَ النَّصَارَى أَنَّ إِلَهُهُمْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ هُمْ غَيْرُ الْفِرْقَةِ الَّتِي تَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّ ثَمَّ فِرْقَةً ثَالِثَةً تَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ، وَلَا ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.

وَأَمَّا النَّصَارَى الْمُتَأَخِّرُونَ فَالَّذِي نَعْرِفُهُ مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقَانِيمِ، وَبِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنُ الْآخَرِ، فَالْآبُ عَيْنُ الْإِبْنِ، وَعَيْنُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَمَّا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ الْإِبْنُ كَانَ عَيْنُ الْآبِ وَرُوحُ الْقُدُسِ أَيْضًا، وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ بَعْضَ مُتَأَخَّرِي الْمَفَسِّرِينَ يَنْقُلُونَ أَقْوَالَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ

المسائل، ويُقَرُّونها ولا يَبْحَثُونَ عَنْ حَالِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَلَا يَشْرَحُونَ حَقِيقَةَ عَقِيدَتِهِمْ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا بَيَانُ عَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ، وَكَوْنِ النَّصَارَى أَخَذُوهَا عَنْ قَدَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ^(١٢٨)...^(١٢٩)

قَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أَيَّ قَالُوا هَذَا بِلا رَوِيَّةٍ وَلَا بِصِيرَةٍ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ ثَلَاثَةُ آلِهَةٍ، وَلَا اثْنَانِ، وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، لَا يُوجَدُ إِلَهٌ مَّا إِلَّا إِلَهٌ مُتَّصِفٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَهُوَ «اللَّهُ» الَّذِي لَا تَرْكِيْبَ فِي ذَاتِهِ، وَلَا تَعَدُّدَ.

وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَشَدُّ تَأْكِيدًا لِنَفْيِ تَعَدُّدِ الْإِلَهِ مِنْ عِبَارَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ (مِنْ) بَعْدَ (مَا) تُفِيدُ اسْتِغْرَاقَ النَّفْيِ وَشُمُولِهِ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُتَعَدِّدِ وَكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ، فَلَيْسَ ثُمَّ تَعْدَادُ ذَوَاتٍ وَأَعْيَانٍ، وَلَا تَعَدُّدُ أَجْنَاسٍ أَوْ أَنْوَاعٍ، وَلَا تَعَدُّدُ جُزْئِيَّاتٍ أَوْ أَجْزَاءٍ.

وَالنَّصَارَى قَدْ افْتَبَسُوا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَلَمْ يَفْهَمُوهَا، وَعُقْلًاؤُهُمْ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّقْصِي مِنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوهَا، بَعْدَ هَذِهِ الشُّهْرَةِ تَبْطُلُ ثِقَّةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ كُلِّهَا. كَمَا قَالَ أَحَدُ عُقْلَاءِ الْقُسُوسِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَصْرِيِّ مِنَ الشُّبَّانِ السُّورِيِّينَ.

وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ لَا تُعْقَلُ^(١٣٠)، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ يُحَاوِلُ تَأْنِيسَ النُّفُوسِ بِهَا، بِضَرْبِ أَمْثَلَةٍ لَا تَصْدُقُ عَلَيْهَا؛ كَكَوْنِ الشَّمْسِ مُرَكَّبَةً مِنَ الْجَزْمِ الْمُشْتَعِلِ وَالنُّورِ وَالْحَرَارَةِ، قَالَ الشَّيْخُ نَاصِيفُ الْيَازَجِيِّ:

^{١٢٨} سياقي معنا -إن شاء الله- فصل مستقل نقلناه من كلامه -رحمه الله-.

^{١٢٩} مكان الحذف إحالة للمواضع التي تكلم فيها عن عقيدتهم وهي قوله: «ارْجِعْ إِلَى تَفْسِيرِ (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً) (٤: ١٧١) فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ، رَاجِعْ (ص ٧١ وَمَا بَعْدَهَا ج ٦ ط الهَيْئَةِ) وَبَيَّنَّا قُبُلَهَا عَقِيدَةَ الصَّلْبِ وَالْفِدَاءِ، رَاجِعْ (ص ٢٠ وَمَا بَعْدَهَا ج ٦ ط الهَيْئَةِ) ثُمَّ بَيَّنَّا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ١٧ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ (ص ٢٥٣ وَمَا بَعْدَهَا ج ٦ ط الهَيْئَةِ).

^{١٣٠} قال أوغسطينوس: «عندما يراد البحث عن كلمة للإعراب بها عن الثلاثة في الله تعجز اللغة البشرية عن ذلك عجزاً أليماً».

وقال القس باسيلوس: «أجل إن هذا التعليم من التثليث فوق إدراكنا».

وقال القمص منسي يوحنا: «نعود فنكرر القول أن سر التثليث عقيدة كتابية لا تفهم بدون الكتاب المقدس وأنه من الضروري أن لا يفهمها البشر لأننا لو قدرنا أن نفهم الله لأصبحنا في مصاف الآلهة». (انظر كتاب «شمس البر» (ص: ١١٨-١٢١)).

نَحْنُ النَّصَارَى آلَ عِيسَى الْمُنْتَمِي حَسَبَ النَّاسِ لِلْبُتُولَةِ (؟) مَرْيَمَ
فَهُوَ إِلَهِ ابْنُ إِلَهِ وَرُوحُهُ ثَلَاثَةٌ فِي وَاحِدٍ لَمْ تُقْسَمَ
لِلْآبِ لَاهُوتُ ابْنِهِ وَكَذَا ابْنُهُ وَكَذَا هُمَا وَالرُّوحُ تَحْتَ تَقْنَمِ
كَالشَّمْسِ يَظْهَرُ جِزْمُهَا بِشُعَاعِهَا وَبِحَرِّهَا وَالْكُلُّ شَمْسٌ فَاعْلَمِ

فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ رَبَّهُمْ جَوْهَرٌ لَهُ أَعْرَاضٌ كَسَائِرِ الْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَامِ، وَلَكِنَّ الْعَرَضَ لَيْسَ عَيْنَ الذَّاتِ،
فَحَرَارَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ شَمْسًا، وَلَا هِيَ عَيْنَ الْجِزْمِ، وَلَا عَيْنَ الضَّوِّ، فَإِذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْإِبْنُ
وَرُوحُ الْقُدُسِ عَيْنَ الْآبِ! وَقَدْ أوردَ صَاحِبُ إظهارِ الْحَقِّ الْحِكَايَةَ الْآتِيَةَ فِي بَيَانِ تَجَبُّطِهِمْ فِي هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ، قَالَ^(١٣١):

«نَقُلُ أَنَّهُ تَنَصَّرَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ، وَعَلَّمَهُمْ بَعْضُ الْقِسِّيَّيْنَ الْعَقَائِدَ الصَّرُورِيَّةَ، سَيِّمًا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ.
وَكَانُوا فِي خِدْمَتِهِ، فَجَاءَ مُحِبٌّ مِنْ أَحْبَاءِ هَذَا الْقِسِّيِّ، وَسَأَلَهُ عَمَّنْ تَنَصَّرَ، فَقَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ
تَنَصَّرُوا، فَسَأَلَهُ هَذَا الْمُحِبُّ: هَلْ تَعَلَّمُوا شَيْئًا مِنَ الْعَقَائِدِ الصَّرُورِيَّةِ؟
فَقَالَ: نَعَمْ، وَطَلَبَ وَاحِدًا مِنْهُمْ لِيُرِيَ مُحِبَّهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ عَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ.

فَقَالَ: إِنَّكَ عَلَّمْتَنِي أَنَّ الْإِلَهَ ثَلَاثَةٌ؛ أَحَدُهُمُ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ، وَالثَّانِي الَّذِي تُوَلَّدُ مِنْ بَطْنِ مَرْيَمَ
الْعَذْرَاءِ، وَالثَّلَاثُ الَّذِي نَزَلَ فِي صُورَةِ الْحَمَامَةِ عَلَى الْإِلَهِ الثَّانِي بَعْدَ مَا صَارَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً.
فَغَضِبَ الْقِسِّيُّ وَطَرَدَهُ، وَقَالَ هَذَا مَجْهُولٌ، ثُمَّ طَلَبَ الْآخَرَ مِنْهُمْ وَسَأَلَهُ.
فَقَالَ: إِنَّكَ عَلَّمْتَنِي أَنَّ الْإِلَهَ كَانُوا ثَلَاثَةً، وَصَلِبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ؛ فَالْبَاقِي إِلْهَانٌ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ
الْقِسِّيُّ أَيْضًا وَطَرَدَهُ.

ولنا أن نقف مع قوله في مصاف الآلهة وقفة طويلة -وطويلة جدا-؛ ولكن نقتصر، ونختصر؛ فنقول: إن الحق يأبى إلا أن يظهر ويظفر؛
والحق أنهم يعتقدون في آلهة!! لا إله واحد؛ فليتأمل كل مثل!!؛ فإنه سطر ما سطر ليقول إن الثلاثة واحد؛ فتأبى عليه الحقيقة، وتنفلت
من مداد قلمه أن الثلاثة جمع من الآلهة!.

^{١٣١} إظهار الحق (٣/ ٧٣١).

ثُمَّ طَلَبَ الثَّالِثَ، وَكَانَ ذَكِيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَوَّلَيْنِ، وَحَرِيصًا فِي حِفْظِ الْعَقَائِدِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ حَفِظْتُ مَا عَلَّمْتَنِي حِفْظًا جَيِّدًا، وَفَهِمْتُ فَهْمًا كَامِلًا بِفَضْلِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنَّ الْوَاحِدَ ثَلَاثَةٌ، وَالثَّلَاثَةُ وَاحِدٌ، وَصَلِبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَمَاتَ ؛ فَمَاتَ الْكُلُّ لِأَجْلِ الْإِتِّحَادِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الْآنَ، وَإِلَّا يَلْزَمُ نَفْيُ الْإِتِّحَادِ.

أَقُولُ: لَا تَقْصِرَ لِلْمَسْئُولِينَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ يَخْطُبُ فِيهَا الْجُهْلَاءُ هَكَذَا، وَيَتَحَيَّرُ عُلَمَاؤُهُمْ، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّا نَعْتَقِدُ وَلَا نَفْهَمُ، وَيَعْجِزُونَ عَنْ تَصْوِيرِهَا وَبَيَانِهَا» اهـ.

نقول: إن عقيدة التثليث من أفسد العقائد، وهي عقيدة لا يتصورها العقل فضلا عن أن يقبلها ويؤمن بها!، وهي عقيدة وثنية قديمة لا وجود لها في كلام المسيح -صلى الله عليه وسلم- حسب ما نقلوه عنه في كتابهم المقدس، وفيما يلي -إن شاء الله- بيان ذلك، ولكن بعد أن نقل لك كلاما ممتعا للأنبا رافائيل! -أسقف عام لكنايس وسط البلد- وهو يبين حقيقة الثالوث وقانون الإيمان ونحن ننقله بحروفه وبلهجته العامية! إذ يقول^(١٣٢):

«الغلطة الي بيقع فيها معظم المسيحيين ومش وخدين بالهم، بسبب الثقافة غير المسيحية الي دخلت في دماغتنا غصبين عننا، ليل ونهار ميكرفونات مُسلطة تدخل جواك فكر مش مسيحي^(١٣٣) فكلكم تؤمنوا بالتوحيد غصبين عنكم، لكن احنا نؤمن أصلا بالثالوث، إيه الفرق بين الاثنين؟ الفرق هو إن الآب غير الابن، وإلا لو الآب هو الابن لنطبقت نقطة الآب على نقطة الابن يبقى خط ومبقاش فيه الله، الآب غير الابن غير الروح القدس دا الإيمان المسيحي والثلثة واحد في الجوهر، قولوا معايا : الثلثة واحد في الجوهر ... وبالرغم ان الثلثة واحد في الجوهر لكن هما ثلاثة: آب وابن وروح قدس».

^{١٣٢} انظر كلامه بصورته وصورته على هذا الرابط: <https://youtu.be/qj2SbVL0Lu4>

^{١٣٣} أي الخاصة بمساجد المسلمين.

ثم قال: «الغلطة إلي بتقعوا فيها إن انت فكرت إن الآب هو بعينه الابن، وبتقول لي مش الآب والابن هما هما واحد؟ وفي ناس بتسأل لما الآب هوا الابن طب الابن بتكلم مع مين ويقول له يا أبتاه، بيتكلم مع نفسه؟ وبيقول إلهي إلهي لماذا تركتني؟ بيتكلم مع نفسه؟ مش هوا الله! نقول: متلغبطوش لو سمحتم، انت لازم تفهم هوا واحد آه في الجوهر لكن الآب غير الابن وممكن الابن يتكلم مع الآب ويقول له يا أبتاه وممكن الآب يتكلم مع الابن ويقول له يا ابني .. مش هوا بيقول له (ابني الحبيب)».

وهذا اعتراف صريح من أحد كبارهم بأنهم مشركون غير موحدين!

عقيدة التثليث لا وجود لها في الكتاب المقدس:

سبق وذكرنا لك -أيها القارئ الكريم- أن أهم عقائد النصارى -ومنها عقيدة الثالوث- لا وجود

لها في كتابهم المقدس، وهذا ما بيّنه علماء الأزهر -رحمهم الله- نقلاً عن كبارهم وإليك بيانه:

يقول علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (١١٢٧ / ٢):

«وأما كلمة التثليث: فقد اعترف كبار علماء اللاهوت -في قاموس الكتاب المقدس- أنها: «لم ترد

في الكتاب المقدس. ويُظنُّ أن أول من صاغها واخترعها واستعملها، هو ترتليان، في القرن الثاني للميلاد؛ وقد خالفه كثيرون؛ ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية!!».

ثم استقر التثليث -بعد ذلك- عند الكنيسة المسيحية، على يد أوغسطينوس في القرن

الخامس»^(١٣٤).

ومن هنا يتضح أن التثليث نبت بعد المسيح -عليه السلام- بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن،

وأنه دخيل على المسيحية الحقّة الموحدة. وبهذا استحق القائلون به الحكم عليهم بالكفر الصريح.

وقال كبار الباحثين: إن التثليث تسرّب إلى المسيحية من العقائد الوثنية الهندية القديمة.

ويقول علامة الأزهر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسيره المنار (٦ / ٢٥٤):

«قَالَ (الدُّكْتُورُ بوسْتُ) فِي تَارِيخِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ مَا نَصَّهُ: «طَبِيعَةُ اللَّهِ

عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ أَقَانِيمَ مُتَسَاوِيَةِ الْجَوْهَرِ: اللَّهُ الْآبُ، وَاللَّهُ الْإِبْنُ، وَاللَّهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، فَإِلَى الْآبِ يَنْتَمِي

الْخَلْقُ بِوَاسِطَةِ الْإِبْنِ، وَإِلَى الْإِبْنِ الْمُقَدَّسِ وَإِلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ التَّطَهِيرُ، غَيْرَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ أَقَانِيمَ تَتَقَاسَمُ جَمِيعَ

الْأَعْمَالِ عَلَى السَّوَاءِ.

أَمَّا مَسْأَلَةُ التَّثْلِيثِ فَغَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَمَا هِيَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى هَذَا^(١٣٥)

في (تك ص ١)^(١٣٦) حَيْثُ ذُكِرَ " اللَّهُ " وَ " رُوحُ اللَّهِ " . . . إلخ (قابل مز ٣٣: ويو ١٦: ١٠ و ٣)

^{١٣٤} قاموس الكتاب المقدس ٢٣٢، ٢٣٣.

^{١٣٥} وبطريقة الإشارة هذه يمكن أن نجعل الله ربوعاً أو خاموساً أو سادوساً... إلخ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فالقوم

يتعلقون بما هو أوهى من خيوط العنكبوت كما سيتضح لك أكثر إن شاء الله.

^{١٣٦} اختصار سفر التكوين، وكذلك "مز، ويو،... وأشبه ذلك" اختصارات أسماء الأسفار.

وَالْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُشَخَّصَةُ فِي (أَم ص ٨) تُقَابِلُ الْكَلِمَةَ فِي (يُو ص ١) وَرُبَّمَا تُشِيرُ إِلَى الْأَقْنُومِ الثَّانِي، وَتُطْلَقُ نُعُوتُ الْقَدِيرِ عَلَى كُلِّ أَقْنُومٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ عَلَى حَدِيثِهِ «انْتَهَى بِحُرُوفِهِ».

وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ؛ -أَيَّ كُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْمَسِيحِ-، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ ظَاهِرٌ وَلَا

خَفِيٌّ فِي عَقِيدَةِ الثَّلَاثِ؛ لِأَنَّهَا عَقِيدَةٌ وَتَشْيِهُ مُحَضَّةٌ. وَمَنْ أَعْرَبَ التَّكَلُّفِ تَفْسِيرُ «الْحِكْمَةِ» فِي أَمْثَالِ

سُلَيْمَانَ، بِـ «الْكَلِمَةِ» بِالْمَعْنَى الَّذِي يُرِيدُونَهُ، وَهُوَ وَهُمْ لَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِ سُلَيْمَانَ وَلَا الْمَسِيحِ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- وَسَتَرَى أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْكَلِمَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَرَدْ إِلَّا فِي كَلَامِ يُوَحَنَّا، وَقَدْ كَانَ جَمِيعُ

أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مُوَحِّدِينَ، أَعْدَاءَ لِلْوثنِيَّةِ وَالْوثنِيِّينَ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ التَّوْحِيدَ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ فِي

الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَيْضًا، وَالثَّلَاثِ فِيهِ هُوَ الْخَفِيُّ؛ فَإِنَّ الْعَقِيدَةَ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا دُعَاةُ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالْعِبَارَاتِ

الَّتِي يَذْكُرُونَهَا فِي أَلُوْهِيَّةِ الْمَسِيحِ وَالثَّلَاثِ لَا تُفْهَمُ كُلُّهَا مِنَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، بَلْ هُنَالِكَ عِبَارَاتٌ

يَتَحَكَّمُونَ فِي تَفْسِيرِهَا وَشَرْحِهَا كَمَا يَهْوُونَ عَلَى خِلَافٍ شَهِيرٍ فِيهَا بَيْنَ مُتَقَدِّمِيهِمْ وَمُتَأَخَّرِيهِمْ.

وَالْعُمْدَةُ عَنْدهُمْ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ أَوَّلُ عِبَارَةٍ مِنْ إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا، وَهِيَ: «فِي الْبَدْءِ كَانَتِ الْكَلِمَةُ،

وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْكَلِمَةُ» وَقَدْ أَطْلَقُوا لَفْظَ الْكَلِمَةِ عَلَى الْمَسِيحِ، فَصَارَ مَعْنَى الْفَقْرَةِ الثَّلَاثَةِ

مِنْ عِبَارَةِ إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا: وَاللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَهَذَا عَيْنُ مَا أَسْنَدَهُ الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ؛ فَكَيْفَ يَقُولُ

الْبَيْضَاوِيُّ وَالرَّازِيُّ إِنَّهُ أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ لَازِمَ مَذْهَبِهِمْ؟ ! قَالَ بُوْسْتُ فِي قَامُوسِهِ: «يُقْصَدُ بِالْكَلِمَةِ السَّيِّدُ

الْمَسِيحُ، وَلَمْ تَرَدْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا فِي مُؤَلَّفَاتِ يُوَحَنَّا (١: ١ - ١٤، ١ يُو ١: ١، وَرؤ ١٩:

١٣) وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفِيلَسُوفُ (فِيلُو) لَفْظَةَ «الْكَلِمَةِ» غَيْرَ أَنَّهُ يَقْصِدُ بِهَا غَيْرَ مَا قَصَدَ يُوَحَنَّا " اهـ.

أَقُولُ: قَدْ بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِ (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ يُوَحَنَّا مَا كَتَبَ إِنْجِيلَهُ فِي آخِرِ

عُمُرِهِ، إِلَّا إِجَابَةً لِاقْتِرَاحِ مَنْ أَلْحُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرُوهَا، فَلَوْلَا هَذَا الْإِقْتِرَاحُ وَالْإِلْحَاحُ لَمَا

كَتَبَ، وَلَوْ لَمْ يَكْتُبْ لَمْ تُعْرِفْ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ، فَثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ لَمْ يَذْكُرْهَا الْمَسِيحُ نَفْسُهُ فِي كَلَامِهِ، وَلَا

دَعَا إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ انْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى إِنْجِيلِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ إِلَّا فِي الْعُشْرِ

الْعَاشِرِ مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ يُوَحَنَّا إِنْجِيلَهُ. هَذَا إِنْ صَحَّ أَنَّ يُوَحَنَّا الْحَوَارِيَّ هُوَ الَّذِي كَتَبَهُ -

وَلَنْ يَصِحَّ - وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَسْكُتَ الْمَسِيحُ وَجَمِيعُ تَلَامِيذِهِ عَنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ إِذَا كَانَتْ هِيَ أَصْلَ الدِّينِ كَمَا

تَزْعُمُ النَّصَارَى، بَلِ الَّذِي تَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ الدَّوَاعِي أَنْ يُقَرَّرَهَا الْمَسِيحُ نَفْسُهُ فِي كَلَامِهِ، وَيَجْعَلَهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلَ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيُكْرِّرُونَهُ فِي أَقْوَالِهِمْ وَرِسَائِلِهِمْ.

وَلَا يَعُرِّنُكَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ (بوست) مِنَ الشَّوَاهِدِ عَنْ رِسَالَةِ يُوْحَنَّا وَرُؤْيَاةِ، فَتَظُنُّ أَنَّ هُنَالِكَ نَصًّا أَوْ نُصُوصًا فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، كَلَّا إِنَّ الشَّاهِدَ الَّذِي عَزَاهُ إِلَى أَوَّلِ رِسَالَتِهِ الْأُولَى هُوَ: «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعِيُونَنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ»^(١٣٧)، فَكَلِمَةُ الْحَيَاةِ لَا تُفِيدُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ إِلَّا بِتَحَكُّمِهِمْ. وَأَمَّا الشَّاهِدُ الَّذِي عَزَاهُ إِلَى الرُّؤْيَا ؛ فَهُوَ: « ١١ ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضٌ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُجَارِبُ ١٢، وَعَيْنَاهُ كَلْهَيْبٍ مِنْ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيْجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلَّا هُوَ ١٣ وَهُوَ مُتَسَرِّبٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ كَلِمَةَ اللَّهِ ١٤، وَالْأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بَيْضٍ، لَا بَسِينَ بَرًّا أَبْيَضَ نَقِيًّا ١٥ وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ ؛ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَمَ، وَهُوَ سَيْرُ عَاهُمْ بِعَصَا مِنْ حَدِيدٍ»^(١٣٨).

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ لَا تَنْطَبِقُ عَلَى الْمَسِيحِ، وَإِنَّمَا تَنْطَبِقُ عَلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَمِنْ أَسْمَائِهِ الصَّادِقُ وَالْأَمِينُ، وَبِالْعَدْلِ كَانَ يَحْكُمُ وَيُجَارِبُ. . . إلخ. وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَسِيحِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْكُمْ وَلَمْ يُجَارِبْ وَلَمْ يَرَعْ الْأُمَمَ. وَلَفْظُ «كَلِمَةَ اللَّهِ» هُنَا لَا يُفِيدُ مَعْنَى تِلْكَ الْعَقِيدَةِ، وَلَا يُشِيرُ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وُجِدَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّكْوِينِ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢: ٣٦).

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ وَثْنِيَّةً فَهُوَ يَظْهَرُ لَكَ جَلِيًّا فِيمَا كَتَبْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ -تَعَالَى- مِنْ هَذَا الْجُزْءِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾.

وَذَلِكَ أَنَّ زَعْمَهُمْ " أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " جُزْءٌ مِنْ عَقِيدَةِ الثَّلَاثَةِ الْمَأْخُودَةِ عَنْ قُدَمَاءِ الْمَصْرِيِّينَ وَالْبَرَاهِمَةِ وَالْبُودِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ وَثْنِيِّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَقَدْ أوردنا هُنَالِكَ مِنْ شَوَاهِدِ كُتُبِ

^{١٣٧} رسالة يوحنا الأولى (١ / ١).

^{١٣٨} رؤيا يوحنا (١٩ / ١١).

التَّارِيخِ وَآثَارِ الْأَوَّلِينَ مَا عَلِمَ بِهِ قَطْعًا أَنَّ النَّصَارَى أَخَذُوا هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عَنْهُمْ، وَسَنَعُودُ إِلَى ذِكْرِهَا عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ انتهى.

وقد نقل العلامة رشيد رضا - رحمه الله - كلام «جورج بوست» أيضا ثم عقب عليه فقال كما في

تفسير المنار (١٠ / ٢٩١):

«قَالَ جُورْجُ بُوْسْتُ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: «اللَّهُ» اسْمُ خَالِقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَالْحَاكِمِ الْأَعْظَمِ عَلَى جَمِيعِ الْعَوَالِمِ، وَالْمُعْطِي كُلِّ الْمَوَاهِبِ الْحَسَنَةِ، وَاللَّهُ «رُوحٌ غَيْرُ مُحْدُوْدٍ، أَزَلِيٌّ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ فِي وُجُوْدِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَدَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَجُودَتِهِ وَحَقِّهِ» وَهُوَ يَظْهَرُ لَنَا بِطَرُقٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي أَعْمَالِهِ وَتَدْبِيرِ عِنَايَتِهِ (رو ١: ٢٠) وَلَا سِيَّمَا فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ حَيْثُ يَتَجَلَّى غَايَةُ التَّجَلِّيِّ فِي شَخْصِيَّتِهِ وَأَعْمَالِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ الْمُخْلِصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (ثُمَّ قَالَ): «طَبِيعَةُ اللَّهِ» عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ أَقَانِيمَ مُتَسَاوِيَةِ الْجَوْهَرِ (مت ٢٨: ١٩ و ٢ كو ١٣: ١٤) اللَّهُ الْآبُ، وَاللَّهُ الْإِبْنُ، وَاللَّهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، فَإِلَى الْآبِ يَنْتَمِي الْخَلْقُ بِوَاسِطَةِ الْإِبْنِ (مز ٣٣: ٦ و كو ١: ١٦ و عب ٢٠١) وَإِلَى الْإِبْنِ الْفِدَى، وَإِلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ التَّنْظِيرُ، غَيْرَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ أَقَانِيمَ تَتَقَاسَمُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ.

أَمَّا مَسْأَلَةُ التَّثْلِيثِ فَغَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَمَا هِيَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي تَك ص ١ حَيْثُ ذَكَرَ «اللَّهُ» «وَرُوحَ اللَّهِ» (قَابِلُ مَز ٣٣: ٦ وَيُو ١: ١ و ٣) وَالْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُشَخَّصَةُ أَم ص ٨ تُقَابِلُ الْكَلِمَةَ " (فِي يُو ص ١) وَرَبَّمَا تُشِيرُ إِلَى الْأَقْنُومِ الثَّانِي، وَتُطْلَقُ نُعُوتُ الْقَدِيرِ عَلَى كُلِّ أَقْنُومٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ عَلَى حِدَتِهِ. (ثُمَّ قَالَ):

(وَحِدَةُ اللَّهِ) ظَاهِرَةٌ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَالتَّثْلِيثُ بَيْنَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ خَفِيٌّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَالِدَّاعِي الْأَعْظَمُ لِهَذَا الْأَمْرِ إِنَّمَا هُوَ إِظْهَارُ لِحَطِّ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَمَنْعِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ كَثِيرَةً الشُّيُوعِ فِي الْأَزْمَنَةِ الْأُولَى قَدِيمًا فَفِي ت ٦: ٤ يُدْعَى اللَّهُ «رَبًّا وَاحِدًا» وَكَانَ يُدْعَى «الْإِلَهُ الْحَيُّ» تَمَيِّزًا لَهُ عَنْ آلِهَةِ الْوَثْنِيِّينَ الْكَاذِبَةِ، وَالْإِعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ بَيْنَ جَدًّا فِي دِيَانَةِ الْيَهُودِ...» أهـ

... أقول: إنَّ ما لخصه صاحبُ هذا القاموسِ من عقيدة النصارى، هو أوضح ما تُعرف به هذه العقيدة بالإختصار المتوخى في هذا القاموس، على غموضه وضعفه في نفسه، وما يذكرونه في عامّة كتبهم فلم يفهم المراد منه لما في عباراتها من التعقيد اللفظي والمعنوي في موضوع غير معقول في نفسه. وفيما ذكره مؤاخذات كثيرة نذكر أهم ما يتعلق بموضوعنا هنا منها، ولذلك نغض الطرف عما قاله في بيان المراد من اسم الجلالة؛ لأننا نقلناه تمهيداً لما بعده فنقول:

(١) ما ذكره فيما سماه «طبيعة الله» لا يدلُّ عليه لفظ الاسم الكريم، ولا شيء من كتب الأنبياء في العهد القديم، ولا مما جاء عن متقدميهم في سفر التكوين.

فثبت بهذا أن هذه الطبيعة المدعاة لم تكن معروفة عند أنبياء أهل الكتاب قبل النصرانية التقليدية، وهي أصل الدين فيها، ونتيجة هذا أن هذه العقيدة مبتدعة بعدهم وهم برآء منها.

(٢) إنَّ ما أشار إليه من نص الإنجيل فيها لا يدلُّ عليها، وهو ما في إنجيل متى من قوله في آخره رواية عن المسيح -عليه السلام- (٢٨: ١٩) «وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» فهذا اللفظ لا يدلُّ على أن هذه الأسماء الثلاثة عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر، وأنَّ كلاً منها عين الآخر، وأنَّه يُطلق عليه اسم (الله) الخالق لجميع الكائنات إلى آخر ما ذكره في معنى اسمه -عز وجل- ولا على أنَّها تتقاسم الأعمال الإلهية على السواء كما ادَّعاه فيما سماه طبيعة الله^(١٣٩).

^{١٣٩} فضلاً عن أن هذا النص نص مضاف حديثاً، ويؤكد عدم أصالة هذه الفقرة مفسرو الكتاب المقدس ومؤرخو المسيحية كما نقل ذلك المطران كيرلس سليم بستر - رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك - بقوله: "يرجح مفسرو الكتاب المقدس أن هذه الوصية التي وضعها الإنجيل على لسان يسوع ليست من يسوع نفسه، بل هي موجز الكرازة التي كانت تُعدُّ الموعوظين للمعمودية، في الأوساط اليونانية. فالمعمودية في السنوات الأولى للمسيحية كانت تعطى (باسم يسوع المسيح) (أع ٢/ ٣٨؛ ٤٨/ ١٠) أو (باسم الرب يسوع) (أع ٨/ ١٦؛ ١٩/ ٥) .. من هنا يرجح المؤرخون أن صيغة المعمودية الثلاثية هي موجز للكرازة التي كانت تُعدُّ للمعمودية. وهكذا توسع استدعاء اسم يسوع ليشمل أبوة الله وموهبة الروح القدس" (اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المطران كيرلس سليم بستر (٤٨/ ٢)).

وحين نقل المؤرخ يوسابيوس القيصري هذه الفقرة من إنجيل متى لم يذكر فيها الآب ولا الروح القدس، بل قال: "فقد ذهبوا إلى كل الأمم ليكرزوا بالإنجيل معتمدين على قوة المسيح الذي قال لهم: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمي)" (تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص (١٠٠)).

وَكَذَلِكَ مَا أَشارَ إِلَيْهِ مِنْ رِسَالَةِ بُولُسَ الثَّانِيَةِ إِلَى كُورِنْثُوسَ وَهُوَ قَوْلُهُ فِي آخِرِهَا (١٣: ١٤) «نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِهِمْ» عَلَى أَنَّ نَعْتَقِدُ أَنَّ بُولُسَ هُوَ وَاضِعُ أَسَاسِ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ، وَجَاءَ فِيهَا بِمَا لَمْ يُؤَثَّرَ عَنِ الْمَسِيحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَلَا عَنْ تَلَامِيذِهِ الْحَوَارِيِّينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

(٣) إِنَّ مَا ذُكِرَ فِي كُتُبِ الْعَهْدَيْنِ مِنْ اسْتِعْمَالِ ابْنِ اللَّهِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ يُنَافِي هَذَا الْمَعْنَى وَلَا يَتَّفِقُ مَعَهُ بَوَجهٍ مِنَ الْوُجُوهِ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي تَفْسِيرِنَا عِنْدَ ذِكْرِهَا فِي الْآيَاتِ مِنْ سُورَتَي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ؛ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى أَهْمِّهَا آتِفًا.

(٤) إِنَّ مَا أَشارَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَارَةِ الْمَزْمُورِ (٦: ٣٣) لَيْسَ فِيهِ أَذْنَى إِشَارَةٍ إِلَى هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْمُتَبَدِّعَةِ فِي هَذَا التَّثْلِيثِ وَهَذَا نَصُّهَا «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا» وَهُوَ يَزْعُمُ هُنَا أَنَّ الْمُرَادَ (بِكَلِمَةِ «الرَّبِّ» الْمَسِيحُ، تَفْسِيرًا لَهَا بِرَأْيِ يُوْحَنَّا فِي أَوَّلِ إِنْجِيلِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لِلْكَلِمَةِ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِدَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَلَا لِغَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ، بَلْ هُوَ مَعْنَى اخْتَرَعَهُ الَّذِي كَتَبَ إِنْجِيلَ يُوْحَنَّا، وَالْمُرَجَّحُ عِنْدَ بَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ أَحَدُ تَلَامِيذِ بُولُسَ.

وَكَانَ الدُّكْتُورُ جُورْجُ بُوْسْتُ كَتَبَ هَذَا الشَّاهِدَ هُنَا قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ تَفْسِيرَ «الْكَلِمَةِ» فِي قَامُوسِهِ، وَكَانَتْهُ لَمَّا كَتَبَهُ نَسِيَّ مَا كَانَ كَتَبَهُ هُنَا، فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْهُ مَا نَصَّهُ: يُقْصَدُ بِالْكَلِمَةِ السَّيِّدُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا فِي مُؤَلَّفَاتِ يُوْحَنَّا" اهـ.

فَكَيْفَ فَسَّرَ بِهَا عِبَارَةَ الْمَزْمُورِ إِذَا؟!

وهذا يدل على أن النص لم يكن في عصره بهذه الصيغة !!
ومما يؤكد هذا أن المخطوطات العبرية المكتشفة حديثاً لإنجيل متى - الذي كتب أصلاً بالعبرانية - ليس فيها هذا النص، وهذا الأمر اعتبره الدكتور ج ريكارت - أستاذ اللاهوت في الكلية الإرسالية الإنجيلية (Kaufman, Texas) في كوفمان في ولاية تكساس - دليلاً قاطعاً على إلحاقية هذا النص بإنجيل متى، وقال: "إن الكنيسة الكاثوليكية بالإضافة إلى أرثوذكس المشرق قد كذبوا على العالم فيما يخص هذا النص من متى، وذلك لأن كل من عمد بهذه الطريقة قد عمد كذباً ومات من غير خلاص" وانظر هل العهد الجديد كلمة الله للدكتور منقذ سقار.

وَكَذَلِكَ مَا نَقَلَهُ عَنْ رَسُولِي بُولُسَ إِلَى كُولُوسِي، وَإِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ، وَلَوْ دَلَّ عَلَيْهَا لَكَانَ أَحَدٌ دَلِيلُنَا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ قَدْ وَضَعَ بُولُسُ أُسَاسَهَا، إِذْ لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنَ أَنْبِيَاءِ التَّوْرَةِ قَبْلَهُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَلَا الْمَسِيحُ !!.

(٥) قَوْلُهُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ التَّثْلِيثِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، صَوَابُهُ: غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِيهِ أَلْبَتَّةَ لَا بِالنَّصِّ وَلَا بِالظَّاهِرِ، وَلَا بِالْفَحْوَى وَالْإِشَارَةِ الْوَاضِحَةِ.

وَعَلَى أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عِنْدَ النَّصَارَى هِيَ أَسَاسُ الدِّينِ أَوْ رُكْنُهُ الْأَعْظَمُ، فَلَوْ كَانَتْ عَقِيدَةً إِلَهِيَّةً مُوحًى بِهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ لَصَرَّحُوا كُلُّهُمْ بِهَا تَصْرِيحًا لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ كَمَا صَرَّحُوا بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي اعْتَرَفَ هُوَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ (وَبَيِّنٌ جَدًّا) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَهَاتَانِ الْعَقِيدَتَانِ عَلَى أَتَمِّ التَّنَاقُضِ.

وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ سَفَرِ التَّكْوِينِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَلَفْظِ (رُوحِ اللَّهِ) غَيْرُ مُسَلِّمٍ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ مِنْهُمَا أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا غَيْرِهِمْ قَبْلَ ابْتِدَاعِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَلَا يُجُوزُ بَلَّ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ أَسَاسُ الْعَقِيدَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُبْهَمًا لَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُونَ مِنْهُ، كَمَا عَلِمْتَ أَنْفًا مِنْ اسْتِشْهَادِهِ بِالْمِزْمَارِ (٣٣: ٦) وَهَذَانِ اللَّفْظَانِ مَوْجُودَانِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الَّذِي يُصَرِّحُ بِكُفْرِ الْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيثِ.

(٦) مَا ذَكَرَهُ فِي مَسْأَلَةِ (وَاحِدَةِ اللَّهِ) مِنْ سَبَبِ التَّصْرِيحِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ - تَعَالَى - بِأَقْوَى النُّصُوصِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَهُوَ سَدُّ ذَرِيعَةِ الْوَثْنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ كَثِيرَةً الشُّيُوعِ فِي الْأَزْمَنَةِ الْأُولَى هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّ تِلْكَ الْوَثْنِيَّةَ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ - تَعَالَى - سَدُّ ذَرَائِعِهَا بِنُّصُوصِ التَّوْحِيدِ الْقَطْعِيَّةِ لِمُوسَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَانَ مِنْ أَرْكَانِهَا عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ الْهِنْدِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ الْيُونَانِيَّةِ، فَمَا وَقَعَ فِيهِ النَّصَارَى مِنَ الْوَثْنِيَّةِ هُوَ الَّذِي أُريدَ وَقَايَةُ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُ بِتِلْكَ النُّصُوصِ الْإِلَهِيَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، وَلَا سِيَّمَا الْوَصِيَّةِ الْأُولَى مِنْ وَصَايَا التَّوْرَةِ، وَإِنَّمَا أَوْقَعَهُمْ فِيهِ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ فِي رِسَائِلِ بُولُسَ وَأَنَّا جِيلِ تَلَامِيذِهِ، وَعَدَمَ تَأْوِيلِهِمْ لَهَا بِهَا يُوَافِقُ تَوْحِيدَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَنُّصُوصَ التَّنْزِيلِ فِيهَا وَفِي الْإِنْجِيلِ أَيْضًا.

(٧) إِنَّ اسْتِشْهَادَهُ عَلَى «كَلِمَةِ ابْنِ اللَّهِ» بِمَا جَاءَ فِي الْفَصْلِ ٣ مِنْ سَفَرِ دَانِيَالٍ غَرِيبٌ جَدًّا جَدًّا، فَإِنَّ عَادَتَهُ فِي قَامُوسِهِ أَنْ يَذْكَرَ بِجَانِبِ كُلِّ كَلِمَةٍ تَفْسِيرًا لَهَا وَشَاهِدًا عَلَيْهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعِبَارَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا هُنَا هِيَ كَلِمَةُ الْمَلِكِ «بَابِلَ نَبُوخَذْ نَصْر» الْوَثْنِيِّ قَالَهَا فِي أَحَدِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ أَلْقَاهُمْ

فِي أَتُونِ النَّارِ وَلَمْ يَخْتَرْقُوا، وَهِيَ «وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ شَبِيهُ بَابِنِ الْإِلَهَةِ» فَلْيَنْظُرِ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ بِمَ يُؤَيِّدُ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى تَسْمِيَتَهُمُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ؟! وَبِمَ يُثْبِتُونَ أَنَّ اللَّهَ ابْنًا حَقِيقِيًّا؟ إِنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ اثْبَاتَ هَذَا أَوْ يُؤَيِّدُونَهُ بِكَلَامِ الْوَثْنِيِّينَ فِي عَقَائِدِهِمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ أَنَّهُمْ وَثْنِيُّونَ.

(٨) إِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ الْمَسِيحُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ لِلَّهِ -تَعَالَى- فِي الصَّلَوَاتِ بِقَوْلِهِ فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» إِنْخَ وَمَا فِي مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ «أَبِي وَأَبِيكُمْ» وَيَبَيِّنُ رِوَايَتَهُمْ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ قَوْلِهِ «أَبِي» فَهُوَ يَزْعُمُ تَقْلِيدًا لِرُؤَسَاءِ مِلَّتِهِ أَنَّ إِضَافَةَ الْآبِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَإِضَافَتُهُ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمِيعِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ قَوْلِ «أَبَانَا» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبَوْتَهُ -تَعَالَى- لَهُ حَقِيقِيَّةٌ وَأَبَوْتُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَبِيلِ التَّبَنِّيِّ.

وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا يُؤَثِّرُ عَنْهُمْ مِنَ التَّحَكُّمِ وَالْإِبْتِدَاعِ الْمُخَالِفِ لِلْغَةِ وَلِلْعَقْلِ وَلِلنَّقْلِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَبَوْتُهُ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّةُ لِبَعْضِ الْبَشَرِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ لَا تُعْقَلُ، وَأَبَوْتُهُ التَّبَنِّيُّ تَزْوِيرٌ يَجِلُّ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا يَتَنَزَّهُ عَنْ مُجَانَسَةِ الْخَلْقِ بِالْأَبَوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَالْأَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْأَبَوَّةِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ إِنْ صَحَّ النَّقْلُ أَنَّهَا مَجَازٌ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَلَا نُنْكِرُ أَنَّ حَظَّ الْمَسِيحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْهَا جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ أَعْلَى مِنْ حَظِّ يَعْقُوبَ وَأَفْرَايِمَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ مِمَّنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ هَذَا اللَّقَبُ فِي أَسْفَارِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ، وَالطَّعْنِ فِي تَنْزِيهِهِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عِنْدَنَا وَعِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ مُسْتَقِلٍّ الْفِكْرِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ ابْنًا حَقِيقِيًّا، وَأَبْنَاءَ بِالتَّبَنِّيِّ = أَيْ: أَدْعِيَاءَ، وَهُوَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ فِي أَبْنَاءِ التَّبَنِّيِّ الَّذِي كَانَ مَعَهُودًا عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَبْطَلَهُ بِالْإِسْلَامِ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (٣٣: ٤ و ٥).

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَضَمِيرِ الْمَفْرَدِ فِيمَا نَقَلُوهُ فَسَبَبُهُ يَعْرِفُهُ الْعَوَامُّ كَالْخَوَاصِّ، وَهُوَ أَنَّ الْجَمْعَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمَفْرَدَ لِلْمَفْرَدِ، وَلَوْ نَقَلُوهُ عَنِ الْمَسِيحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: «أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» لَكَانَ لَهُمْ شُبْهَةٌ فِي هَذِهِ التَّفَرُّقَةِ.

عَلَى أَنَّهُ مُعَارِضٌ بِقَوْلِ الرَّبِّ فِي دَاوُدَ (مز ٨٩: ٢٦ هُوَ يَدْعُونِي أَنْتَ أَبِي) فَإِذَا كَانَتْ إِضَافَةُ لَفْظِ
أَبٍ إِلَى ضَمِيرِ الْمُفْرَدِ الْمُتَكَلِّمِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ ابْنًا حَقِيقِيًّا لِلَّهِ - تَعَالَى - فَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَحْرُ
لِدَاوُدَ قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَأَنَّ لِإِضَافَةِ ابْنٍ إِلَى ضَمِيرِ الرَّبِّ الْمُفْرَدِ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ مَا يُسَاوِي بَلْ يَفُوقُ إِضَافَةَ
لَفْظِ الْأَبِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَبْدِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ مِنْ قَوْلِ الرَّبِّ (٤: ٢٢ ابْنِي بِكَرِّي إِسْرَائِيلَ) وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي سِفْرِ أَرْمِيَا
(٣١: ٩ إِنِّي صِرْتُ أَبًا لِإِسْرَائِيلَ وَإِفْرَائِيمَ هُوَ بِكَرِّي) وَوَصَفُ الْأَبِ الْإِبْنِ بِكَوْنِهِ بِكَرًّا لَهُ يَقْرُبُ بِهِ مِنَ
الْحَقِيقَةِ أَوْ الْإِخْتِصَاصِ مَا لَا يَقْرُبُ مِثْلُهُ بِإِضَافَةِ الْإِبْنِ اسْمَ أَبِيهِ إِلَى ضَمِيرِ نَفْسِهِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ
الْمُتَبَنَّى يُخَاطَبُ مُتَبَنِّيه وَيُخْبَرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ «أَبِي» كَالْإِبْنِ مِنَ الصُّلْبِ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَا يَصِفُ مَنْ تَبَنَّاهُ، وَلَا
يُخْبِرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ابْنِي الْبِكْرِ.

(٩) قَوْلُهُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَاءَ فِي عَائِلَةِ اللَّهِ الرُّوحِيَّةِ - مَا أَمْلَأَهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ عَقْلُهُ لَا يَفْهَمُ مِنْ لَفْظِ
«ابْنِ اللَّهِ وَابْنَاءِ اللَّهِ» إِلَّا الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّ. وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ كُلَّ مَا يُعْقَلُ مِنْ نُصُوصِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي إِطْلَاقِ
الْلَفْظِ عَلَى الْمَسِيحِ بِكَثْرَةٍ أَوْ نَوْعِ امْتِيَّازٍ، إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَعْضَاءِ
هَذِهِ الْعَائِلَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُدَّعَاةِ، وَالْمُسْلِمُونَ لَا يُنْكِرُونَ هَذَا الْإِمْتِيَّازَ فَإِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى
أَجْدَادِهِ إِسْرَائِيلَ وَدَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَقَبُ (ابْنِ اللَّهِ) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بَلْ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى جَمِيعِ
الْأَنْبِيَاءِ مَا عَدَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(١٠) إِنَّمَا عَلَى بَحْثِنَا هَذَا فِي كَلَامِهِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ نُنْكِرُ لَفْظَ «عَائِلَةِ اللَّهِ» وَأَمْثَالَهُ
مِمَّا يُحِلُّ بَتْنَزِيهِهِ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَمَّا تَقْتَضِيهِ مِنَ الْمَجَانَسَةِ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لَهُ جِنْسٌ مَادِّيٌّ وَلَا رُوحِيٌّ
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٤٢: ١١) وَ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٣٧: ١٨٠) وَقُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (١١٢: ١ - ٤).

وَأَمَّا مَعْنَى «رُوحِ الْقُدُسِ» وَبُطْلَانُ مَا زَعَمُوهُ مِنْ كَوْنِهِ هُوَ اللَّهُ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ مُفَصَّلًا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ:
وَإَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (٢: ٨٧) وَآيَةِ: وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (٤: ١٧١) الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِيمَا
تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(١١) إِنَّهُ مِنْ أَجْلِ عِدَاوَتِهِ لِلتَّوْحِيدِ، وَلِتَنْزِيهِهِ الْخَالِقِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الْجُنْسِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، لَمْ يَذْكُرْ فِي صِفَاتِهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا وَرَدَ فِي الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، مِنْ تَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَنِ النَّدِّ وَالنَّظِيرِ وَالشَّيْبَةِ، الَّذِي يَجِبُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ أَنْ تُتَوَلَّ لَأَجْلِهِ أَوْ تُحْمَلَ عَلَيْهِ وَتُقَيَّدَ بِهِ جَمِيعُ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّشْبِيهِ، كَمَا جَعَلَ الْمُسْلِمُونَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَقَوْلَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَصْلَ عَقِيدَةِ التَّنْزِيهِ وَقَيَّدُوا بِهَا مَعَانِيَ الْآيَاتِ الْمُوهِّمَةِ لِلتَّشْبِيهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي سِفْرِ الْإِسْتِثْنَاءِ [=التَّشْبِيهِ] مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَةِ (٤: ١٢) فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ جَوْفِ النَّارِ فَسَمِعْتُمْ صَوْتَ كَلَامِهِ، وَلَمْ تَرَوْا الشَّيْبَةَ أَلْبَتَّةَ (١٥) فَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ بِحَرَصٍ فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا شَبَهَا يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ فِي حُورَيْبٍ مِنْ جَوْفِ النَّارِ وَالْعُقْلَاءُ مِنَ الْيَهُودِ يَرُدُّونَ جَمِيعَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي ظَاهَرَهَا التَّشْبِيهِ وَالْأَعْضَاءُ لِلرَّبِّ -تَعَالَى- إِلَى هَذَا النَّصِّ النَّافِي لِلتَّشْبِيهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا الَّذِي تَقَرَّدَ بِأَقْوَى الشُّبُهَاتِ عَلَى التَّثْلِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّنْزِيهِ قَالَ (١: ١٨) اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ الَّذِي خَبَرَ وَمِثْلُهُ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى لِيُوحَنَّا (٤: ١٢) اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ) بَلْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ أَسْتَاذُهُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى نِيْمُوتَا دُسَ، فَإِنَّهُ وَصَّاهُ بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ إِلَى ظُهُورِ الْمَسِيحِ، وَقَالَ عَنْ هَذَا الظُّهُورِ: (١٥) الَّذِي سَيَبِينُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْوَحِيدُ مَلِكُ الْمَلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ ١٦ الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ).

فَتَبَيَّنَ بِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ، وَالْوَهْيَةُ الْمَسِيحِ الْمُخَالَفَةُ لِحُكْمِ الْعَقْلِ، لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- لَا قَطْعِيٌّ وَلَا ظَنِّيٌّ، وَأَنَّ شُبُهَاتِهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ ضَعِيفَةٌ لَيْسَتْ نَصًّا وَلَا ظَاهِرَةً فِيهَا. عَلَى أَنَّ كُتُبَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لَا يُوثَقُ بِهَا، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ أَضَاعُوا أَكْثَرَ مَا كُتِبَ مِنْ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ فِي عَصْرِهِ ثُمَّ رَفَضَتْ مَجَامِعُهُمُ الْمُسْكُونِيَّةُ الرَّسْمِيَّةُ بَعْدَ دُخُولِ التَّعَالِيمِ الْوَثْنِيَّةِ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِ الرُّومَانِيِّينَ أَكْثَرَ مَا وَجَدَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَنَاجِيلِ الَّتِي كَانَتْ تُعَدُّ بِالْعَشْرَاتِ، وَقِيلَ بِالْمِئَاتِ، وَاعْتَمَدَتْ أَرْبَعًا مِنْهَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا رَوَاهُ مِنْ أَقْوَالِ الْمَسِيحِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ يُوحَنَّا فِي آخِرِ إِنْجِيلِهِ: «وَأَشْيَاءُ

أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كَتَبْتُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ آمِينَ».

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَمَا كَانَ يَفْعَلُ، فَلَمْ تُكْتَبْ أَقْوَالُهُ وَلَا أَفْعَالُهُ الْكَثِيرَةُ» انتهى.

نقول: وقد بين علماء الأزهر بما لم يدع مجالاً للشك أن هذه العقيدة لا وجود لها في الكتاب المقدس عند النصارى!، وبينوا ذلك أوضح بيان، وقد يقول قائل: ولكن أين نص رسالة يوحنا الأولى (٧/٥)؟!

نقول: هو نص لا وجود له في الكتاب المقدس حسب أقدم المخطوطات وأصحها وباعتراف كبار علماء النصارى؛ وارجع إلى ما ذكرناه عنه في فصل «مثال على التحريف المتعمد» من هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين.

ولعل من نافلة القول!-أو من فرضها إن شئت- أن ننقل لك أخانا القارئ نصوص التوحيد - في الكتاب المقدس - التي تدمغ عقيدة التثليث وتبطلها، وذلك حتى تعلم الضلال المبين الذي وقع فيه القوم من أهل الكتاب؛ حيث تركوا الواضح الصريح المحكم وتعلقوا بالغامض البعيد المتشابه، ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

نصوص التوحيد في العهد الجديد:

قد سبق وذكرنا لك أختانا القارئ أن هذا الكتاب مع ما وقع فيه من التحريف إلا أن الله أبقي فيه ما يقيم به الحجة على أهله، وما يكون سبيلا لخروجهم من متاهة الشرك وشرك الكفر، وحُبال الضلال المبين!.

فمن ذلك أن الله أبقي فيه نصوصا صريحة في إثبات التوحيد ووجوب إفراده وحده -سبحانه- بالعبادة دون ما سواه، وقد امتلأ العهد القديم بهذه النصوص باعتراف اليهود والنصارى، والذي نريد أن ننقله لك أختانا القارئ هو نصوص العهد الجديد في إثبات التوحيد ولا نريد الاستقصاء بل يكفي بعضها، فمن ذلك:

جاء في إنجيل يوحنا (٣ / ١٧): «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ».

وهذا النص صريح في إثبات عقيدة التوحيد، فهو لا يعني إلا: «لا إله إلا الله المسيح رسول الله»، فالمسيح فيه يكلم رب العزة -سبحانه- ويقول له: «أنت الإله الحقيقي وحدك» وحدك وليس بثلاثة أقانيم!!.

وجاء في إنجيل متى (١٦ / ١٩): «وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟». ١٧ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا».

ليس أحد صالح إلا واحد! هو الله؛ فليس ثلاثة! -تعالى وتقدس- ، ثم أرشده إلى حفظ الوصايا فما هي هذه الوصايا؟!

جاء في إنجيل مرقس (٢٨ / ٣٠-٣١): «فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُتُبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟». ٢٩ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ:

أَسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ. ٣٠ وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى».

أول الوصايا وأعظمها الرب إلهنا رب واحد وليس ثلاثة!، وهي التي استدل بها المسيح على إبليس عندما أراد أن يغويه!.

فقد جاء في إنجيل لوقا (٤/ ٥-٨) لما أراد الشيطان أن يغوي المسيح! وطلب منه أن يسجد له؛ جاء فيه: «ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَارَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمُسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِيَ هَذَا السُّلْطَانُ كُلُّهُ وَمَجْدُهُنَّ، لِأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. ٧ فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ». ٨ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

وليت شعري، أي إله هذا الذي يريد عبد من عباده ومخلوق من مخلوقاته أن يغويه!، ويغريه بأنه يملكه هذه المملك! في مقابل أن يسجد له!؛ وكلام المسيح نص في التوحيد، وإبطال التنديد؛ كما لا يخفاكم؛ وكما لا يخفاكم –أيضا- أن المسيح يستدل على التوحيد من العهد القديم الذي هو بمبعدة كلية عن التثليث؛ فبطل التثليث من كل وجه ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

بل إن الله أنطق بولس نفسه بالحق وجعله يسجله في رسالته لتكون حجة عليه وعلى من جاء بعده من يؤمن به! ففي الرسالة الأولى لأهل كرنثوس (٨/ ٤-٦): «نَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ وَثْنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَّ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِدًا. ٥ لِأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى إِلَهَةً، سِوَاءَ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ إِلَهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. ٦ لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الْأَبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ».

وهذا النص في الترجمة العربية المشتركة هو: «فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْوَثْنَ لَا كِيَانَ لَهُ، وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْأَحَدُ. ٥ وَإِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ مَا يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَهَةٌ، بَلْ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْإِلَهَةِ

والأرباب،^٦ فلنا نحن إله واحد وهو الآب الذي منه كل شيء وإليه نرجع، ورب واحد وهو يسوع المسيح الذي به كل شيء وبه نحيا»

وفي ترجمة الحياة: «نحن نعلم أن الصنم ليس بإله موجود في الكون، وأنه لا وجود إلا لإله واحد.^٥ حتى لو كانت الآلهة المزعومة موجودة في السماء أو على الأرض وما أكثر تلك الآلهة والأرباب! ^٦ فليس عندنا نحن إلا إله واحد هو الآب الذي منه كل شيء، ونحن له؛ ورب واحد هو يسوع المسيح الذي به كل شيء ونحن به».

وفي الترجمة العربية المبسطة: «نعرف أنه لا يوجد وثن حقيقي في العالم، وأنه لا إله آخر إلا الله وحده.^٥ نعرف أن هناك ما يسمى «آلهة»، سواء في السماء أم على الأرض، وأن هناك «آلهة» كثيرين وأرباباً^٦ كثيرين. أما بالنسبة لنا، فلا يوجد إلا إله واحد هو الآب، الذي منه تأتي كل الأشياء وله نحيا. ولا يوجد إلا رب واحد، هو يسوع المسيح».

قد يقول قائل: ولكنه بعد أن قال لنا إله واحد قال بعد ذلك لنا رب واحد وهو المسيح، فجعل المسيح رباً!.

نقول: إن كلمة الرب بمعنى السيد، كما تقول رب البيت، أي: سيده، كما في متى (١٣ / ٢٧) و(٢٠ / ١١).

ولهذا جاء في ترجمة الشريف: «نحن نعلم أن الصنم ليس إلهاً له وجود في العالم. لا إله إلا الله وحده.^٥ فإن كان في السماء أو على الأرض ما يزعم الناس أنهم آلهة، وما أكثر تلك الآلهة والأرباب! ^٦ لكن ليس لنا إلا إله واحد، هو الآب خالق كل شيء، ونحن نحيا لأجله. ولنا سيد واحد، هو عيسى المسيح».

ولذا جاء في الترجمة التفسيرية (المعنى الصحيح لإنجيل المسيح): «نحن نعلم أن الأصنام آلهة مزيفة ينحرون لها، وأنه لا إله إلا الله، فأني صررُ يصيبنا إن أكلنا لحماً في معبد الوثنيين؟»^٥ وإن الوثنيين

لَوَاهِمُونَ، إِذْ تَتَكَاثَّرُ عِنْدَهُمُ الْآلِهَةُ وَالْأَسْيَادُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ٦ أَمَّا نَحْنُ فَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
الْأَبُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَجْلِهِ نَحْيَا أَجْمَعِينَ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا سَيِّدَ لَنَا إِلَّا سَيِّدُنَا عِيسَى
الْمَسِيحُ».

وجاء في مقدمة الترجمة العربية المبسطة في التمهيد تحت عنوان: «أسماء الله»: «... ترجم الاسم أو اللقب (كوريوس) إلى «السيد» أو «الرب»، فإذا كانت (كوريوس) ضمن نص مقتبس من العهد القديم أصلها (يهوه) ترجمت في العهد الجديد إلى (الرب) بخط مائل». وعليه فإن كلمة واحدة وهي (كوريوس) تترجم إلى السيد وتترجم إلى الرب، وذلك بحسب ما يرون من السياق! ولو تتبعنا هذه ورود الكلمتين ستجد أنهم يضعون «السيد» عندما يكون المتكلم ليس من أتباع المسيح، فإن كان من أتباع المسيح وضعوا «الرب»!.

وتأمل في إنجيل يوحنا (١ / ٣٨): «فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَ هُمَا يَتَّبِعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالَا: «رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تَمْكُثُ».

والحمد لله رب العالمين؛ فالأمر أوضح من شمس في رائعة النهار؛ لمن أراد الحق، لا من جعل على عينيه غشاوة؛ والله الهادي إلى سواء الصراط!.

نصوص نفي الألوهية عن المسيح:

اتضح لك عزيزنا القارئ بعض ما اشتمل عليه العهد الجديد من نصوص التوحيد التي تفرد الله -عز وجل- وحده بالألوهية.

ولو فتش النصارى جميعاً كتابهم على أن يأتوا بنص واحد فيه: (الله الابن، أو الله الروح القدس، أو الأبنوم الثاني، أو نص قال فيه المسيح أنا الله، أو طلب منهم العبادة)؛ ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

فمع شيوع، وانتشار كلمة (الله الآب) وإثبات الألوهية للآب! لم يأت نص واحد على لسان المسيح يثبت فيه الألوهية لنفسه، أو يدعوهم لعبادته!، بل وردت النصوص التي تنفي عنه الألوهية وتثبت له أنه رسول من عند الله، وقد مضى معنا بعضها فيما سبق وإليك بعض آخر فمن ذلك:

أن تعلم أنه قد جاء في سفر العدد (٢٣ / ١٩): « لَيْسَ اللَّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ، وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟ ».

فالله ليس إنساناً، ولا ابن إنسان بنص كتابكم!، وهذا صريح في نقض صميم معتقدكم؛ ثم نقول زيادة في البيان؛ ماذا قال المسيح عن نفسه؟!.

في إنجيل يوحنا (٨ / ٤٠): « لَكِنَّكُمْ أَلَّا تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ. ».

فهو يقول عن نفسه أنه إنسان، وكذلك قال عنه تلاميذه أنه إنسان؛ ففي إنجيل لوقا (٢٤ / ١٨ - ١٩): « وَقَالَ لَهُ: «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحَدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمْ الْأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟». ١٩ فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا هِيَ؟». فَقَالَا: «الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ».

فهذا مبلغ علمهم في المسيح، وهو الحق أنه إنسان نبي مكرم -عليه الصلاة والسلام-.

وفي إنجيل متى (٢٠ / ٨): «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَتَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ».

و«ابن الإنسان» هو لقب المسيح فقد ورد في العهد الجديد وصف المسيح بأنه «ابن الإنسان» ثمانية وسبعين مرة، كما جاء في قاموس الكتاب المقدس!^(١٤٠).

وعليه: فعيسى هو إنسان، وابن إنسان، والله ليس إنسانا ولا ابن إنسان!.

الحق في المسيح أنه ما هو إلا نبي وكل ما عمل يشهد له بذلك وهو ما قاله عنه الناس بعد رؤية المعجزات التي جاء بها ففي إنجيل لوقا (١٦ / ٧) أن المسيح بعدما أحيا الميت الذي هو ابن وحيد لامرأة أرملة حدث أن جميع الناس الحاضرين مجدوا الله قائلين: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ».

لأن هذه المعجزات إنما تدل على نبوته ورسالته كما في إنجيل يوحنا (٣٦ / ٥): «لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أُعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلِهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالَ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. ٣٧ وَالْآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ»^(١٤١).

ولم يأت بها من عند نفسه بل يطلبها من ربه ولذلك قال هو في يوحنا (١١ / ٤١-٤٢): «وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقَ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، ٤٢ وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».

وبهذا شهد بطرس كبير التلاميذ كما في سفر أعمال الرسل (٢ / ٢٢) «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبٍ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنَّكُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ».

^{١٤٠} راجع قاموس الكتاب المقدس: (١٠٨، ١٠٩).

^{١٤١} ولو كان هو الله فكيف لم يسمعوا صوته قط ولم يبصروا هيئته!!؟

ولذلك علموا أنه رسول ونبي وليس بإله!، وهذا ما يعرفه عنه جموع الناس ومنهم تلاميذه كما جاء في إنجيل متى (٢٢ / ١٠): «وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ أُرْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هَذَا؟». ١١ فَقَالَتْ الْجُمُوعُ: «هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ».

وقد اعترف هو نفسه بنبوته فقال كما في إنجيل متى (١٣ / ٥٤-٥٧): «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالُوا: «مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّةُ؟ ٥٥ أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ ٥٦ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟». ٥٧ فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ».

فإذا كان المسيح كذلك فما يكون الله بالنسبة له؟! إنه بكل صراحة ووضوح «إله»، وقد صرح بذلك حيث قال كما في إنجيل يوحنا (٢٠ / ١٧): «أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ».

فكل هذه النصوص تبين لك بوضوح حقيقة المسيح فضلا عن النصوص التي تثبت كمال خضوعه لله، ونفي أن تكون له مشيئة مستقلة بل يعمل بمشيئة الله حتى إن بولس نفسه يقول كما في رسالته الأولى إلى أهل كرنثوس (١٥ / ٢٨): «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ ابْنُ نَفْسِهِ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، كَيْ يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ»!!!.

والنصوص التي تنفي ألوهية المسيح وثبت رسالته ونبوته كثيرة جدا ولولا خشية الإطالة لسردناها ولكن فيما ذكرنا كفاية لمن كان يريد الحق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

عقيدة التثليث عقيدة وثنية قديمة:

قد ظهر لك فيما مضى أخانا القارئ بطلان عقيدة التثليث وأنه لا وجود لها في الكتاب المقدس عندهم!، ولك أن تسأل من أين جاؤوا بها؟!

والجواب يبينه لك العلامة الأزهرى محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تفسير المنار (٦ / ٧٣-٧٩)

فيقول:

«فَصَلِّ فِي عَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ:

قُلْنَا: إِنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَثْنِيَّةٌ نَقَلَهَا الْوَثْنِيُّونَ الْمُتَنَصِّرُونَ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَفَسَّرُوا بَعْضَ الْأَلْفَافِ الْوَارِدَةِ فِي كُتُبِهِمُ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى أَنْ تُعْطِيَهُمْ شُبُهَةً يَتَكَيَّنُونَ عَلَيْهَا فِي هَذَا التَّضْلِيلِ، وَأَزْعَمُوا عَلَيْهَا بِضَرْبٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ، هَدَمُوا بِهِ آيَاتِ التَّوْحِيدِ الْقَوِيَّةِ الْبُنْيَانِ، الْعَالِيَةِ الْأَرْكَانِ. أَمَّا كَوْنُ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ وَثْنِيَّةً، فَقَدْ بَيَّنَّهُ عُلَمَاءُ أَوْرُبَّةَ بِالتَّفْصِيلِ، وَأَتَوْا عَلَيْهَا بِالشَّوَاهِدِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْأَثَارِ الْقَدِيمَةِ وَالتَّارِيخِ، وَإِنَّا نُنَشِّرُ إِلَى قَلِيلٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ.

١ - التَّثْلِيثُ عِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ:

قَالَ مُورِيسُ فِي (ص ٣٥ مِنَ الْمَجْلَدِ السَّادِسِ مِنْ كِتَابِهِ: الْأَثَارُ الْهِنْدِيَّةُ الْقَدِيمَةُ) مَا تَرَجَّمْتُهُ: "كَانَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْأُمَمِ الْوَثْنِيَّةِ الْبَائِدَةِ تَعَالِيمٌ دِينِيَّةٌ جَاءَ فِيهَا الْقَوْلُ بِاللَّاهُوتِ الثَّلَاثِيِّ، أَوْ الثَّلَاثُوْنِيِّ".

وَقَالَ دُوَّانُ (فِي ص ٣٦٦ مِنْ كِتَابِهِ: خُرَافَاتُ التَّوْرَةِ وَمَا يُبْثَلُّهَا فِي الْأَدْيَانِ الْآخَرَى) إِذَا رَجَعْنَا الْبَصَرَ إِلَى الْهِنْدِ نَرَى أَنَّ أَعْظَمَ وَأَشْهَرَ عِبَادَتِهِمُ اللَّاهُوتِيَّةَ هُوَ التَّثْلِيثُ، وَيُسَمُّونَ هَذَا التَّعْلِيمَ بِلُغَتِهِمْ «تري مورتى» وَهِيَ عِبَارَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ بِلُغَتِهِمُ السَّنْسْكْرِيتِيَّةِ: (تري) وَمَعْنَاهَا ثَلَاثَةٌ، وَ (مورتى) وَمَعْنَاهَا هَيْئَاتٌ أَوْ أَقَانِيمُ، وَهِيَ بَرَهْمَا، وَفِشْنُو وَسِيفَا. ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ مُتَّحِدَةٍ لَا تَنفَكُ عَنِ الْوَحْدَةِ؛ فَهِيَ إِلَهُ وَاحِدٌ -بَزَعْمِهِمْ-.

وَقَدْ شَرَحَ الْمُؤَلِّفُ مَعْنَى هَذِهِ الْأُصُولِ أَوْ الْأَقَانِيمِ عِنْدَهُمْ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ يَرْمُزُونَ إِلَيْهَا بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وَهِيَ (أ. و. م) وَأَنَّهُمْ يَصِفُونَ هَذَا الثَّلَاثُوتَ الْمُقَدَّسَ الَّذِي لَا يَنْقَسِمُ فِي الْجَوْهَرِ وَلَا فِي الْفِعْلِ وَلَا فِي

الإِتِّحَادُ، بِقَوْلِهِمْ: بَرَهُمَا الْمُمَثِّلُ لِمَبَادِي التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ، وَلَا يَزَالُ خَلَاقًا إِلَهِيًّا، وَهُوَ (الْأَبُ) وَفِشْنُو يُمَثِّلُ حِفْظَ الْأَشْيَاءِ الْمَكُونَةِ (أَيَّ مِنَ الزَّوَالِ وَالْفُسَادِ) وَهُوَ الْإِبْنُ الْمُنْتَبِقُ وَالْمُتَحَوِّلُ عَنِ اللَّاهُوتِيَّةِ، وَسِيفَا هُوَ الْمُهْلِكُ وَالْمُبِيدُ وَالْمُبْدِيُّ وَالْمُعِيدُ (أَيَّ الَّذِي لَهُ التَّصَرُّفُ وَالتَّحْوِيلُ فِي الْكَوْنِ) وَهُوَ (رُوحُ الْقُدْسِ) وَيَدْعُونَهُ (كِرِشْنَا) الرَّبُّ الْمُخَلَّصُ وَالرُّوحُ الْعَظِيمُ الَّذِي وُلِدَ مِنْهُ (فِشْنُو) إِلَهِ الَّذِي ظَهَرَ بِالنَّاسُوتِ عَلَى الْأَرْضِ لِيُخَلِّصَ النَّاسَ، فَهُوَ أَحَدُ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ الْإِلَهِ الْوَاحِدُ!

إِلَى آخِرِ مَا قَالَ، وَمِنْهُ أَنَّهُمْ يَرْمُزُونَ لِلْأَقْنُومِ الثَّلَاثِ بِصُورَةِ حَمَامَةٍ، وَهَذِهِ عَيْنُ عَقِيدَةِ النَّصَارَى فِي التَّثْلِيثِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَهِيَ عَقِيدَةُ بُرْهَمِيَّةٍ وَثْنِيَّةٍ، أَخَذَهَا النَّصَارَى عَنِ الْبَرَاهِمَةِ وَصَارُوا يَدْعُونَهُمْ آخِرًا إِلَيْهَا.

وَكَانَ مُنْتَهَى شَوْطِ أَحَدِ الْيَسُوعِيِّينَ فِي التَّفَرِيقَةِ بَيْنَهُمَا أَنَّ ثَلُوثَ الْبَرَاهِمَةِ وَأَمْثَالَهُمْ نَجِسٌ، وَثَلُوثَ النَّصَارَى مُقَدَّسٌ! فَإِذَا قَالَ لَهُمُ الْوَثْنِيُّونَ: الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ؛ فَارْجِعُوا إِلَى الْأَصْلِ وَدَعُوا الْمُبْتَدَعَ^(١٤٢). فَبِمَاذَا يَحْجُجُونَهُمْ؟!!

وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَصْلُ عَقِيدَةِ الْبَرَاهِمَةِ، وَأَنَّ أَوَّلَ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَصَفَ لَهُمُ الْإِلَهِ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ هِيَ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا حَقِيقَةُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهِيَ: (١) مَا بِهِ الْخَلْقُ وَالْإِبْدَادُ، وَ (٢) الْحِفْظُ وَالْإِمْدَادُ، وَ (٣) التَّصَرُّفُ وَالتَّغْيِيرُ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفُسَادِ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ وَدَبَّتْ إِلَيْهِمُ الْوَثْنِيَّةُ، جَعَلُوا لِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ إِلَهًا، وَجَعَلُوا أَسْمَاءَ الصِّفَاتِ أَسْمَاءَ أَقَانِيمَ وَذَوَاتٍ، وَلَمَّا كَانُوا نَاقِلِينَ بِالتَّوَاتُرِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ^(١٤٣)، وَأَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، قَالُوا: إِنَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدٌ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنُ الثَّلَاثَةِ. وَسَرَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْوَثْنِيِّينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ.

وَلِلْهُنُودِ تَمَاتِيلٌ لِلْوَحْدَةِ وَالتَّثْلِيثِ، رَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْهَا فِي دَارِ الْعَادِيَاتِ الَّتِي بَنَتْهَا الْحُكُومَةُ الْهِنْدِيَّةُ الْإِنْكِلِيزِيَّةُ فِي ضَوَاحِي مَدِينَةِ بَنَارِسَ (الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ) وَهُوَ تَمَثُّالٌ وَاحِدٌ لَهُ ثَلَاثَةُ وُجُوهِ.

^{١٤٢} أي: ثلوث الوثنيين هو المقدس وثلوث النصارى هو النجس، والأصل هو ثلوث الوثنيين والمبتدع (المحدث الجديد) هو ثلوث النصارى فاتركوا ثلوث النصارى وتعالوا إلى الأصل وهو ثلوث الوثنيين.

^{١٤٣} كما أن النصارى تلقوا التوحيد بالتواتر من العهد القديم، ودب إليهم التثليث من الوثنيين؛ فجمعوا بين النقيضين؛ فقالوا أيضا - كالبراهمة وغيرهم - ثلاثة في واحد!!.

وَلَعَلَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ مُورِيسُ (فِي ص ٣٧٢ مِنَ الْمَجْلَدِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِهِ آثَارِ الْهِنْدِ الْقَدِيمَةِ) : لَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَنْقَاضِ هَيْكَلٍ قَدِيمٍ قَوَّضَهُ مُرُورُ الْقُرُونِ صَنَمًا لَهُ ثَلَاثَةٌ رُءُوسٍ عَلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ الرَّمْزُ لِلثَّلَاثِ !.

٢ - التَّثْلِيثُ عِنْدَ الْبُوذِيِّينَ :

قَالَ مِسْتَرْ فَا بَرِ فِي كِتَابِهِ (أَصْلُ الْوَثْنِيَّةِ) : كَمَا نَجِدُ عِنْدَ الْهِنْدُودِ ثَالُوثًا مُؤَلَّفًا مِنْ بَرَهْمَا وَفِشْنُو وَسِيفَا، نَجِدُ عِنْدَ الْبُوذِيِّينَ ثَالُوثًا، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ (بُودَه) إِلَهٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ أَقَانِيمَ، وَكَذَلِكَ بُوذِيُّو (جِينِسْت) يَقُولُونَ: إِنَّ (جِيْفَا) مُثَلَّثُ الْأَقَانِيمِ (قَالَ) : وَالصِّينِيُّونَ يَعْبُدُونَ بُودَه وَيُسَمُّوْنَهُ (فُو) وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ ثَلَاثَةٌ أَقَانِيمَ كَمَا تَقُولُ الْهِنْدُودُ. وَذَكَرَ رَمَزَهُمْ (أ. و. م).

وَقَالَ دُوانٌ (فِي ص ١٧٢ مِنْ كِتَابِهِ خُرَافَاتِ التَّوْرَةِ الْخ) : وَأَنْصَارُ لَافُوكُومِتْدَا الْفِيلَسُوفِ الصِّينِيِّ الْمَشْهُورِ، وَكَانَ قَبْلَ الْمَسِيحِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ وَسِتِّمِائَةٍ (٦٠٤) يَدْعُونَ «شَيْعَةَ تَاوُو» وَيَعْبُدُونَ إِلَهًا مُثَلَّثَ الْأَقَانِيمِ، وَأَسَاسُ فَلْسَفَتِهِ اللَّاهُوتِيَّةُ أَنَّ «تَاوُو» وَهُوَ الْعَقْلُ الْأَوَّلُ الْأَرِيُّ انْبَثَقَ مِنْهُ وَاحِدٌ، وَمِنْ الثَّانِي انْبَثَقَ ثَالِثٌ، وَعَنْ هَذَا الثَّالِثِ انْبَثَقَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ بِالتَّوَلَّدِ وَالْإِنْبِثَاقِ أَدْهَشَ الْعَلَمَاءَ مُورِيسَ ؛ لِأَنَّ قَائِلَهُ وَثْنِيٌّ.

٣ - التَّثْلِيثُ عِنْدَ قَدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ :

قَالَ دُوانٌ فِي ص ٤٧٣ مِنْ كِتَابِهِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَنْفَا: وَكَانَ قَسِيْسُو هَيْكَلِ مَنَفِيسَ بِمِصْرَ يُعْبَرُونَ عَنِ الثَّلَاثِ الْمُقَدَّسِ لِلْمُبْتَدِئِينَ بِتَعَلُّمِ الدِّينِ، بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْأَوَّلَ خَلَقَ الثَّانِي، وَهُمَا خَلَقَا الثَّلَاثَ، وَبِذَلِكَ تَمَّ الثَّلَاثُ الْمُقَدَّسُ.

وَسَأَلَ ثُولِيسُو مَلِكُ مِصْرَ الْكَاهِنَ تَنِيْشُوكِي أَنْ يُخْبِرَهُ هَلْ كَانَ قَبْلَهُ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَهَلْ يَكُونُ بَعْدَهُ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنْهُ؟ فَأَجَابَهُ الْكَاهِنُ: نَعَمْ، يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ وَهُوَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ الْكَلِمَةُ،

وَمَعَهَا رُوحُ الْقُدُسِ؛ وَلِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُمْ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ، وَعَنْهُمْ صَدَرَتِ الْقُوَّةُ الْأَبَدِيَّةُ، فَاذْهَبْ يَا فَانِي، يَا صَاحِبَ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: لَا رَيْبَ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْأَقْنُومِ الثَّانِي مِنَ الثَّالُوثِ الْمُقَدَّسِ «كَلِمَةً» هُوَ مِنْ أَصْلٍ وَثْنِيٍّ مِصْرِيٍّ دَخَلَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الدِّيَانَاتِ كَالْمَسِيحِيَّةِ وَ «أَبُولُو» الْمُدْفُونُ فِي (دِهْلِي) يُدْعَى «الْكَلِمَةُ» وَفِي عِلْمِ اللَّاهُوتِ الْإِسْكَندَرِي الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُ (بِلَاتُو) قَبْلَ الْمَسِيحِ بِسِنِينَ عَدِيدَةٍ: «الْكَلِمَةُ هِيَ الْإِلَهُ الثَّانِي» وَيُدْعَى أَيْضًا: «ابْنُ اللَّهِ الْبَكْرُ».

وَقَالَ بُونُونِيكُ (فِي ص ٤٠٢ مِنْ كِتَابِهِ: عَقَائِدُ قَدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ): أَغْرَبُ عَقِيدَةٍ عَمَّ انْتِشَارُهَا فِي دِيَانَةِ الْمِصْرِيِّينَ هِيَ قَوْلُهُمْ بِلَاهُوتِ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صَارَ بِوَاسِطَتِهَا، وَأَنَّهَا مُنْبَثِقَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهَا هِيَ اللَّهُ، وَكَانَ بِلَاتُو عَارِفًا بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْوَثْنِيَّةِ، وَكَذَلِكَ أَرَسَطُو وَغَيْرُهُمَا، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ التَّارِيخِ الْمَسِيحِيِّ بِسِنِينَ -بَلْ يَقْرُونِ- وَلَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ وَيَعْتَقِدُونَ هَذَا الْإِعْتِقَادَ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. اهـ.

أَقُولُ: الَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ وَأَمْنَاهُمْ مِنَ الْقَائِلِينَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ هَذَا كَانُوا يَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلِقَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، وَسَرَتْ إِلَيْهِمُ الْوَثْنِيَّةُ ظَنُّوا أَنَّ الْكَلِمَةَ ذَاتٌ تَفْعَلُ بِالْإِرَادَةِ وَالْإِخْتِيَارِ، فَقَالُوا مَا قَالُوا، وَالْحَقُّ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَعَلُّقِ إِرَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُ خَلْقَهُ، وَمَتَى تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِخَلْقِ شَيْءٍ كَانَ كَمَا أَرَادَ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢: ٣٦) فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مِنْ إعْجَازِ الْقُرْآنِ إِلَّا بَيَانُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي ضَلَّتْ بِهَا الْأُمَمُ مِنْ أَقْدَمِهَا - كَالْهُنُودِ وَالْمِصْرِيِّينَ - إِلَى أَحَدِثِهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَالنَّصَارَى؛ لَكَفَى فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ بَيَّنَّ لَنَا ضَلَالَ تِلْكَ الْأُمَمِ، وَالْأَصْلَ الْمُعْقُولَ الْمُقْبُولَ الَّذِي يَتَّفَقُ مَعَ التَّوْحِيدِ الَّذِي نُقِلَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَتَجَلَّى بِذَلِكَ دِينُ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ رُسُلِهِ نَقِيًّا مِنْ أَذْرَانِ الشِّرْكِ وَنَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ.

٤ - التَّثْلِيثُ عِنْدَ الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ آسِيَةِ:

قَالَ هِيَجِينُ (فِي ص ١٦٢ مِنْ كِتَابِهِ الْأَنْكِلُوسَكْسُونُ) : «كَانَ الْفَرَسُ يَدْعُونَ مِتْرُوسَا: الْكَلِمَةَ وَالْوَسِيطَ وَمُحَلِّصَ الْفَرَسِ» اهـ. وَقَالَ مِثْلَ هَذَا دُونَلَابُ وَبَنُصُونُ، وَقَالَ دُونَانُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي ذَكَرَ غَيْرَ مَرَّةٍ: «كَانَ الْفَرَسُ يَعْبُدُونَ إِلَهًا مِثْلَ الْأَقَانِيمِ مِثْلَ الْهَتُودِ، وَيُسَمُّوْنَهَا: أَوْزِمَرْدَ وَمِثْرَاتَ وَأَهْرَمَنْ، فَأَوْزِمَرْدُ الْخَلَّاقُ، وَمِثْرَاتُ ابْنُ اللَّهِ الْمُحَلِّصُ وَالْوَسِيطُ، وَأَهْرَمَنْ الْمَلِكُ».

أَقُولُ: وَقَدْ بَيَّنْتُ أَيْضًا أَصْلَ هَذَا الْإِعْتِقَادِ وَكَيْفَ سَرَى إِلَيْهِ الْفَسَادُ. وَالْمَشْهُورُ عَنْ مَجُوسِ الْفَرَسِ السَّيِّئَةِ دُونِ التَّثْلِيثِ، فَكَانُوا يَقُولُونَ بِإِلَهِ مَصْدَرِ النُّورِ وَالْحَيَرِ، وَإِلَهِ مَصْدَرِ الظُّلْمَةِ وَالشَّرِّ.

وَنُقِلَ عَنِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْأَشُورِيِّينَ وَالْفِينِيقِيِّينَ الْإِيمَانُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى أَنَّهَا ذَاتُ تَعَبُدٍ، وَيُسَمِّيَهَا الْكَلْدَانِيُّونَ (مِمَارُ) وَالْأَشُورِيُّونَ (مَرْدُوخُ) وَيَدْعُونَ مَرْدُوخَ ابْنَ اللَّهِ الْبَكْرَ، وَهَكَذَا الْأَمَمُ يَأْخُذُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَقَدْ قَالَ بَرْتَشَرْدُ (فِي ص ٢٨٥ مِنْ كِتَابِهِ: خُرَافَاتُ الْمُضَرِّيِّينَ الْوَثْنِيِّينَ) : «لَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنَ الْأَبْحَاثِ الدِّينِيَّةِ الْمَأْخُودَةِ عَنْ مَصَادِرَ شَرْقِيَّةٍ مِنْ ذِكْرِ أَحَدِ أَنْوَاعِ التَّثْلِيثِ أَوْ التَّوَلَّدِ الثَّلَاثِيِّ».

وَنَقُولُ: إِنَّ أَدْيَانَ أَسْلَافِهِ الْغَرْبِيِّينَ كَذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَعْرَقَ فِي الْوَثْنِيَّةِ، فَهُمْ تَلَامِيذُ الشَّرْقِيِّينَ فِيهَا، وَلَا سِيَّامَا الْمُضَرِّيِّينَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ شَوَّهُوا الدِّينَ الْمَسِيحِيَّ الشَّرْقِيَّ، فَنَقَلُوهَا مِنَ التَّوْحِيدِ الْإِسْرَائِيلِيِّ إِلَى التَّثْلِيثِ الْوَثْنِيِّ.

٥ - التَّثْلِيثُ عِنْدَ أَهْلِ أُورُبَّةَ: الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ وَغَيْرِهِمْ:

جَاءَ فِي كِتَابِ (سُكَّانُ أُورُبَّةَ الْأَوَّلِينَ) مَا تَرَجَّمْتُهُ: «كَانَ الْوَثْنِيُّونَ الْقَدَمَاءُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدًا، وَلَكِنَّهُ ذُو ثَلَاثَةِ أَقَانِيمٍ».

وَجَاءَ فِي كِتَابِ «تَرْفِي الْأَفْكَارِ الدِّينِيَّةِ» (ص ٣٠٧ م ١) : إِنَّ الْيُونَانِيِّينَ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِلَهَ مِثْلُ الْأَقَانِيمِ، وَإِذَا شَرَعَ قَسَّيْسُوهُمْ بِتَقْدِيمِ الذَّبَائِحِ يَرُشُّونَ الْمَذْبَحَ بِالمَاءِ الْمُقَدَّسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِشَارَةً إِلَى الثَّالُوثِ وَيَرُشُّونَ الْمُجْتَمِعِينَ حَوْلَ الْمَذْبَحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَأْخُذُونَ الْبُخُورَ مِنَ الْمُبْخَرَةِ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ قَالُوا: إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ مِثْلَتَهُ، وَهُمْ اعْتَنَاءَ بِهَذَا الْعَدَدِ فِي جَمِيعِ شَعَائِرِهِمُ الدِّينِيَّةِ. اهـ.

أَقُولُ: وَقَدْ اقْتَبَسَتِ الْكَنِيسَةُ بَعْدَ دُخُولِ نَصْرَانِيَّةِ قُسْطَنْطِينٍ فِيهِمْ هَذِهِ الشَّعَائِرَ كُلَّهَا، وَنَسَخَتْ بِهَا شَرِيعَةَ الْمَسِيحِ الَّتِي هِيَ التَّوْرَةُ، وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَسِيحِيِّينَ وَيَعْمَلُونَ كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِ الْمَسِيحِ! فَهَلْ ظَلِمَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ بِالْإِفْتِيَاتِ عَلَيْهِ كَمَا ظَلِمَ الْمَسِيحُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؟ لَا لَا!.

وَنَقَلَ دُونُ عَنْ أَوْرَفِيُوسَ أَحَدِ كُتَّابِ الْيُونَانِ وَشُعْرَائِهِمْ قَبْلَ الْمَسِيحِ بِعِدَّةِ قُرُونٍ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ الْأَشْيَاءِ صَنَعَهَا إِلَهُ الْوَاحِدُ مِثْلُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَقَانِيمِ».

وَقَالَ فِسْكٌ فِي ص (٢٠٥) مِنْ كِتَابِ (الْخُرَافَاتُ وَمُخْتَرَعُوهَا): كَانَ الرُّومَانِيُّونَ الْوَثْنِيُّونَ الْقُدَمَاءُ، يُؤْمِنُونَ بِالتَّثْلِيثِ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْكَلِمَةِ، ثُمَّ بِالرُّوحِ.

وَقَالَ بَارْخُورِسْتُ فِي الْقَامُوسِ الْعِبْرَانِيِّ كَانَ لِلْفِنْلَنْدِيِّينَ (الْبَرَابِرَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي شِمَالِ بَرُوسِيَّةِ) إِلَهُ اسْمُهُ (تِيرِيكَلافُ) وَقَدْ وُجِدَ لَهُ تِمَثَالٌ فِي (هَرْتُونَجِرْ بَرَج) لَهُ ثَلَاثَةُ رُءُوسٍ عَلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ. أَقُولُ: تِيرِيكَلافُ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَةٍ: تِيرِي، وَمَعْنَاهَا ثَلَاثَةٌ، وَكَلِمَةٍ: كِلَافُ، وَلَعَلَّ مَعْنَاهَا إِلَهُ.

وَقَالَ دُونُ (فِي ص ٣٧٧ مِنْ كِتَابِهِ): «كَانَ الْإِسْكَنْدَانَوِيُّونَ يَعْبُدُونَ إِلَهًا مِثْلَ الْأَقَانِيمِ يَدْعُونَهَا: أَوْدِينَ، وَتُورَا، وَفَرِي. وَيَقُولُونَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَقَانِيمُ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَقَدْ وُجِدَ صَنْمٌ يُمَثِّلُ هَذَا الثَّالُوثَ الْمُقَدَّسَ بِمَدِينَةِ (أُوبَسَال) مِنْ أَسُوجٍ، وَكَانَ أَهْلُ أَسُوجٍ وَتَرْوُجٍ وَالدُّنَارِكُ يُفَاخِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي بِنَاءِ الْهَيَاكِلِ لِهَذَا الثَّالُوثِ، وَكَانَتْ جُذُرَانُ هَذِهِ الْهَيَاكِلِ مُصَفَّحَةً بِالذَّهَبِ، وَمُزَيَّنَةً بِتِمَائِيلِ هَذَا الثَّالُوثِ، وَيُصَوِّرُونَ أَوْدِينَ بِيَدِهِ حُسَامٌ، وَتُورَا وَاقِفًا عَنْ شِمَالِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ بِيَدِهِ صَوْلْجَانٌ، وَفَرِي وَاقِفًا عَنْ شِمَالِ تُورَا، وَفِيهِ عَلَامَةُ الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى.

وَيَدْعُونَ أَوْدِينَ الْآبَ، وَتُورَا الْإِبْنَ الْبِكْرَ أَيْ ابْنَ الْآبِ أَوْدِينَ وَ «فَرِي» مَانِحُ الْبَرَكَاتِ وَالنَّسْلِ وَالسَّلَامِ وَالْغِنَى. اهـ.

أَقُولُ: فَهَلْ تَرَكَ الْأَوْرَثِيُّونَ أَدْيَانَهُمُ الْوَثْنِيَّةَ إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- الَّذِي هُوَ التَّوْرَةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى أَسَاسِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، أَمْ ظَلُّوا عَلَى وَثْنِيَّتِهِمْ، وَأَدْخَلُوا فِيهَا شَخْصَ الْمَسِيحِ، وَجَعَلُوهُ أَحَدَ

أَهْلَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ قَبْلُ^(١٤٤) . . . ؟ إِنْهُمْ نَقَلُوا عَنْهُ أَنَّهُ مَا جَاءَ لِيَنْقُضَ النَّامُوسَ شَرِيعَةَ مُوسَى، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيُتِمِّمَهَا، وَلَكِنَّ مُقَدَّسَهُمْ بُولِسَ نَقَضَهَا حَجْرًا حَجْرًا وَلَبَنَةً لَبَنَةً، إِلَّا ذَبِيحَةَ الْأَصْنَامِ وَالْدَّمِ الْمُسْفُوحِ، وَالزُّنَا الَّذِي لَا عِقَابَ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ، فَأَرَا حُهُمْ وَمَهَّدَ لَهُمُ السَّبِيلَ لِتَأْسِيسِ دِينٍ جَدِيدٍ لَا يَتَّفِقُ مَعَ دِينِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي عَقَائِدِهِ وَلَا فِي أَحْكَامِهِ، وَلَا فِي آدَابِهِ، وَأَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ الْإِفْرَنْجِ الَّذِينَ بَدَّلُوا الْمُتْلِينَ مِنَ الدَّنَائِيرِ لِتَنْصِيرِ الْبَشَرِ كُلِّهِمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ، وَغَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ اسْتِعْبَادُ جَمِيعِ الْبَشَرِ بِإِزَالَةِ مُلْكِهِمْ وَسَلْبِ أَمْوَالِهِمْ ؛ لِتَكُونَ جَمِيعُ لَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَزِينَتِهَا وَعَظَمَتِهَا خَالِصَةً لَهُمْ، فَهَلْ جَاءَ الْمَسِيحُ لِهَذَا، وَهَذَا أَمْرٌ بِضِدِّهِ؟

وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَى مِنْ عَجَائِبِ أَطْوَارِ الْبَشَرِ وَقُلُوبِهِمْ لِلْحَقَائِقِ وَلَبْسِهِمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَعْجَبَ وَأَغْرَبَ مِنْ وُجُودِ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْأَرْضِ! دِيَانَةٌ بُنِيَتْ عَلَى أَسَاسِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الْمُعْقُولِ، جَعَلُوهَا دِيَانَةً وَثْنِيَّةً بِتَثْلِيثٍ غَيْرِ مُعْقُولٍ، أَخَذُوهُ مِنْ تَثْلِيثِ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ الْمُقْتَبَسِ مِنْ تَثْلِيثِ الْمِصْرِيِّينَ وَالْبَرَاهِمَةِ اقْتِبَاسًا مُشَوَّهَاً.

دِيَانَةُ شَرِيعَةٍ سَمَاقِيَّةٍ، نَسَخُوا شَرِيعَتَهَا بِرُمَّتِهَا وَأَبْطَلُوهَا، وَاسْتَبَدُّوا بِهَا بِدْعًا وَتَقَالِيدَ غَرِيبَةٍ عَنْهَا. دِيَانَةُ زُهْدٍ وَتَوَاضُعٍ وَتَقَشُّفٍ وَإِثَارٍ وَعُبُودِيَّةٍ، جَعَلُوهَا دِيَانَةً طَمَعٍ وَجَشَعٍ وَكِبْرِيَاءٍ وَتَرْفٍ وَأَثَرَةٍ وَاسْتِعْبَادٍ لِلْبَشَرِ.

دِيَانَةُ أَصُولِهَا الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا مُقْتَبِسَةٌ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ الْأُولَى، لَمْ تَرُدْ كَلِمَةً تُدُلُّ عَلَى عَقِيدَتِهَا عَنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهَا مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ جَمِيعِ كُتُبِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، دِيَانَةُ نَسْبُوهَا إِلَى الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

^{١٤٤} لقد صدق لقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) عندما قال في تثبيت دلائل النبوة له (١ / ١٦٨): «إن الروم ما تنصرت، ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت، وارتدت عن دين المسيح، وعطلت أصوله وفروعه وصارت إلى ديانات أعدائه وهو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى، فعلوا هذا طلباً للرئاسة وعاجل الدنيا كما قد وجدته في كتبهم وفي إقرارهم مما تقدم ذكره لك» انتهى.

وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ نَصٌّ مِنْ كَلَامِهِ فِي أَصُولِ عَقِيدَتِهَا الَّتِي هِيَ التَّثْلِيثُ، وَإِنَّمَا بَقِيَ عِنْدَهُمْ نُصُوصٌ قَاطِعَةٌ مِنْ كَلَامِهِ فِي حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَإِبْطَالِ التَّثْلِيثِ، وَعَدَمِ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ الَّذِي أَطْلَقَ لَفْظُهُ مَجَازًا عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَبْرَارِ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُعْبَرُ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْأَكْثَرِ بِابْنِ الْإِنْسَانِ.

لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ النُّصُوصِ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ إِلَّا مَا رَوَاهُ يُوْحَنَّا فِي الْفَصْلِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِهِ لَكَفَى، وَهُوَ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (٣) وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعُ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ) فَيَبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ الْإِلَهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ هُوَ رَسُولُهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَسَاسَ عَقِيدَتِهِمْ، يُرَدُّ إِلَيْهِ كُلُّ مَا يُوهِمُ خِلَافَهُ، وَلَوْ بِالتَّأْوِيلِ، لِأَجْلِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْمُعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ.

وَنَقَلَ مُرْقُسُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِهِ أَنَّ أَحَدَ الْكَتَبَةِ سَأَلَهُ عَنْ أَوَّلِ الْوَصَايَا قَالَ: فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: أَوَّلِ الْوَصَايَا: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ، الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. إِنْخ. . . ٣٢ فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ بِالْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. . . ٣٤ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلِ قَالَ لَهُ: لَسْتُ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ) فَعَلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ هُوَ الْعَقِيدَةُ الْمُعْقُولَةُ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى ظَاهِرِهَا بِلاَ تَأْوِيلٍ، فَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ وَرَدَ مَا يُنَافِيهَا، وَجَبَ رَدُّهُ أَوْ إِرْجَاعُهُ إِلَيْهَا.

وَرَوَى يُوْحَنَّا عَنْهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ إِنْجِيلِهِ أَنَّهُ قَالَ: (٢٨) اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ) وَمِثْلُهُ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ رِسَالَةِ يُوْحَنَّا الْأُولَى: (١٢) اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ) وَفِي الْفَصْلِ السَّادِسِ مِنْ رِسَالَةِ بُولِسِ الْأُولَى إِلَى أَهْلِ تِيمُوثَاوِسَ: (١٦) لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ) وَقَدْ رَأَى النَّاسُ الْمَسِيحَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ.

وَرَوَى مُرْقُسُ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي السَّاعَةِ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَصُّهُ: (٣٢) وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ) فَلَوْ كَانَ الْإِبْنُ عَيْنَ الْآبِ لَكَانَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَعْلَمُهُ الْآبُ، وَقَوْلُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْقِيَامَةِ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- فِي الْقُرْآنِ خِطَابًا لِحَاتِمِ رُسُلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (١٨٧: ٧).

وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى يَقْبَلُونَ نُصُوصَ إِنْجِيلِ بَرْنَابَا لَا تَيَّنَاهُمْ بِشَوَاهِدٍ مِنْهُ عَلَى التَّوْحِيدِ مُؤَيَّدَةً بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ عَنْ أَنَّ الْمَسِيحَ بَشَرٌ رَسُولٌ، قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَلَيْسَ بِدَعَا فِيهِمْ، وَنَاهِيكَ بِالْفَصْلِ الرَّابِعِ وَالسَّتِينَ مِنْهُ الَّذِي يَحْتَجُّ بِهِ الْمَسِيحُ بِمَا آتَى اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْآيَاتِ عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ لَا تُنَافِي الْبَشَرِيَّةَ وَالْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِالْفَصْلِ الْخَامِسِ وَالسَّعِينَ الَّذِي يَحْتَجُّ فِيهِ بِأَقْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ فِي التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ - تَعَالَى - خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِكَلِمَتِهِ، وَأَنَّهُ يَرَى وَلَا يَرَى، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ مُتَجَسِّدٌ وَعَزِيزٌ مُرَكَّبٌ وَعَزِيزٌ مُتَغَيِّرٌ، وَأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَنَامُ، ثُمَّ قَالَ: (١٩) فَإِنِّي بَشَرٌ مَنْظُورٌ، وَكُنْتُ مِنْ طِينٍ تَمَشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَفَإِنْ كَسَائِرِ الْبَشَرِ ٢٠، وَإِنَّهُ كَانَ لِي بَدَايَةٌ، وَسَيَكُونُ لِي نِهَآيَةٌ، وَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَبْتَدِعَ خَلْقَ دُبَابَةٍ) انتهى.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن!، من الذي أدخل هذه العقيدة الوثنية في فهي هذه الديانة؟!

إنه القائل: «إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه» (كورنثوس الأولى ٩: ١٩ - ٢٣).

فهو يظهر بكل لون وبكل شكل ليربح من أتباع كل لون ومن أتباع كل شكل قوما!، فيكون للوثنيين الرومانيين الذين انتشرت وثنتهم في عصره وثنيا ليربح الوثنيين.

هل تعلم من القائل أخانا؟!

الجواب: إنه بولس مغير دين المسيح!!!

الفصل الرابع: حقيقة بولس

لقد تبين للقارئ اللبيب من خلال ما مضى معنا من مباحث وفصول، أنه؛ ومع تحريف الكتاب المقدس عند النصارى، فإنه خلا عن أي إثبات حقيقي لما يقوم عليه اعتقاد النصارى، وتبين له - أيضا - بكل وضوح أن وراء كل عقيدة فاسدة شخص يدعى «بولس».

لقد لعب «بولس» الدور الأهم في تحريف دين المسيح الحق الذي أنزل من عند الله، والعجيب أنه مع تحريف الكتاب إلا أن الله أبقي فيه ما يخرج طالب الحق من الظلمات إلى النور، حتى إنه أبقي فيه حقيقة هذا المحرف لدين المسيح، وأبقى فيه نبوءة للمسيح - نفسه - بشأن هذا المبدل والمغير؛ كما سيأتي - إن شاء الله -!

بولسية لا مسيحية:

ولكن قبل ذلك لابد أن تعلم أهمية «بولس» في النصرانية، حيث ندعي نحن أن هذه الديانة هي ديانة بولسية بامتياز! لا علاقة لها بالمسيح - صلى الله عليه وسلم -، يقول العلامة الدكتور الأزهرى محمد جميل غازي كما مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١٥٨):

«إن المسألة أصبحت من الواضح بحيث لا بد من الإقرار بأن تسمى الديانة المسيحية الديانة البولسية. فهي تنسب بحق لبولس وليس للمسيح عليه السلام. كذلك من المفيد معرفة أن الفاتيكان يعترف بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها. فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ م بعنوان: «المسيحية عقيدة وعمل» ما يلي في صفحة (٥٠): «كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع» انتهى.

فهذا يؤكد بولسية هذه الديانة، كيف لا وأسفار العهد الجديد كلها ٢٧ سفرا!، منها ١٤ رسالة لبولس نفسه أي أكثر من نصف الكتاب بخط يد بولس! بقي ١٣ سفرا، منها ٣ أسفار - على أقل

تقدير- تنسب لتلاميذه أعني مرقس ولوقا^(١٤٥)، فإذا ضممنا إلى ذلك الأقوال التي تنسب يوحنا إلى تلاميذ بولس فيكون لتلاميذ بولس من الأسفار ٨ أسفار!، وعليه يكون مجموع ما لبولس ومدرسته في العهد الجديد ٢٢ سفرا!، من أصل ٢٧ سفرا بقي ٥ أسفار!، وهي عبارة عن أوراق قليلة جدا، وأيضا مشكوك في نسبتها إلى مؤلفيها، ومنها إنجيل متى الذي اعتمد فيه على إنجيل مرقس تلميذ بولس!!!!.

فكيف إذا علمت أن رسائل بولس هي أول الأسفار القانونية في العهد الجديد وقد اعترف علماء النصرانية بهذه الحقيقة إذ جاء في مقدمة «الترجمة العربية المشتركة» التي قام عليها علماء من كل الطوائف النصرانية في (ص: ٩): «تكونت اللائحة القانونية لأسفار العهد الجديد على مراحل:

أول مجموعة تكونت هي رسائل بولس! التي تكلمت عنها رسالة بطرس الثانية (٣: ١٥ - ١٦)

ثم الأنجيل وسفر الأعمال وبعد نقاشات بين الكنائس!! قبلت الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة يعقوب وبطرس الثانية ويهوذا وسفر الرؤيا!!

إن قراءة هذه الكتب خلال العبادة والاعتباس منها لتثبيت العقيدة ساعد الكنائس على تحديد الكتب القانونية للعهد الجديد واستبعاد الكتب الأخرى المنحولة^(١٤٦)، والاتفاق اليوم تام بين الكنائس فيما يخص أسفار العهد الجديد^(١٤٧) انتهى.

إذا فحينما ندعي أن هذه الديانة هي ديانة بولسية فإنها دعوى صحيحة ثابتة من حيث نصوصها، وكذلك من حيث أنه لا وجود لأهم عقائدها على لسان المسيح كما سبق!، وعليه فإن هدم بولس هو هدم للديانة النصرانية = البولسية من أساسها!.

^{١٤٥} قال بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٤: ١١): «لَوْ قَا وَحْدَهُ مَعِيَ. خُذْ مَرْقُسَ وَأَخْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ».

^{١٤٦} المكذوبة المدعاة؛ يقال: انتحل الشيء: ادّعه لنفسه، وهو غيره!.

^{١٤٧} وعليه تعلم قانون قبول الأسفار المقدسة!، وهو: موافقتها للعقائد التي جاء بها بولس، فما وافق ما جاء به بولس فهو مقدس، وإلا فهو منحول مزور!، وبذا تعرف سر رفض الكنيسة اليوم لإنجيل برنابا.

تنبؤ المسيح ببولس:

ذكرنا لك: أن المسيح تنبأ بتحريف بولس لدينه وحذر منه تلاميذه؛ فقال كما ورد في إنجيل متى (١٧/٥-١٩): «الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات»، فتأمل في قوله «يدعى أصغر»، وفي الترجمة العربية المشتركة «صغيرا» وهذا ما دعي به بولس الذي كان اسمه «شاول» - ويعنى: المطلوب - فلما ادعى الدخول في دين المسيح، وزعم أنه نبي مرسل!؛ وأخذ يغير في دين المسيح؛ دعي اسمه «بولس» يعنى: «صغيرا»؛ كما ورد معنى اسمه في «قاموس الكتاب المقدس»!!.

ولقد حذر المسيح - صلوات الله وسلامه عليه - من الأنبياء الكذبة الذين يأتون من بعده؛ كما في إنجيل متى (١٥/٧) «اخترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحُمَلان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة! ١٦ من ثمارهم تعرفونهم».

وقد اعترف بولس أنه من هؤلاء الكذبة حيث يقول عن نفسه؛ كما في (رسالته إلى أهل رومية ٣: ٧) «فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أذان أنا بعد كخاطي؟»^(١٤). إن الاعتراف عزيزنا القارئ هو سيد الأدلة؛ كما يقال!.

^{١٤} ومن أمثلة كذبه أنه كما قال: «لأنى أنا أيضا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين». (الرسالة إلى أهل رومية ١١: ١). «أنا رجل يهودي وُلِدْتُ في طرسوس كيليكية ولكن ربي في هذه المدينة مؤدبا عند رجلين غملائيل على تحقيق الناموس الأبوي. وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم». (أعمال الرسل ٢٢: ٣).

ثم فجأة لما أراد الرومان أن يجلدوه ولكي يفر من هذا المأزق! زعم أنه روماني ابن روماني!، «أمر الأمير أن يذهب به إلى المعسكر، قائلاً أن يفحص بضربات، ليعلم لأي سبب كانوا يضربون عليه هكذا. ٢٥ فلما مدوه للسباط، قال بولس لقائد المئة الواقف: «أجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضي عليه؟» ٢٦. فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير، وأخبره قائلاً: «انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل! لأن هذا الرجل روماني». ٢٧ فجاء الأمير وقال له: «قل لي: أنت روماني؟» فقال: «نعم». ٢٨ فأجاب الأمير: «أما أنا فمبلغ كبير افتتيت هذه الرعية». فقال بولس: «أما أنا فقد وُلِدْتُ فيها». ٢٩ وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه. واختشى الأمير لما علم أنه روماني، ولأنه قد قيده» (أعمال الرسل ٢٢: ٢٤).

بولس ونقض الشريعة:

وللنظر في ثمرات هذا الرجل، لقد كانت أول ثمرة من ثمرات هذا (الذئب الخاطف) و(المتنبي الكاذب!) هو تغيير العهد الأبدي الذي جعله الله علامة عهده مع إبراهيم وأبناءه؛ ألا وهو الختان ونكت بولس عهد الله!؛ كما جاء في سفر التكوين (١٧ / ٩-١٤): «قَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. ١٠ هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُحْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، ١١ فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ١٢ ابْنِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُحْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفَضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. ١٣ يُحْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفَضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. ١٤ وَأَمَّا الذَّكَرُ الْأَغْلَفُ الَّذِي لَا يُحْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتَقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهِا. إِنَّهُ قَدْ نَكثَ عَهْدِي».

لقد جعل الله عهداً أبدياً مع إبراهيم وذريته، وجعل الختان علامة هذا العهد الأبدي إلى أن يأتي من ينكت عهد الله فيقطع تلك الأنفس من شعبها!؛ فمن كان ناكث العهد؟! إنه: بولس، لقد كان حريصاً كل الحرص في أن ينكت هذا العهد حتى إنه جعل الختان في مقابل الانتفاع بالمسيح! فقال في رسالته إلى أهل غلاطية (٢ / ٥): «هَآ أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ أَحْتَسَّكُمْ لَا يَنْفَعُكُمْ الْمَسِيحُ شَيْئاً!» (١٤٩). مع أن المسيح نفسه كان مختنناً كما جاء في إنجيل لوقا (٢ / ٢١): «وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيُخْتَنُوا الصَّبِيُّ سُمِّيَ يَسُوعَ».

غير أن بولس لا يعبأ بذلك وظل يدعو إلى ترك شريعة الختان حتى سبب ذلك كثيراً من النزاع؛ كما في أعمال الرسل (٢ / ١٥): «فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأَنَاسُ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ».

^{١٤٩} ولاحظ قوله: «هَآ أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ»، فهو قوله هو لا قول الله عز وجل حيث إنه إذا أراد أن يبين الفرق بين كلامه وكلام الله يبين ذلك كما في كرنثوس الأولى (٧ / ١٠-١٢): «... وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَوَصِيَّتِي لَهُمْ، وَهِيَ مِنَ الرَّبِّ لَا مِنِّي، ... ١٢ وَأَمَّا الْآخَرُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا لَا الرَّبَّ: ...».

ولقد رمى بولس شريعة الله بالنقص والعيب فقال في رسالته إلى العبرانيين (٧ / ٨): «فلو كان العهد الأول لا عيب فيه، لما دعت الحاجة إلى عهد آخر» (المشتركة). بل زعم أنها باطلة فقال في نفس الرسالة (١٨ / ٧): «وهكذا بطلت الوصية السابقة لضعفها وقلة فائدتها، لأن شريعة موسى ما حققت الكمال في شيء، فحل محلها رجاء أفضل منها نتقرب به إلى الله» (المشتركة).
فإذا كانت كذلك فلماذا لم ينقضها المسيح نفسه؟!.

لقد أكد المسيح أنه ما جاء لينقض الناموس (الشريعة)؛ بل جاء ليكمل فقال؛ كما في إنجيل متى (١٧ / ١٩): «لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأَكْمِلَ».

غير أن بولس كان مصرا على هدم الشريعة وقد سبب له ذلك الكثير من المتاعب والخلافات؛ لا سيما مع تلاميذ المسيح وعلى رأسهم كبير التلاميذ بطرس. وانظر كيف يتكلم بولس عن التلاميذ في غلاطية (٦ / ٢): «وَأَمَّا الْمُعْتَبِرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ - مَهْمَا كَانُوا، لَا فَرْقَ عِنْدِي، اللَّهُ لَا يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَبِرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. ٧ بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي أُؤْتِمِنْتُ عَلَىٰ إِنْجِيلِ الْغُرَّةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَىٰ إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. ٨ فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضًا لِلْأَمَمِ».

ثم تكلم عن مواجهته لبطرس فقال في غلاطية (٢ / ١١): « ١١ وَلَكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ قَاوَمْتُهُ مُوَاجَهَةً، لِأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا» وفي بعض الترجمات (خاطئا)!!.

حتى برنابا الذي قدّمه للتلاميذ نازعه بعد ذلك، واختلفا خلافا حادا حتى فارقه برنابا؛ كما جاء في أعمال الرسل (٣٧-٣٩)، غير أن كاتب سفر أعمال الرسل، وهو من تلاميذ بولس زعم أن الخلاف كان لأجل اصطحاب مرقس من عدمه^(١٠٠)، ولكن الحقيقة قد ذكرها بولس؛ وهي انقياد

^{١٠٠} ولا يعقل أن يكون هذا هو سبب الخلاف الحاد بينهما حتى يحملها على المفارقة!، لا سيما وبولس قد رضي أخيرا على مرقس!!، «يسلم عليكم استرخس المأسور معي، ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا، وإن أتى إليكم فاقبلوه» (كولوسي ٣ / ١٠)، وقد استعمله في الخدمة فأرسل إلى تيموثاوس يقول له: «خذ مرقس، وأحضره معك، لأنه نافع لي للخدمة» (تيموثاوس ٢ / ٣). (١٠ / ٣).

برنابا لبطرس ومن معه من التلاميذ في المحافظة على الشريعة ؛ كما في غلاطية (٢ / ١٢): «وَرَأَى مَعَهُ بَاقِيَ الْيَهُودِ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضًا أَنْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ!».

ويذكر لنا برنابا في إنجيله حقيقة الخلاف بينه وبين بولس وسبب كتابته لهذا الإنجيل فيقول في (المقدمة / ٢-٧): «الذين ضلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس».

لم يتوقف النزاع بين بولس والتلاميذ عند بطرس ،وبرنابا بل إن كل التلاميذ ارتدوا عنه ؛ كما قال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس (١ / ١٥): «أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي آسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي»^(١٥١).

وكل ذلك بسبب حرصه على هدم الشريعة فإن سألت -أخانا- لماذا حرص بولس على هدم الشريعة لا سيما شريعة الختان؟

قلنا لك: لقد علم بولس أهمية الجموع الغفيرة، وقد كان دائما متطلعا إلى السلطة، وعلم أن دعوته لن تلقى قبولا من الجموع مع التزام وصايا الشريعة، لا سيما إذا أُلزم من دخل في دينه بالختان! فمع أن بولس يعلم أن الخلاص الحقيقي والحياة الأبدية = (الجنة) لا يكون إلا باتباع الشريعة والتزام وصاياها كما ورد عن المسيح في متى (١٩ / ١٦): «وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيِّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لَتَكُونَ لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةُ؟». ١٧ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». ١٨ قَالَ لَهُ: «آيَةُ الْوَصَايَا؟». فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. ١٩ أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».

^{١٥١} وفي آخر هذه الرسالة قال كلاما عجيبا (٩ / ٤): «بَادِرْ أَنْ نَحْيِيَ إِلَى سَرِيْعًا، ١٠ لِأَنَّ دِيَّاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمُ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي، وَكْرِيسْكِيَسَ إِلَى غَلَاطِيَّةَ، وَتِيطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ. ١١ أَلُوقَا وَحْدَهُ مَعِي. خُذْ مَرْفُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ. ١٢ أَمَّا تِيخِيْكُسُ فَقَدْ أَرْسَلْتُهُ إِلَى أَفَسُسَ. ١٣ الرَّدَاءُ الَّذِي تَرَكَتُهُ فِي تَرُوسَ عِنْدَ كَارْبُسَ، أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتُ، وَالْكِتَابَ أَيْضًا وَلَا سِيَّيَا الرُّقُوقَ. ١٤ إِنْ سَكَنْدَرُ النَّحَّاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً. لِيُجَاوِزَهُ الرَّبُّ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. ١٥ فَاحْفَظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ قَاوِمٌ أَقْوَالَنَا جِدًّا. ١٦ فِي أَحْتِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي. لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ»، هل هذا كلام يكتبه بولس بوحى من الله؟!!

ولكن الدعوة إلى التزام الشريعة - لا سيما الختان - لا تأتي بالجموع الغفيرة التي يريدها، ولذلك كان يقدم دينه للناس حسب ما يرغبون وما يألّفون، حتى إنه أحل لنفسه، ولأتباعه كل شيء؛ كما في رومية (١٤ / ١٤): «إِنِّي عَالَمٌ وَمُتَيِّقٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِسًا بِذَاتِهِ، إِلَّا مَنْ يَحْسِبُ شَيْئًا نَجِسًا، فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ».

وقال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٢ : ٦): «كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي».

بل كان من أجل استقطاب الناس يتلون، ويحتال حتى يربح أكبر عدد ممكن من الأتباع، وقد صرح بمكره واحتياله؛ كما في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (١٢ / ١٦): «إِذْ كُنْتُ مُحْتَالًا أَخَذْتُكُمْ بِمَكْرٍ!».

وصرح بتلونه أكثر في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٩ : ١٩ - ٢٣): «إِذْ كُنْتُ حَرَامًا مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبِحَ الْأَكْثَرِينَ. فَصُرْتُ لِلْيَهُودِ كِيَهُودِي لِأَرْبِحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبِحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ... لِأَرْبِحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صُرْتُ لِلضَّعْفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبِحَ الضَّعْفَاءَ. صُرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخْلَصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا. وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ لِأَكُونَ شَرِيكَ فِيهِ».

لقد أراد بولس أن تكون دعوته عالمية لليهود وغير اليهود!، مع أنه لو كان من أتباع المسيح حقا لالتزم بتعاليمه ووصاياه وقد أخبر كما في متى (٢٤ / ١٥): «فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»، وهكذا أمر تلاميذه كما في متى (١٠ / ٥): «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. ٦ بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». لقد أوصى المسيح تلاميذه أن لا يذهب للأُمَم (غير اليهود)، وأن تحصر دعوتهم في بني إسرائيل، غير أن بولس كان همه الأكبر كثرة الأتباع، ولأجله نافق وتلون!، وقدم دينه بكل شكل ولون! ولعلك تلاحظ أن «مسيحية بولس تقوم أساسا على فكرة الإله المخلص المقتول، ولقد كانت الديانات التي شاعت في العالم الروماني في ذلك الوقت مثل ديانات إيزيس، وميثرا، وسيل، تقوم على نفس هذه الفكرة؛ ولهذا يقول مؤرخو الديانات، والمثلل: إن التشابه ملحوظ بين المسيحية، وتلك الديانات.

يقول: هربرت فيشر في كتابه «تاريخ أوروبا»: «استدار العالم الروماني بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة مثل عبادات إيزيس وسيرابيس وميثرا؛ إن عبّاد إيزيس المصرية وسبيل الفريجية وميثرا الفارسي اشتركوا في معتقدات كثيرة وجدت في النظام المسيحي!». لقد اعتقدوا في اتحاد سري مقدس مع الكائن الإلهي؛ إما عن طريق اقتران خلال الشعائر، أو بطريقة أبسط عن طريق أكل لحم الإله في احتفال طقسي. لقد كان الإله الذي يموت بين العويل، والمراثي؛ بيد أنه يقوم ثانية وسط صيحات الترحيب والسرور، من الملامح الرئيسية في هذه العبادات الشرقية الغامضة!!.

إن عبادة إيزيس قد نظمت بطريقة تماثل تماما ما في الكنيسة الكاثوليكية. لقد كان هناك تنظيم كهنوتي مماثل مكون من البابا مع القسس والرهبان والمغنين، وخدم الكنيسة. وكانت صورة السيدة ترصع بجواهر حقيقية أو مزيفة، وكانت زينتها تعمل كل يوم كما كانت صلاة الصبح، وأغاني المساء تغنى في معابدها الرئيسية. وكان الكهنة حليقي الرؤوس ويلبسون ملابس كهنوتية بيضاء من الكتان.

إن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعني الدخول في جو غريب كلية، أو ممارسة ثورة فجائية. لقد كانت عملية التحول تتم بلطف، وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعا للأسرار القديمة.

فقد كانت عقيدة الوسيط مألوفة في معتقدات الفرس وأتباع الأفلاطونية الحديثة، وكانت فكرة التثليث معتقدا دينيا شائعا تنبع أساسا مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة هو العدد الكامل»^(١٥٢).

^{١٥٢} من كتاب: «تاريخ أوروبا»، ص ١٠٢ - ١١٥.

ونريد أن نسجل هنا كلاما مهما لعلماء المناظرة؛ كما في (ص: ٦٣) من كتاب «المناظرة بين النصرانية والإسلام»: «إن الشواهد القرينة تبين أن تحول المسيحي من طائفة مسيحية إلى أخرى يمكن أن يحدث دون ضجة، وذلك لاشتراك تلك الطوائف في أصول عقائدية كثيرة. لقد بينت الشواهد البعيدة - في الزمن - أن تحول أصحاب العقائد التي شاعت في العالم الروماني الوثني إلى المسيحية كان يرجع بالدرجة الأولى إلى التشابه الكبير بين أصول تلك العقائد والعقيدة المسيحية التي شاركتها فكرة الإله المتجسد وأفكارا وطقوسا أخرى سوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل فيما بعد.

ويقول أرنست كيلت في كتابه «مختصر تاريخ الديانات»: «إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد (المسيحية) - على سبيل المثال - وبين طقوس التطهير في ديانة أتيس وأدونيس لتصادم كل دارس؛ لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة في جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الديانات الأخرى.

ولسوف أعطي هنا ملخصاً لأسطورة أتيس وطقوس عبادته لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق في المسيحية بل لأنه كان منتشرًا في أغلب الإمبراطورية الرومانية. لقد حدثت قيامة أتيس في يوم الخامس والعشرين من مارس بدء الربيع وهو نفس اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين!؛ كذلك فإن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثرا، والمسيحية مذهلة!

إن المثريّة لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الرباني، ومن الصعب التفريق بينها وبين ما في عقيدتنا المسيحية، ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد، ولها عيد القيامة» (١٥٣) (١٥٤).

وإليك بعض الأمثلة لنفاق بولس وتلونه كالحرباء:

فعندما يتكلم بولس مع اليهود يحترم الشريعة ويقدسها!، وعندما يتكلم مع غير اليهود يطعن فيها ويسفها ويلغيها!؛ فإذا تكلم مع اليهود؛ يحترمهم ويقدمهم أولاً:

رومية (١٦/١): «لَأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لَأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ».

رومية (١٠/٢): «وَمَجْدٌ وَكَرَامَةٌ وَسَلَامٌ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلَاحَ: الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ».

- وإذا تكلم مع غير اليهود؛ يخالف دين اليهود وشريعتهم:

غلاطية (٢/٥): «هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ اخْتَسَمْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا!».

أما تحول المسيحي إلى الإسلام فإنه يعتبر انقلاباً في حياته ومعتقداته لأنه غير مفاهيم وعقائد كثيرة ترسبت في عقله ووجدانه انتهى.

^{١٥٣} من كتاب: «مختصر تاريخ الديانات»، ص ١٣٠ - ٢٦٢.

^{١٥٤} مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١٥٦).

-ويتكلم مع اليهود فيعظم الشريعة:

رومية (٣١ / ٣): «أَفُتْبِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ تُثَبَّتُ النَّامُوسَ».

-وأما مع غير اليهود؛ فيجعل الناموس لعنة!:

غلاطية (٣ / ١٠): «لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ

كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ».

غلاطية (٣ / ١٢): «وَلَكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، بَلِ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيِّئًا بِهَا».

-ومع اليهود: الأبرار من يعملون بالناموس:

رومية (٢ / ١٣): «لَأَنَّ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللَّهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ».

-ومع غير اليهود ليس بالناموس يكون الإنسان بارًا!:

غلاطية (٢ / ١٦): «إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِالْإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا

نَحْنُ أَيْضًا بِسُوعَ الْمَسِيحِ، لِتَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ

مَا».

غلاطية (٣ / ١١-١٣): «وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللَّهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ «الْبَارَّ بِالْإِيمَانِ

يَحْيَا»... الْمَسِيحُ أَفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عَلَّقَ

عَلَى خَشَبَةٍ».

وعندما ننظر أخاننا إلى هذا النص الأخير نجد أن سوء أدب بولس لم يتوقف عند وصف الشريعة

بأنها لعنة!، بل إنه تجاوز ذلك إلى وصف المسيح أيضا الذي يعتبره إلهه!!؛ بأنه صار لعنة^(١٥٥)!، ثم

^{١٥٥} والحق أن سوء أدبه لم يتوقف عند المسيح بل أساء الأدب مع رب العزة -سبحانه- فقال كما في كورنثوس الأولى (١ / ٢٥): «لِأَنَّ

جَهَالَةَ اللَّهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعَفَ اللَّهُ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!».

يستشهد بنص من العهد القديم سفر التثنية (٢١ / ٢٣)، ولا ندري كيف جاءت الجرأة! على أن يصف إله بأنه ملعون!، فمن الذي لعن الإله! (أي طرده من رحمته!).

وإن المنصف المتجرد ليتساءل عندما يقرأ في ترجمة «فان دايك» قول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٢: ٣): «لِذَلِكَ أُعَرِّفُكُمْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللَّهِ يَقُولُ: «يَسُوعُ أَنَاثِيَا».

ما معنى أناثيا؟!، ولماذا لم يترجم فان دايك هذه الكلمة؟!، ما السر وراء ذلك؟!، حتى رجعت إلى قاموس الكتاب المقدس وإلى الترجمات الأخرى فوجدت في «الترجمة العربية المشتركة» هذا النص مترجماً كاملاً هكذا: «أَمَّا الْآنَ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا مِنْ أَحَدٍ إِذَا أَلْهَمَهُ رُوحُ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ يَسُوعَ مَلْعُونٌ مِنَ اللَّهِ». وفي العربية المبسطة: «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللَّهِ يُمَكِّنُ أَنْ يَلْعَنَ يَسُوعَ!».

نعم الآن فهمت!، لقد تعمد «فان دايك» أن لا يترجم هذه الكلمة حتى لا يفضح بولس الذي لعن المسيح؛ وقال عنه: صار لعنة!، لقد هدم هذا النص «بولس» وفضحه شر فضيحة!، إن بولس لا يتكلم بروح الله، وليس رسولا من عند الله، إنه كذاب ليس إلا!.

وحينما ذكرت ذلك لبعضهم من قبل قال: هذا لا يطعن في إرسالية بولس؛ فإنه كان أحيانا يهذي بلا وعي!! ثم ضرب لذلك مثالا بما ورد في رسالته إلى أهل رومية (٧ / ١٤): «فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ. ١٥ لِأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أَبْغَضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ١٦ فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أَصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٧ فَالْآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا، بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. ١٨ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. ١٩ لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرُّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ٢٠ فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. ٢١ إِذَا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. ٢٢ فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. ٢٣ وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُجَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. ٢٤ وَيُجِئُ أَنَا الْإِنْسَانَ الشَّقِيَّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟».

ولما ذكر لي هذا النص قذف إلى ذهني هذا السؤال: ما فائدة الصلب إذن، وأين الفداء من

الخطيئة؟، ثم أليس بولس مملوءاً من الروح القدس، أم من الخطيئة؟!!!!!!

على كل حال لقد بين لنا هذا النص مدى جنون بولس!، ونحن نعلم أن الله -عز وجل- لا

يرسل مجنوناً!. ولكن بولس له رأي آخر !!!؛ يقول: «أَقُولُ أَيْضًا: لَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنِّي غَيْبٌ. وَإِلَّا فَاقْبَلُونِي

وَلَوْ كَغَيْبٍ، لِأَفْتَخِرَ أَنَا أَيْضًا قَلِيلًا. ١٧ الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ،

فِي جَسَارَةٍ أَلَا فِتْخَارٍ هَذِهِ» (كورنثوس الثانية ١١ / ١٦-١٧).

من هو بولس وكيف آمن بالمسيح؟

ولكن لعلك -أيها القارئ العزيز- تسأل بعد كل هذا!، من بولس هذا؟ ومن أين جاء؟ وكيف

دخل في دين المسيح؟ وهل تلقى وتعلم على يد المسيح، أو تلاميذه شيئاً؟!

الجواب:

لقد كان (بولس = شاول) من أشد الناس عداوة لدين المسيح وأتباعه، مع أنه لم ير المسيح ولو مرة

واحدة!، وأول ذكر له في العهد الجديد كان عند مقتل «استفانوس» أحد تلاميذ المسيح الذي شهد

مقتله شاول؛ وهو راض؛ كما في (أعمال الرسل ٧ / ٥٨): «وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رَجُلَيْنِ شَابِّينَ

يُقَالُ لَهُ شَاوُل. ٥٩ فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ... وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِيًا بِقَتْلِهِ. وَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

اضْطِهَادٍ عَظِيمٍ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّ الْجَمِيعُ فِي كُورِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا

الرُّسُلَ. ٢ وَحَمَلَ رِجَالُ اتَّقِيَاءِ اسْتِفَانُوسَ وَعَمَلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً. ٣ وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى

الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ».

ثم فجأة تحول شاول من عدو لدود إلى قديس؛ بل إلى رسول! ففي (أعمال الرسل ٩ / ١): «أَمَّا

شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهْدُدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ٢ وَطَلَبَ مِنْهُ رِسَائِلَ

إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالًا أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى

أُورُشَلِيمَ. ٣ وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَهُ أَبرَقٌ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، ٤ فَسَقَطَ عَلَى

الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟». ٥ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟». فَقَالَ

الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. صَعِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». ٦ فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحِيرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَأَدْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ». ٧ وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا. ٨ فَتَهَضَّ شَاوُلٌ عَنِ الْأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لَا يُبْصِرُ أَحَدًا. فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ. ٩ وَكَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُبْصِرُ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ».

«إن تاريخ الديانات يشهد لكثيرين كانوا من ألد أعدائها وأعداء النبي، والرسول الذي جاء يدعو لها ثم يتحولون إليها؛ ويصيرون من خير دعايتها، لكن القاعدة الهامة والخطيرة التي شذ فيها بولس هي أنه لم يلتزم بالتعاليم الموجودة في العقيدة الجديدة التي تحول إليها لكنه اختص بتعليم تفرد به ووافق يبشر به، واستطاع بوسائله الخاصة ومهاراته أن ينحي كل التلاميذ جانبا ويتصدر الدعوة بعد أن اكتسح الآخرين»^(١٥٦).

ولكن دعنا نتأمل في قصة تحول بولس هذا التحول الغريب!، وقد وردت هذه القصة في أكثر من موطن في سفر أعمال الرسل، الموطن الأول: في الإصحاح التاسع وقد مر.

الثاني: (٢٢ / ٣): «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرُسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلَكِنْ رَبَّيْتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رَجُلَيْنِ عَمَلَايِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الْأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُورًا لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمْ الْيَوْمَ. ٤ وَأَضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ، مُقَيَّدًا وَمُسَلَّمًا إِلَى السُّجُونِ رِجَالًا وَنِسَاءً، ٥ كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضًا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشِيخَةِ، الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضًا مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلْإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ، ذَهَبْتُ لِاتِي بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا. ٦ فَحَدَّثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوُ نِصْفِ النَّهَارِ، بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ. ٧ فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلًا لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ ٨ فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لِي: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. ٩ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي. ١٠ فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا

^{١٥٦} بتصرف يسير من المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١٥١).

تَرْتَبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ. ١١ وَإِذْ كُنْتَ لَا أَبْصُرُ مِنْ أَجْلِ بَهَاءِ ذَلِكَ النُّورِ، اقْتَادَنِي بِيَدِي الَّذِينَ كَانُوا مَعِي، فَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ».

الثالث: (١٢ / ٢٦): «وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، ١٣ رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ، قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الَّذِينَ مَعِي. ١٤ فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعًا عَلَى الْأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعُبَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاحِسَ. ١٥ فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. ١٦ وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لِأَنِّي نَتَخَبُّكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأْظَهَرُ لَكَ بِهِ، ١٧ مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، ١٨ لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ».

هذه هي الروايات الواردة في سفر أعمال الرسل لقصة تحول بولس!، وبقليل من التأمل في هذه الروايات وبعقد مقارنة بينها يظهر لنا عددا من التناقضات التي تقضي بردها جملة وتفصيلا!

فحينما ننظر في كل الروايات نجد أنها اتفقت على النور الذي أبرق حوله والصوت الذي ناداه من السماء، ولكن الذين معه هل سمعوا الصوت ورأوا النور أم لا؟!

في (٩): «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا». ولكن في (٢٢): «وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي».

وفي (٢٦): لم يذكر شيئا عنهم.

فهل هم سمعوا ولم يروا؟!، أم رأوا ولم يسمعوا؟!

السؤال الثاني: من الذي سقط على الأرض؟!

في (٩): «فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا»، «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ».

وكذلك في (٢٢): «فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا».

ولكن في (٢٦): «فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعًا عَلَى الْأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي».

فهل سقطوا مع بولس أم وقفوا صامتين يسمعون الصوت؟!

السؤال الثالث: هل أخبره ماذا سيفعل أم سيخبر إذا دخل دمشق؟!

في (٩): «قُمْ وَأَدْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ».

و كذلك في (٢٢): «قُمْ وَأَذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرْتَبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ».

ولكن في (٢٦): «وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي هَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لِأَتَخْبِكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا

رَأَيْتَ وَبِمَا سَأْطَهَرْتُ لَكَ بِهِ، ١٧ مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ،

١٨ لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي

غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ».

السؤال الرابع: كيف استطاع بولس أن يقول ليسوع: «يا رب»؟

في (٩): «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟».

و كذلك في (٢٢): «مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبُّ؟».

ولم يرد ذلك في (٢٦).

والإشكال في ذلك أنه قال هذه الكلمة قبل أن يمتلأ من الروح القدس!، وقد جاء في كورنثوس

الأولى (١٢ / ٣): «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبُّ» إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» وأما امتلاء بولس

بالروح القدس فكان بعد دخوله دمشق بثلاثة أيام (أعمال الرسل ٩ / ١٠-١٨).

السؤال الخامس: هل فعلا أخذ بولس رسالة من الشيوخ، ورؤساء الكهنة؟!

في (٩): «فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ٢ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ».

وفي (٢٢): «كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضًا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشِيخَةِ، الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضًا مِنْهُمْ رَسَائِلَ

لِلْإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ».

وفي (٢٦): «وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ»

إذا اتفقت الروايات الثلاثة أنه أخذ الرسالة من جميع المشايخ ورؤساء الكهنة، وهم جميعاً يشهدون له!، وبداهة لا بد أن يعرفهم ويعرفوه!، ولكن عندما ننظر في سفر أعمال الرسل (٢٣ / ٢): «فَأَمَرَ حَنَانِيَّا رَئِيسَ الْكَهَنَةِ، الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ عَلَى فَمِهِ. ٣ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ بُولُسُ: «سَيَضْرِبُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْخَائِطُ الْمُبِيضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ، وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُحَالِفًا لِلنَّامُوسِ؟». ٤ فَقَالَ الْوَاقِفُونَ: «أَتَسْتَمُ رَئِيسَ كَهَنَةٍ اللَّهِ؟» ٥ فَقَالَ بُولُسُ: «لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لَا تَقُلْ فِيهِ سُوءًا».

وهذه إما أن تكون إحدى كذبات بولس أنه لا يعرف رئيس الكهنة وهو يعرفه!، وإما أن يكون صدق أنه لا يعرفه، وبالتالي يكون كذب في أنه أرسل من قبل رئيس الكهنة وجميع المشيخة!!

والأمر كله يدور على الكذب وبه كان!، فهذه قصة مضطربة متناقضة، ولو حدث أن ظهر لبولس شيء فعلاً؛ فإنه الشيطان الذي يظهر في صورة ملاك النور!؛ كما في كورنثوس الثانية (١١ / ١٣): «لِأَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَهُ مَآكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شَبهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. ١٤ وَلَا عَجَبَ. لِأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شَبهِ مَلَائِكَةِ نُورٍ! ١٥ فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَامِ لِلْبَرِّ. الَّذِينَ نَهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ».

ما أروع هذا النص الذي يظهر الحقيقة في أبهى صورها!.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فبولس لم يلتق تعاليمه إلا من الشيطان إذ لم يلتق بالمسيح ولم يتعلم منه ولا من تلاميذه كما قال في غلاطية (١ / ٥): «وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللَّهُ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، ١٦ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِابْتِشَارِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَمًا، ١٧ وَلَا صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ. ١٨ ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَتَعَرَّفَ بِبَطْرُسَ، فَامْكَنْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. ١٩ وَلَكِنِّي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ».

فمن أين تلقى تعاليمه إذ لم يلتق بالمسيح في حياته؛ ولم يتعلم من تلاميذه، ولم يلتق بهم إلا بعد ثلاث سنوات من دعوته!، ولما أراد أن يدخل عليهم رفضوه وخافوا منه؛ ولم يصدقوا أنه واحد منهم

لولا شفاعة برنابا!؛ كما في سفر أعمال الرسل (٩ / ٢٦): «وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلَامِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تَلَمِيذٌ. ٢٧ فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَخْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ».

والسؤال: من أين علم برنابا ما حدث؟!.

قالوا: بإلهام الروح القدس!، قلنا: فلماذا لم يأت الروح القدس للتلاميذ، ويخبرهم؛ كما أخبر

برنابا؟!!!

لا نقول إلا كما روي عن المسيح: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» متى (١١ / ١٥)، بل خير الكلام

كلام ربنا -سبحانه- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

الفصل الخامس: مباحث في التكفير

إن هذا الفصل هو بيت القصيد، وهو المراد أصالة بالبحث؛ ولما كان الأمر كذلك؛ فضلا عن خطورة أمر التكفير في ذاته؛ - فكيف إذا أضيف إليه ملابسات الزمان المحيطة به؟! -؛ كان - حينئذ أشدَّ خطورةً، وأكدَّ وُجُورَةً؛ ولكنّا على الله نَعتمد، وإليه نستند، ومنه - جل وعز - نستمد!.
توطئة:

ولما كانت القاعدة عند أهل العلم كافة؛ أن الحكم على شيء فرع عن تصوّره؛ كان لابد من تصوّر صادق للتكفير من حيث هو؛ لغة، واصطلاحاً، وأنواعه، وأنواع الكافرين، وما يترتب على ذلك من أحكام؛ وذلك لأنّ التصور الذي هو حصول صورة الشيء في العقل^(١٥٧) على نوعين: تصور صادق، وتصور كاذب^(١٥٨)؛ فصورة الشيء في الذهن قد تكون صحيحة؛ فينبني عليها حكم صحيح؛ وقد تكون صورة خاطئة؛ فينبني عليها حكم خاطئ؛ لا محالة؛ وكم أدى التصور الكاذب الخاطئ إلى خلل في العلم، وخطل في العمل!، ومن ذلك أن يتصور تكفيرا ما ليس بتكفير؛ كالذين يكفرون المسلمين بغير حق، ولا موجب باسم الحاكمية تارة، والولاء للكفار تارات!، وغير ذلك مما لو فُحص وُجد وراءه جراحات وثرات؛ فتحكمت العاطفة في الحكم؛ فخرج خداجا مشوها.

ومثل ذلك -أيضا- أنهم ظنوا أن كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه؛ فلم يعذروا بجهل، ولا خطأ، ولا تأويل!.

^{١٥٧} انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٥٩).

^{١٥٨} انظر: الكليات للكفوي (ص: ٢٩٠).

وأشد من ذلك، وأنكى تصورهم الكاذب الخاطيء؛ أن كل كافر يقتل!، ولم يفرقوا بين مرتدٍ، وأصليٍّ، وبين حربيّ، وغير حربيّ! ؛ فاستحلوا الدم الحرام المعصوم؛ بالرأي المذموم، والتصور الموهوم!.

ولتجلية هذه الحُلُكَة الفكرية، وهذا الظّلام العقليّ؛ لابدّ من بيان ما هو الكفر، وما أنواع الكافرين، وما يترتب على ذلك.

الكفر لغته، واصطلاحاً

الكفر: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية^(١٥٩)، و«أما الكافر، فهو من قولك: كفرت الشيء إذا غطيته، ومنه يقال: تكفر فلان في السلاح إذا لبسه. وقال بعضهم: ومنه كافور النخل وهو قشر الطلعة تقديره فاعول لأنه يغطي الكفري. ومنه قيل: ليل كافر لأنه يستر كل شيء...» انتهى^(١٦٠).

«وَالْكَفْرُ ضِدُّ الْإِيمَانِ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ نَحْوُ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾.

وَضِدُّ الشُّكْرِ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ يُقَالُ: كَفَرَهُ كَفُورًا أَيْ: كَفَرَانَا وَيُقَالُ: كَفَرَ الْمُنْعَمُ وَالنِّعْمَةُ وَلَا يُقَالُ: كَفَرَ بِالْمُنْعَمِ وَالنِّعْمَةُ.

وَالْكَافِرُ: اللَّيْلُ، وَالْبَحْرُ، وَالْوَادِي الْعَظِيمُ، وَالنَّهْرُ الْكَبِيرُ، وَالسَّحَابُ الْمَظْلَمُ، وَالزَّرْعُ، وَمَنْ الْأَرْضُ مَا بَعْدَ مِنَ النَّاسِ.

وَالْكَفْرُ: تَغْطِيَةٌ نَعَمَ اللَّهُ بِالْجُحُودِ، وَهُوَ فِي الدِّينِ أَكْثَرُ.

وَالْكَفْرَانُ: أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا فِي جُحُودِ النُّعْمَةِ، وَالْكَفُورُ فِيهِمَا جَمِيعًا.

وَالْكَفَارُ: فِي جَمْعِ الْكَافِرِ الْمُضَادُّ لِلْإِيمَانِ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَالْكَفْرَةُ فِي جَمْعِ كَافِرِ النُّعْمَةِ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا.

وَالْكَفْرُ: مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ لِأَنَّ شَرِيْعَةَ مُحَمَّدٍ هِيَ الْحَقُّ بِلَا شَكٍّ وَالنَّاسُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا فَرَقَتَانِ: فَرَقَةٌ تَقْرُبُهَا وَهِيَ الْمُؤْمِنُونَ قَاطِبَةً، وَفَرَقَةٌ تَنْكَرُ بِأَجْمَعِهِمْ وَهِيَ الْكَفَّارُ كَافَّةً فَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ كَامِلَةُ الْوَاحِدَةِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَصَارُوا كَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ... وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ: الْكَفْرُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَمْنَعُ الْمُتَصِفَ بِهِ

^{١٥٩} انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

^{١٦٠} غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٢٤٧).

من الْأَدَمِيِّينَ عَنْ مَسَاهِمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الْمُخْتَلَفَةِ بِهِمْ، وَهُوَ مَطْرَدٌ وَمَنْعَكْسٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ.

وَالْكَفْرُ إِذَا كُفِرَ انْكَارٌ وَهُوَ أَنْ يَكْفُرَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَأَنْ لَا يَعْتَرِفَ بِمَا يَذْكُرُ لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ.

أَوْ كُفْرٌ جَحُودٌ: وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ بِقَلْبِهِ وَلَا يَقْرَ بِلِسَانِهِ كَكُفْرِ إِبْلِيسَ أَوْ كُفْرٍ عِنَادٍ: وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ بِقَلْبِهِ وَيَقْرَ بِلِسَانِهِ وَلَا يَدِينُ بِهِ كَكُفْرِ أَبِي طَالِبٍ.

أَوْ كُفْرٌ نِفَاقٌ: وَهُوَ أَنْ يَقْرَ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ.

وَالْجَمِيعُ سِوَا فِي أَنْ مِنْ لَقِيَّ اللَّهُ تَعَالَى بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَغْفِرُ لَهُ...

وَالْكَافِرُ: اسْمٌ لِمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ، فَإِنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ فَهُوَ الْمُنَافِقُ، وَإِنْ طَرَأَ كُفْرُهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ فَهُوَ الْمُزْتَدُّ، وَإِنْ قَالَ بِالْهَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فَهُوَ الْمُشْرِكُ، وَإِنْ كَانَ مُتَدِينًا بِبَعْضِ الْأَدْيَانِ وَالْكِتَابِ الْمَنْسُوخَةِ فَهُوَ الْكِتَابِيُّ، وَإِنْ قَالَ بِقَدَمِ الدَّهْرِ وَإِسْنَادِ الْحَوَادِثِ إِلَيْهِ فَهُوَ الدَّهْرِيُّ، وَإِنْ كَانَ لَا يَثْبِتُ الْبَارِي فَهُوَ الْمُعْطَلُ، وَإِنْ كَانَ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ يَبْطِنُ عَقَائِدُ هِيَ كُفْرٌ بِالْإِتِّفَاقِ؛ فَهُوَ الزَّنْدِيقُ...» انتهى^(١٦١).

إذا ما تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى الْكُفْرِ لُغَةً، وَاصْطِلَاحًا؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْكُفْرَ اسْمٌ شَرْعِيٌّ ثَبَتَ بِالشَّرْعِ =
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الصَّحِيحَةِ، وَعَلَيْهِ فَالْكَافِرُ مَنْ كُفِرَ اللَّهُ، وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَلَيْسَ
الْكَفْرُ حَقًّا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، بَلْ هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ -تَعَالَى-؛ وَحَقُّ رَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَمَنْ
قَضَى اللَّهُ -تَعَالَى-، وَرَسُولُهُ بِكُفْرِهِ؛ فَهُوَ الْكَافِرُ؛ وَإِلَّا فَلَيْسَ بِكَافِرٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَا لَيْسَ بِإِسْلَامٍ؛ فَهُوَ
ظُلَامٌ، وَكُفْرٌ.

^{١٦١} الكليات للكفوي (ص: ٧٦٣)

قال علماء مجمع البحوث في تفسيرهم الوسيط (١/ ٥٣٦):

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ الآية؛ المعنى: إن الملة المرضية عند الله - هي الإسلام.. فلا يقبل من أحد دين غيره ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ فليس لأحد من أهل الكتاب أن يتمسك بملته بعد ما أنزل الله دستوره القرآن ناسخاً لما قبله من الأديان والشرائع، كما أنه ليس للمشركون أن يتمسكوا بشركهم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ فلا يرضاه الله لأحد ديناً. وكما أن الإسلام هو دين هذه الأمة الذي رضىه الله لها، فهو دين جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم من قبل محمد، فهو دين الله دائماً في جميع الأزمان، لاشتغاله على توحيده تعالى وتنزيهه عن الصاحبة والولد، واحتوائه على أصول الشرائع المشتركة بينهما.. أما الفروع، فإنها مختلفة، تبعاً لاختلاف الأمم» انتهى.

وقال شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي تفسيره الوسيط (٧/ ٤٦٣) عند قوله -تعالى-:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

«أي: قل لهم -أيضاً- أيها الرسول الكريم: كما أنه لا يستوي في عرف كل عاقل الأعمى والبصير، والظلمات والنور، فكذلك لا يستوي الكفر والإيمان، فإن الكفر انطмас في البصيرة، وظلمات في القلب، أما الإيمان فهو نور في القلب وإشراق في النفس.

فالمراد بالأعمى الكافر وبالبصير المؤمن، كما أن المراد بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان.

وعبر القرآن الكريم في جانب الظلمات بصيغة الجمع، وفي جانب النور بصيغة الأفراد، لأن النور واحد ومن نتائجه الكشف والظهور. وتعدد أسبابه لا يغير حقيقته.

أما الظلمة فإنها متنوعة بتنوع أسبابها، فهناك ظلمة الليل، وهناك ظلمة السجون، وهناك ظلمة القبور، وهناك ظلمة العقول التي كان من نتائجها تعدد أنواع الكفر والضلال، كما هو الحال في شأن اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الذين انحرفوا عن طريق الحق» انتهى.

أنواع الكفر:

قد سبق في كلام الكفوي ذكر أنواع الكفر والكافرين؛ ولزيادة البيان؛ «يمكن تقسيم مواقف الناس الكفرية من الدين الحق إلى خمسة أنواع من الكفر:

١ - كفر التكذيب والجحود. وذلك يعم كل من كذب الرسل في الباطن، وهو حقيقة المكذب. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأنعام ٢١].

أما من كذب الرسل في الظاهر، وهو يعلم صدقهم في الباطن، فهذا هو الجاحد، وهذا حال كثير من المكذبين للرسل، خاصة ممن عاينوا آيات الأنبياء. قال تعالى عن فرعون وملائته: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل ١٤]. وقال عن مشركي مكة: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام ٣٣].

٢ - كفر الإباء والاستكبار. وذلك بأن يعلم الحق ويعرفه، ويتكبر عن الانقياد والاذعان. وذلك مثل كفر إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة ٣٤].

٣ - كفر الشك. الذي يناقض التصديق واليقين، ومن هذا الجنس كفر صاحب الجنة. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف ٣٥]، وقد جعل الله الريب، وهو الظن والشك من الكفر الموجب دخول النار. قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق ٢٤، ٢٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبا ٥٤].

٤ - كفر الإعراض. وهو أن يعرض عن الحق فلا يسمعه ولا يقبله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة ٢٢].

٥ - كفر النفاق. وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر. قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿المنافقون ١ - ٣﴾ .

فهذه الأقسام الخمسة التي ينقسم إليها كفر الكفار من ناحية موقفهم من الشرع والدين الحق. أما كفرهم من ناحية انتماءاتهم الدينية، فكل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر، ويمكننا أن نقسمهم من ناحية مذاهبهم إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - مشركون: وهم كل من عبد غير الله تعالى من الأصنام والأوثان وغيرها.
 - ٢ - أصحاب ملة: وهم كل من انتمى إلى ملة غير ملة الإسلام، كاليهودية والنصرانية أو المجوسية أو البوذية بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
 - ٣ - ملاحدة: وهم كل من لم يؤمن بدين، وإنما يعتقد الإلحاد.
- فهؤلاء كلهم كفار، والواجب تكفيرهم. وهذا من المعلوم المجمع عليه، لدلالة الآيات في ذلك وصراحتها. ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران ١٩] ^(١٣٣).

قال شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي:

«ثم بين - سبحانه - أن كل من يطلب دينا سوى دين الإسلام فهو خاسر فقال - تعالى -: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» .

أي: ومن يطلب دينا سوى دين الإسلام الذي أتى به محمد - عليه الصلاة والسلام - فلن يقبل منه هذا الدين المخالف لدين الإسلام، لأن دين الإسلام الذي جاء به محمد، هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال - تعالى - «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»؛ ولأنه هو الدين الذي ختم الله به الديانات، وجمع فيه محاسنها.

أما عاقبة هذا الطالب لدين سوى دين الإسلام فقد بينها - سبحانه - بقوله: «وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» .

^{١٣٣} أصول مسائل العقيدة عند السلف (٢ / ٤٧).

أي وهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم بحرمانهم من ثواب الله، واستحقاقهم لعقابه جزاء ما قدمت أيديهم من كفر وضلال»^(١٦٣).

وقال: «وقد جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة للرسالات، وجامعة لكل ما فيها من محاسن فوجب الإيمان بها، وإلا كان الكفر به كفرا بجميع الرسالات السابقة عليها»^(١٦٤).

تنبيه:

«ما سبق ذكره هو في الكفار الأصليين، أما من كان مسلماً فإن إسلامه ينتقض بكل فعل أو اعتقاد أو قول أطلق الله تعالى أو رسوله عليه الصلاة والسلام على من صدر منه الكفر، مع أن حقيقة الفعل يناقض أصل الدين أو يضاده، أو يتضمن تكذيب الله تعالى أو تكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو الاستهزاء أو السب لله تعالى أو رسوله عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك...» انتهى^(١٦٥).

وأمر المرتد، فحكمه ظاهر متناثر في كتب الفقه والاعتقاد؛ قال العلامة رشيد رضا: «ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن المرتد عن الإسلام شر من الكافر الأصلي»^(١٦٦).

ومن وقع في ذلك - عياذا بالله - فقد حبط عمله؛ إلا أن يرجع، ويتوب؛ قال شيخ الأزهر السابق

في تفسيره الوسيط (١/ ٤٧٧):

«كذلك من الأحكام التي أخذها العلماء من الآية أن الردة تحبط العمل في الدنيا سواء أ مات المرتد على كفره أم عاد إلى الإسلام قبل موته بدليل قوله - تعالى - في آية أخرى ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فقد علق الحبوط بمجرد الشرك، والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته لاستحالة الشرك عليه. وعلى هذا الرأي سار المالكية والأحناف.

ويرى الشافعية أن الردة تحبط العمل في الدنيا متى مات المرتد كافراً، لأن الآية تقول:

^{١٦٣} التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ١٧٠)

^{١٦٤} السابق.

^{١٦٥} أصول مسائل العقيدة عند السلف (٢/ ٤٧).

^{١٦٦} تفسير المنار (١٠/ ٤٤٢).

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ويظهر أثر الخلاف فيمن حج مسلماً، ثم ارتد ثم أسلم، فالأحناف والمالكية يوجبون عليه إعادة الحج لأن الردة أحبطت حجه. والشافعية يقولون: لا حج عليه لأن حجه قد سبق والردة لا تحبط العمل إلا إذا مات الشخص كافراً. ولكل فريق أدلته المبسوطة في كتب الفقه.

وبعد أن بين -سبحانه- عاقبة من يرتد عن دينه أتبع ذلك ببيان عاقبة المؤمنين الصادقين فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ انتهى.

أنواع الكافرين:

من الأهمية بمكان أن تعلم -عزيزنا القارئ- أن الكافرين ليسوا على درجة واحدة، وأنه ليس معنى أنه كافر أنه يقتل؛ لا؛ بل يُدعى إلى دين الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن؛ قال -تعالى-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولابد أن تعلم أن الله -جل وعز- خلق الناس فريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾؛ وهم المؤمنون، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾؛ وهم الكافرون؛ قال - سبحانه - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

واعلم أن الكفار على قسمين :

١ _ كافر أصليّ، وهو كل من ليس بمسلم.

٢ _ وكافر غير أصليّ؛ وهو كل مسلم ارتد عن دينه.

ثم اعلم أن الكافر الأصليّ على قسمين كذلك:

١ _ كافر حربيّ.

٢ _ وكافر غير حربيّ؛ وهو المعاهد، والمستأمن، والذميّ.

فأما الحربيّ المقاتل الذي يقاتل المسلمين؛ فإنه يحارب، ويقاقل؛ بخلاف من ليس بحربيّ؛ وهذا أمر

متقرر شرعا، وعقلا؛ يلخص ما مضى قول العلامة رشيد رضا في تفسير المنار (٥ / ٢٧٠):

«والكافر الحربيّ - غير المعاهد والمستأمن والذميّ - من إذا لم تقتله قتلَكَ إذا قدر على قتلِكَ» انتهى.

وقال -أيضا- في تفسير المنار (٨ / ١٦٦):

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي والخامس مما أتوه عليكم من وصايا ربكم ألا

تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بالإسلام أو عقد الذمة أو العهد أو الاستئمان، فيدخل في عمومها

كل أحد إلا الحربيّ.

ويطلق العهد على الثلاثة، ومنه ما ورد في النهي عن قتل المعاهد وإيذائه، كقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا» رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وقوله: ﴿إلا بالحق﴾ هو ما يبيح القتل شرعاً؛ كقتل القاتل عمداً بشرطه انتهى.

وفصل شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط؛ فقال (٤/ ١٩٥):

«وهنا قد يرد سؤال وهو: إن الآيات الكريمة وما يشبهها من الآيات القرآنية تؤكد النهي عن موالاة غير المسلمين ومودتهم فهل هذا النهي على إطلاقه؟

والجواب عن ذلك أن غير المسلمين أقسام ثلاثة: القسم الأول: وهم الذين يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم ولم يبدر منهم ما يفضي إلى سوء الظن بهم.

وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولا مانع من مودتهم والإحسان إليهم كما في قوله - تعالى - : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

والقسم الثاني: وهم الذين يقاتلون المسلمين، ويسئون إليهم بشتى الطرق وهؤلاء لا تصح مصافاتهم، ولا تجوز موالاتهم، وهم الذين عناهم الله في الآيات التي معنا وفيما يشبهها من آيات كما في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

والقسم الثالث: قوم لا يعلنون العداوة لنا ولكن القرائن تدل على أنهم لا يحبوننا بل يحبون أعداءنا، وهؤلاء يأمرنا ديننا بأن نأخذ حذرنا منهم دون أن نعتدى.

ومهما تكن أحوال غير المسلمين فإنه لا يجوز لولى الأمر المسلم أن يوكل إليهم ما يتعلق بأسرار الدولة الإسلامية. أو أن يتخذهم بطانة له بحيث يطلعون على الأمور التي يؤدى إفشاؤها إلى خسارة الأمة في السلم أو الحرب.

وبعد أن حذر- سبحانه- المؤمنين من ولاية اليهود والنصارى، عقب ذلك بنداء آخر وجهه إليهم، وبين لهم فيه أن موالاة أعداء الله قد تجر إلى الارتداد عن الدين...».

فإذا تقرر ذلك عندك؛ فقد تبين لك أنه ليس كل كافر يستباح دمه؛ ولك في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة؛ وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي^(١٦٧)؛ وهذا فيه أنه يعيش معه في المدينة - وفي آخر حياته - يهودا!، وغير ذلك كثير؛ من فعل البشير النذير - صلى الله عليه وسلم -؛ نعم قاتل المقاتلين، وحارب المحاربين!، ولكن -أيضا؛ وهو أكثر- سالم المسلمين، وكذلك أصحابه -رضي الله عنهم- ولولا ذلك ما بقي على وجه الأرض -أو على الأقل في بلاد المسلمين- سوى المسلمين، ولكنهم بإجماع ما قتلوا كل كافر، ولا استباحوا دم كل من ليس بمسلم.

إذا تقرر لك ذلك؛ فإلى بيت القصيد، وحجر الزاوية في هذا البحث.

^{١٦٧} البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣)، وغيرهما.

تكفير علماء الأزهر للنصارى

وبعد!؛ فإننا نظن -أخانا القارئ- أن الحكم بكفر النصارى صار من أوضح الواضحات -مع عدم الخلط بين التكفير، والتقتيل-؛ بحيث لا يحتاج إلى مزيد بيان، ولكننا مع ذلك سنجمع لك ما تنائر من كلام علماء الأزهر؛ فيما نقلناه لك في كتابنا هذا؛ من صريح قولهم -أي علماء الأزهر- بكفر النصارى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

جاء في التفسير الوسيط لعلماء مجمع البحوث (١/ ٥٧٩):

«والنصارى -بعد أن رفع الله عيسى- انقسموا فرقا وشيعا: فمنهم من آمن به، على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته. ومنهم من غلا فيه فيجعله ابن الله. ومنهم من قالوا: هو الله. وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة.

وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، ورد على من عدا الفرقة الأولى، التي تعتبر متبعة لرسولها، في تنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك.

وهذه هي العقيدة السليمة التي جاء بها المرسلون جميعا، وكل من دان بها، فهو تابع لرسوله؛ كما هو تابع لجميع المرسلين وأصحابهم هم المؤمنون. ومن عداهم فهم كفرون... وقد انقرض المؤمنون المتبعون لما جاء به عيسى -عليه السلام- وأصبح جميع النصارى قبل بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يؤلهون عيسى، ويقولون: هو ابن الله. أو هو الله. أو هو ثالث ثلاثة.

وعلى أي حال كانت عقيدة النصارى في عيسى، فإنهم -منذ البعثة المحمدية- لا يعتبرون متبعين لعيسى -عليه السلام- إن كفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فقد بشر به عيسى، وأوجب عليهم تصديقه؛ فإذا زال عنهم وصف اتباعهم لعيسى -عليه السلام- بكفرهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أو عدم دخولهم في الإسلام؛ فقد زال استحقاقهم لوعد الله، بأن يجعل من يتبع عيسى، فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة لسببين:

أحدهما: كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبدينه.

وثانيهما: عقيدتهم الباطلة في عيسى.

وكلا السبيين: مخرج لهم عن اتباعهم لعيسى -عليه السلام- مستوجب لحرمانهم من وعد الله أن يكون متبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. فإنهم -بما جَنَوْا- أصبحوا كافرين.

فانتقل وعد الله لعيسى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ من النصارى إلى المحمديين، الذين هم -باتباعهم محمداً عليه الصلاة والسلام- يعتبرون متبعين لعيسى أيضاً: فيما جاء به من التوحيد وأمّهات الشرائع والأحكام، التي يشترك فيها جميع المرسلين.

ولهذا، ترى المسلمين ظهروا على من عداهم: بالحجة التي لا ترد، والبرهان الذي لا يقهر؛ كما تراهم ظهروا عليهم، في الجهاد والاستيلاء على الأقطار والبلاد -فقد فتحوا بلاد كسرى وقيصر. وتجاوزوها إلى الصين والهند شرقاً، وإلى غرب أوروبا وشمال إفريقيا وجنوبها. ولا تجد قارة من القارات، ولا قطر من الأقطار، إلا وفيه الكثير من المسلمين. ولا يزال أمر هذا الدين مستقيماً حتى تقوم الساعة كما قال - صلى الله عليه وسلم...« انتهى.

وجاء في التفسير الوسيط - لعلماء مجمع البحوث (٢/ ١٠٣٩):

«أرسل الله عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل: يدعوهم إلى التوحيد، والعمل الصالح.

ولما كانت ولادته من غير أب - كما تقدم في سورة آل عمران - غَلَا فيه النصارى. فزعموا أنه: إله أو ابن الله: ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. ولهذا القول الشنيع، حَكَمَ القرآنُ عليهم بالكفر، وردَّ عليهم بما يبطل عقيدتهم بقوله:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

أي: قل لأولئك الكفار يا محمد: مَنْ يقدر أن يمنع الله من شيء أراده .. وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابن مريم وأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا؟ .. لا أحد يستطيع ذلك ... وهم يقرّون به.

وإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولا عن أمه - شيئاً؟. فكيف يكون إلهاً، وهو لا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه؟».

وقالوا -أيضا- في (٢/ ١١٢٤) عند تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ الآية ٧٢ من سورة المائدة، قالوا:

«ذَكَرَ [سبحانه] مَنْ انْحَرَفَ مِنَ النِّصَارِيِّ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَادَّعَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. والمعنى: لقد كفر الذين زعموا من النصارى أن الله هو المسيح ابن مريم. مع أنه بشر والبشر لا يصح أن يكون إلهًا».

وقالوا -كذلك- في (٣/ ١٦٨٩) عند قوله -جل وعز-:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾:

وقد أفادت الآية، أن كلا من اليهود والنصارى كفروا بادعاء البُنوَّة لله تعالى، فأما اليهود فقد زعموا أن عزيرا ابن الله، وأما النصارى فقد زعموا أن المسيح ابن الله»

وقالوا -أيضا- في (٣/ ١٦٩٢) عند قوله -تعالى-:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية؛ لا يزال الكلام متصلاً في عقائد أهل الكتاب التي كفروا بسببها فقد بينت هذه الآية أنهم تجاوزوا زعم البُنوَّة لعزير والمسيح إلى ما هو أشد وهو اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً».

قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط لهم (٢/ ١٠٣٥): «وعبر بقوله: ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ بدلا من قوله: (ومن النصارى)، للإيدان بأنهم على دين النصارى بزعمهم، لا حقيقة الواقع؛ لعدم عملهم بموجب دينهم، ومخالفتهم لما في الإنجيل من التوحيد، والتبشير بنبوَّة مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-».

وقيل: للإشارة إلى أنهم لقبوا أنفسهم بذلك، على معنى أنهم أنصار الله، مع أنهم لا ينصرون -بكفرهم وسوء أعمالهم- إلا الشيطان».

ويقول علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (٢/ ١١٢٧):

«وأما كلمة التثليث: فقد اعترف كبار علماء اللاهوت - في قاموس الكتاب المقدس - أنها: «لم ترد في الكتاب المقدس. ويُظنُّ أن أول من صاغها واخترعها واستعملها، هو ترتليان، في القرن الثاني للميلاد. وقد خالفه كثيرون. ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية. ثم استقر التثليث -بعد ذلك- عند الكنيسة المسيحية، على يد أوغسطينوس في القرن الخامس»^(١٦٨).

ومن هنا يتضح أن التثليث نبت بعد المسيح -عليه السلام- بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على المسيحية الحقّة الموحدة. وبهذا استحق القائلون به الحكم عليهم بالكفر الصريح...
﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا تهديد للقائلين بالتثليث، وإنذار لهم بأن عليهم أن يستجيبوا للوحي السماوي الصادق: الذي يؤيده العقل السليم، والنظر الدقيق. وهو التوحيد. فإن لم يرجعوا إليه، فإن الله سبحانه، سيأخذهم بعذاب مؤلم، جزاء كفرهم القبيح».

وجاء في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين «تفسير آيات من سورة البقرة»
(١/ ٢٢٠)

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾:

﴿هُدَى اللَّهُ﴾: دينه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والهدى بمعنى: الهادي إلى طريق الفلاح في الدنيا والآخرة. وإيراد ﴿الْهُدَى﴾ مع اقترانه بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ يفيد قصر الهداية على دين الله، وينفي أن يكون في دين غير دين الله هدى. وإذا كانت الهداية مقصورة على الدين الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، فكيف يطمع اليهود أو النصارى في أن يتبع ملتهم؟!.

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

^{١٦٨} قاموس الكتاب المقدس ٢٣٢، ٢٣٣.

اللام في قوله: ﴿وَلَيْنَ﴾ تُشعر بأن في الجملة قسماً مقدراً روعياً في صدرها؛ ليفيد تأكيد ما تضمنته من أن متبع أهواء اليهود والنصارى لا يجد من الله ولياً ولا نصيراً. وأهواؤهم: آراؤهم المنحرفة عن الحق الصادرة عن شهوات في أنفسهم.

وفي موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١/ ٣٧٣):

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾:

كان - صلى الله عليه وسلم - يلاطف طوائف من اليهود والنصارى؛ حرصاً على دخولهم في الإسلام، فأخبره الله، وهو علام الغيوب: أنهم مصرون على كفرهم، ولا يرجى منهم الرضا عنه في حال، وجاء الإخبار عن إصرارهم في أقوى وجه من وجوه المبالغة؛ إذ سد كل طريق من طرق رضاهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، إلا طريقاً واحداً هو اتباعه لملتهم، وهذا الطريق نفسه يستحيل من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم منه، فالآية أفادت أنهم مصرون على الكفر إصراراً لا يرجى لهم الرجوع عنه، حتى لا يجهد النبي - صلوات الله عليه - نفسه في دعوتهم، أويقضي وقتاً في ملاطفتهم.

وجاء أيضاً في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١/ ٣٦٦):

«الأنداد: جمع ند، والند: المماثل المكافئ، وفسر في الآية بمعنى: الشريك، فكل من عظم مخلوقاً التعظيم الذي لا يليق إلا بالله تعالى، فقد اتخذ ذلك المخلوق نداً لله، وتناول الآية مشركي العرب؛ لعبادتهم الأصنام، والصابئين؛ لعبادتهم الكواكب، والمجوس؛ لعبادتهم النار، والنصارى؛ لتعظيمهم المسيح - عليه السلام - تعظيماً لا يحق إلا لله».

وكذلك في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٤/ ١/ ١٩٣)

«أمره في الحديث بأن يدعو أهل الكتاب إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وظاهر هذا: أنهم غير مؤمنين بأن الله واحد، أما النصارى، فلأنهم يقولون: إن المسيح ابن الله، وأنه إله، وهذه العقيدة تخرج بهم عن الإيمان الحق، وتجعلهم في حاجة إلى أن يُدعوا إلى توحيد الله قبل أن يُدعوا إلى الإيمان برسوله الكريم.

وأما اليهود، فكانوا يعتقدون في عزير أنه ابن الله هو ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وقد تبرأ بعض اليهود المتأخرين من هذه العقيدة، وبراءتهم هذه لا تقف في صدق الآية الكريمة، فقد نزلت واليهود بالمدينة، وحول المدينة ولم ينقل عن أحد منهم إنكار هذه العقيدة، فليس من شك في أنها كانت معروفة عندهم، ويكفي في صدق الآية أن تكون عقيدة طائفة منهم.

وزيد في كلمة الشهادة: التصديق بالرسالة المحمدية؛ لأن حقيقة الإيمان لا تحصل إلا به، فمن لم يشهد برسالة النبي - صلوات الله عليه - فهو كافر. هذا ما اتفق عليه علماء الإسلام، وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة، ومن دلائله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

وجاء كذلك في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٣ / ١ / ٤٧)

«كان العرب قبل البعثة المحمدية في ظلمات من العقائد الزائغة، والمزاعم الساقطة، والعادات المستهجنة، والأعمال المنكرة.

أما زيغ العقائد، فقد كانوا على ملل ونحل حائدة عن السبيل - منهم: الدهرية الذين لا يؤمنون بإله يدبر العالم... وكانت اليهودية في قوم، والنصرانية في آخرين، وقد طرأ على هاتين الديانتين تحريف بعد بهما عن الصراط المستقيم».

وقال شيخ الأزهر - السابق - محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط (٤ / ٨٦):

«والمعنى: وكما أخذنا على بنى إسرائيل الميثاق بأن يعبدوا الله وحده ويطيعوا أنبياءه، ويستجيبوا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشرت به الكتب السماوية، فقد أخذنا - أيضاً - من الذين قالوا إنا

نصارى الميثاق بذلك، ولكنهم كان شأنهم في الكفر ونقض العهود كشأن اليهود، إذ ترك هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى قدرا كبيرا، ونصيبا عظيما مما ذكروا به على لسان عيسى -عليه السلام- فقد أمرهم بتوحيد الله، وبشرهم بظهور رسول من بعده هو محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإيمان به، ولكنهم استحبوا الكفر على الإيمان، فكان دأبهم كدأب بنى إسرائيل في العناد والضلال» انتهى.

ويقول شيخ الأزهر السابق -أيضا- في التفسير الوسيط (٤ / ٢٣٨):

«وقوله - تعالى - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بيان لما قالته طائفة أخرى من طوائف النصارى الذين يتفرقون في العقائد والنحل، ويتجمعون على الكفر والضلال، فهم شيع شتى، وفرق متنابهة، كل شيعة منهم تكفر الأخرى وتعارضها في معتقداتها.

... والمعنى: لقد كفر الذين قالوا كذبا وزورا إن الله واحد من آلهة ثلاثة، والحق أنه ليس في هذا الوجود إله مستحق للعبادة والخضوع سوى إله واحد وهو الله رب العالمين، الذي خلق الخلق بقدرته، ورباهم بنعمته. وإليه وحده مرجعهم وإياهم.

ثم بين - سبحانه - سوء عاقبة هؤلاء الضالين الذين قالوا ما قالوا من ضلال وكذب فقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله: لَقَدْ كَفَرَ والمراد بانتهائهم: رجوعهم عما هم عليه من ضلال وكفر.

والمراد بقوله: - عَمَّا يَقُولُونَ: أي؛ عما يعتقدون وينطقون به من زور وبهتان أي: لقد كفر أولئك الذين قالوا إن الله ثالث ثالثة كفرا شديدا بينا والحق أنه ليس في الوجود سوى إله واحد مستحق للعبادة، وإن لم يرجع هؤلاء الذين قالوا بالثلاث عن عقائدهم الزائفة وأقوالهم الفاسدة ويعتصموا بعروة التوحيد لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أي: ليصيبن الذين استمروا على الكفر منهم عذاب أليم. فالجملة الكريمة تحذير من الله - تعالى - لهم عن الاستمرار في هذا القول الكاذب. والاعتقاد الفاسد الذي يتنافى مع العقول السليمة، والأفكار القويمة».

وقال - أيضا - كما في التفسير الوسيط له (٤ / ٢٣٧):

«... لقد كفر أولئك النصارى الذين قالوا كذبا وزورا: إن الله المستحق للعبادة والخضوع هو

المسيح ابن مريم.

وقد أكد- سبحانه - كفرهم بالقسم المقدر لأنهم غالوا في إطراء عيسى وفي وضعه في غير موضعه

كما غالت اليهود في الكفر به وفي وصفه بالأوصاف التي هو بريء منها».

وقال -أيضا- في (٤/ ٢٤٤):

«قل يا محمد لهؤلاء الضالين من النصارى وأشباههم في الكفر والشرك قل لهم:

أتعبدون معبودات غير الله - تعالى - هذه المعبودات لا تملك أن تصيحكم بشيء من الضرر كالمرض

والفقر، ولا تملك أيضا أن تنفعكم بشيء من النفع كبسط الرزق ودفع الضرر وغير ذلك مما أنتم في

حاجة إليه».

ثم قال - رحمه الله -: «وقد غالى أهل الكتاب في شأن عيسى - عليه السلام - أما اليهود فقد كفروا

به ونسبوه إلى الزنا وافتروا عليه وعلى أمه افتراء شديدا وأما النصارى فقد وصفوه بالألوهية فوضعه

في غير موضعه الذي وضعه الله فيه وهو منصب الرسالة. وكما غالوا في شأن عيسى عليه السلام - فقد

غالوا أيضا في تمسكهم بعقائدهم الزائفة، مع أن الدلائل الواضحة قد دلت على بطلانها وفسادها».

وقال في (٤/ ٣٤٨):

«والمقصود بالاستفهام في قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ﴾ توبيخ للكفرة من قومه وتبكيته كل من نسب إلى

عيسى وأمه ما ليس من حقهما، وفضيحتهم على رءوس الأشهاد في ذلك اليوم العصيب، لأن عيسى

سينفى عن نفسه أمامهم أنه قال ذلك وإنما هو أمرهم بعبادة الله وحده. ولا شك أن النفي بعد السؤال

أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتفريع وادعى لقيام الحجة على من وصفوه بما هو بريء منه».

وقال - كذلك - في تفسيره الوسيط (٢/ ٥٦) عند قوله - تعالى - :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ

يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ آل عمران.

«أي لا إله في هذا الوجود يستحق العبادة بحق إلا الله العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أرادته، وينتصر من كل أحد عاقبه أو انتقم منه الحكيم في تدبيره فلا يدخله خلل.

قال ابن جرير: «وإنما عنى جل ثناؤه - بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عيسى من النبوة، وما نسب إليه سائر أهل الشرك: من أن له شريكا، واتخاذهم دونه أربابا، فأخبرهم الله عن نفسه، أنه الخالق كل ما سواه، وأنه رب كل ما اتخذ كل كافر وكل مشرك ربا دونه، وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه.

فبدأ - جل ثناؤه - بنفسه تعظيما لنفسه، وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها، كما سن لعبادته أن يبدووا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك» انتهى.

وقال -أيضا- تفسيره الوسيط (٢/ ١٦٩):

«لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» أى لا نفرق بين جماعة الرسل فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل أهل الكتاب، إذ فرقوا بين أنبياء الله وميزوا بينهم وقالوا - كما حكى القرآن عنهم - «نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ» وهم في الحقيقة كافرون بهم جميعا، لأن الكفر بواحد من الأنبياء يؤدي إلى الكفر بهم جميعا، ولذا فنحن معاشر المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء بلا تفرقة أو استثناء.

ويقول علامة الأزهر محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٦/ ٤٠١):

«قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أَكَّدَ تَعَالَى بِالْقَسَمِ أَيضًا كُفْرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، ثَالِثُ أَقَانِيمَ ثَلَاثَةٍ ؛ وَهِيَ: الْآبُ، وَالْإِبْنُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ.

...وأما النصارى المتأخرون فالَّذِي نَعْرِفُهُ مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقَانِيمِ، وَبِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنُ الْآخِرِ، فَالْآبُ عَيْنُ الْإِبْنِ، وَعَيْنُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَمَّا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ الْإِبْنُ كَانَ عَيْنُ الْآبِ وَرُوحِ الْقُدُسِ أَيْضًا، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ بَعْضَ مُتَأَخِّرِي الْمُفَسِّرِينَ يَنْقُلُونَ أَقْوَالَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَيُقَرِّبُونَهَا وَلَا يَبْحَثُونَ عَنْ حَالِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَلَا يَشْرَحُونَ حَقِيقَةَ عَقِيدَتِهِمْ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا بَيَانُ عَقِيدَةِ الثَّلَاثِيَّةِ، وَكَوْنِ النَّصَارَى أَخَذُوهَا عَنْ قَدَمَاءِ الْوَثْنِيِّينَ».

التكفير عند النصارى

قد زعم بعضهم! أن النصرانية دين المحبة^(١٦٩) الذي لا يعرف التكفير، والتفسيق، والتضليل!؛ طاعنا بذلك -يحسب!- في دين الإسلام العظيم؛ والحق خلاف ذلك؛ وهذا الكلام ربما يضحك منه أتباع هذه الديانة أنفسهم!؛ إذ هم على يقين أن التكفير والتضليل لمن خالفهم من أصول دينهم!؛ إذ يعتقدون أنه لا خلاص (من الدينونة والجحيم ولا دخول الجنة) لمن خالف دينهم!، بل إنهم هم أنفسهم مع ما يجمعهم من دين واحد! فإن كل طائفة من طوائفهم تكفر الأخرى وترغم أن لا خلاص إلا لأبناء كنيستهم وطائفتهم، فكيف بمن خالف ديانتهم أصلاً؟!.

قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط لهم (٢/ ١٠٣٥):

«قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: فكان جزاؤهم أن بث الله فيهم العداوة والبغضاء، حتى صارت صفة ملازمة لهم.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة، وعقائدهم المتنافرة.

وقد حدث هذا عبر الأجيال إلى يومنا هذا؛ فكل طائفة من طوائفهم: تُكفِّرُ الأخرى، وتحرم التزاوج منها. وبالرجوع إلى التاريخ، تعرف هذه الحقيقة القرآنية الجليلة، ولا يزالون كذلك إلى يوم القيامة» انتهى.

وهذه الحقيقة التي ذكروها -رحمهم الله- هي ما ستأتيك -إن شاء الله- موثقة بكلامهم؛ ولكن قبلها نذكر لك من نصوص التكفير في الكتاب المقدس بعهديه وهي كثيرة، وإليك شيء منها:

^{١٦٩} يقول القس انطونيوس فكري في تفسير العدد ١٠: «أي نرفض تعليم الهرطقة، وأشخاصهم؛ فلربما حين يشعرون بالعزلة يتوبون؛ ولأن الاندماج معهم هو نوع من الاعتراف بصحة مسلكهم مع أن مسلكهم شرير، وهنا يبدو ظاهرياً أن كلام يوحنا ضد المحبة؛ ولكن نفهم أن محبة يوحنا هي محبة بحسب الحق والكنيسة تعود تعطيهم محبة لو تابوا أما المصريين على هرطقاتهم فالكنيسة تحرمهم».

التكفير في العهد القديم:

في سفر المزامير (٥٨ / ٧) -: «يا الله حطم أضراس الكافرين. هشم أسنانهم في أفواههم يا رب». (الترجمة العربية المشتركة).

وفي سفر إشعياء (١٠ / ٦) -: «أرسلتهم على أمة كافرة، وأطلقتهم في شعب أغاظني، ليسلبوا ثروتهم وينهبوا أرزاقهم ويدوسوهم كوحل الأزقة». (العربية المشتركة).

وفي سفر إشعياء أيضا (٣٣ / ١٤) -: «فزع الخاطئون في صهيون، واجتاحت الرعدة الكافرين. من منا يسكن في النار الآكلة، أو يقيم في المواعد الأبدية؟» (العربية المشتركة).

وفي سفر يشوع سيراخ (١٦ / ٧) -: «في مجمع الخطاة تتقد النار وفي الأمة الكافرة يضطرم الغضب».

وفي سفر المكابيين الأول (٧ / ٩) -: «هو والكيمس الكافر وقد قلده الكهنوت وأمره أن ينتقم من بني اسرائيل».

وفي سفر المكابيين الثاني (٨ / ١٤) -: «وباع آخرون كل ما كان باقيا لهم وكانوا يبتهلون إلى الرب أن ينقذهم من نكانور الكافر الذي باعهم قبل الملتقى».

وفي سفر المكابيين الثاني (١٣ / ٤) -: «ولكن ملك الملوك هيج سخط أنطيوخس على ذلك الكافر». والأسفار الثلاثة الأخيرة هي من الأسفار (الأبوكريفا = المنحول) عند البروتستانت! دون غيرهم!!

التكفير في العهد الجديد:

في إنجيل متى (١٧ / ١٧) -: «فأجاب يسوع: «أيها الجيل الكافر الفاسد، حتام أبقى معكم؟ وإلام أحتملكم؟ علي به إلى هنا!». (الترجمة اليسوعية).

وفي (إنجيل لوقا ١٩ : ٢٧) «أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَاتُّوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قَدَّامِي».

وفي سفر أعمال الرسل (٢/٢٣): «وَحِينَ أَسْلِمَ إِلَيْكُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ الْمَحْتَمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ بِأَيْدِي الْكَافِرِينَ». (العربية المشتركة).

وفي رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس (٤/٣-٤): «فإنما هو محبوب عن الهالكين. أولئك الكفرة الذين أعمى إله هذا الدهر أبصارهم» (الترجمة البولسية).

وقد استدل بهذا النص! الأب كيرلس الإسكندري (الملقب بشارح الإيوان!) في كتابه «الرد على يوليانس»، (ص: ٢٤) قائلا: نجد تأييدا لما قلناه فيما كتبه بولس: «فإنما هو محبوب عن الهالكين. أولئك الكفرة الذين أعمى إله هذا الدهر أبصارهم».

وفي رسالة بطرس الأولى (٤/١٨): «إذا الأبرار يخلصون بعد جهد، فما هو مصير الكافر الخاطيء؟». (العربية المشتركة).

وعليه؛ فمن لا يخلص فهو كافر، فإذا نظرنا في بعض النصوص المتعلقة بالخلاص؛ كما في (إنجيل مرقس ١٦: ١٦) «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ يُدَنَّ».

وفي (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٦: ٢٢) «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيًّا!» (أي: ملعونا) مطرودا من رحمة الله؛ أي لن يُخلص!!.

وفي (رسالة يوحنا الأولى ٤: ٣) «وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحٌ ضِدَّ الْمَسِيحِ».

وفي رسالة يوحنا الثانية (١/ ٩): «كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللَّهُ. وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهَذَا لَهُ الْآبُ وَالابْنُ جَمِيعًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ، وَلَا يَحْيِءُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ، فَلَا تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ سَلَامٌ».

يقول القس انطونيوس فكري في تفسير العدد ١٠: «أي نرفض تعليم الهرطقة، وأشخاصهم؛ فلربما حين يشعرون بالعزلة يتوبون؛ ولأن الاندماج معهم هو نوع من الاعتراف بصحة مسلكهم مع أن مسلكهم شرير، وهنا يبدو ظاهرياً أن كلام يوحنا ضد المحبة؛ ولكن نفهم أن محبة يوحنا هي محبة بحسب الحق والكنيسة تعود تعطيهم محبة لو تابوا أما المصيرين على هرطقاتهم فالكنيسة تحرمهم».

ومصطلح «الهرطقة» هو مصطلح عندهم يطلق على كل ما عدّه الأكثرية خروجاً؛ عما اعتبرته تفاسير، وتأويلات غير صحيحة لمفهوم آيات الكتاب المقدس. وقد انحصر في الدلالة على مذهب ديني لطائفة من الناس تجمعهم مع آخرين رابطة دينية معينة، ولكنهم يتميزون عنهم بآراء مغايرة أو تأويلات خاصة مخالفة، تجعل منهم فرقة أو شيعة في داخل الدين العام. لذا فكلية هرطقة ليست وصفاً موضوعياً، وإنما تنطلق من وجهة نظر من يستخدمها! انتبه لذلك! والهرطقة كلهم كفر كما سيأتي!.

التكفير عند علماء الكنيسة للطوائف النصرانية المخالفة، ولغير النصرانية:

يقول القديس! أثناسيوس الرسولي في المقالة الثانية «ضد الأريوسيين» (ص: ٦٢): «لذا؛ فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذي وجد؛ كأداة لا لزوم له». وعليه فمن اعتقد ذلك؛ فهو من هؤلاء الكافرين، أي إن الكنيسة قد كفرتهم!

ويقول القديس! كيرلس الأورشليمي (الملقب بعمود الدين) يقول في عظات له (أقدم نصوص مسيحية) ص ٣٠٠ يقول :- «في الواقع إن الهرطقة كفر من كل الوجوه» . والمقصود بالهرطقة كل من يخالف اعتقاد وإيمان طائفته! كما مر معنا، وهذا يشمل كل الطوائف النصرانية التي تخالف الطائفة التي ينتمي إليها، فما ظنك بغير النصارى؟!.

ويقول القديس! غريغوريوس النزينزي (اللاهوتي) كما في «سلسلة النصوص اللاهوتية، أقدم النصوص المسيحية خطب ٢٧-٣١» (ص: ٢٢): «من ادعى أن المسيح مرّ في العذراء؛ كما في قناة؛ من

غير أن يتكون فيها إلهياً، وإنسانياً معاً، إلهياً؛ أي بغير وساطة رجل، وإنسانياً؛ أي بحسب نظام الحبل، فقد خرج من العقيدة؛ وكان كافراً».

وفي كتاب «حقيقة التجسد» لثروت سعيد مراجعة وتقديم الأنبا يؤانس زكريا، والقس منيس عبد النور، (ص: ١٧١): «... وعلى هذا الأساس كُفرت المسيحية ما قالته طائفة «اليعقوبية».

وأما الأنبا غوريغوريوس -أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية، والبحث العلمي بالكنيسة الأرثوذكسية- فيتكلم في كتابه «أنت المسيح ابن الله الحي» ص ٨ عن هرطقة «شهود يهوه» التي لا تؤمن بألوهية المسيح، ولا الثالث؛ يقول: «أما شهود يهوه؛ فهم غير مسيحيين، وعلى هذا يجمع الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت، أن مذهب شهود يهوه مذهب يهودي متطرف وصهيوني أيضاً، يبرأ منه جميع المسيحيين ويعتبرونه هرطقة وأضلولة، وكفراً».

وجاء في «أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (سلسلة مقالات الأنبا ساويرس البطريك الأنطاكي ١٨) يوسف حبيب.

«وإذا وجدت من يقسم ربنا، وإلهنا يسوع المسيح، فإنه الدينار المفروض إذ هو منحرف عن السمة الحقيقية باتجاه كافر بازواج الطبيعتين بعد الاتحاد الذي لا ينطق به، في الحال تدبر هذا السؤال: «لن هذه الصورة؟ وسل ألم يكن من الله حقيقة، فإن من يكن كذلك يفصل من الله».

وهذا تكفير للكاثوليك والبروتستانت، وغيرهما من النصارى؛ فضلاً عن غيرهم؛ أي: من غير النصارى!.

والبروتستانت يعتبرون الأرثوذكس والكاثوليك من عباد الأوثان؛ وهذا باعتراف البابا! شنودة الثالث في «اللاهوت المقارن» (ص: ١٧٠): «والمطرفون من البروتستانت يعتبرون الأيقونات من الوثنية».

وهذا تكفير واضح؛ وقال الدكتور حنين عبد المسيح (وكان أرثوذكسياً، ثم صار بروتستانياً) في كتاب «عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية»، (ص: ١٢) قوله: «تعتبر عبادة القديسين (وعلى

رأسهم العذراء القديسة مريم)، والملائكة من أكثر عبادات الأصنام انتشاراً، واستفحالا في الكنيسة الأرثوذكسية في طقوسها، وممارساتها، واجتماعاتها؛ بل وعقيدتها أيضاً.

وبالطبع البروتستانت لن يدخلوا الملكوت عند الأرثوذكس! يقول الأنبا شنودة الثالث في كتابه اللاهوت المقارن (ج ١) الكليّة الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس (ص ٣٣):

«البروتستانت لا يُعمّدون الأطفال، إصراراً على لزوم الإيمان قبل المعمودية، واعتماداً على قول الرب: «مَن آمن واعتمد خلص» (مر ١٦: ١٦)، وأيضاً اعتماداً على أن الطّفل لا يُدرك ماذا يحدث في المعمودية. فكيف تتم المعمودية بدون إيمان وبدون إدراك؟! هذا رأيهم.

أما نحن فنُصرّ على معمودية الأطفال للأسباب الآتية :-

حِرساً منا على أبدية هؤلاء الأطفال، لأنّ الرّب يقول: «إن كان أحد لا يولد من الماء والرّوح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥)، فكيف يُمكن أن نمنع عنهم العِباد؛ فنُعرضهم لهذا الحُكم الإلهي الذي لم يحدث أنّ الرّب استثنى منه الأطفال؛ حينما قال هذا.

ويقول ميخائيل مكسي إسكندر في (١٢٠ سؤالاً وجواباً عن أسرار الكنيسة السبعة)، الجزء الثاني، مكتبة المحبة - ص ٣١. س ١١٨: «لماذا يجب تعميد الأطفال رغم أنّهم يكونون قاصرين عن إدراك الإيمان؛ كما يقول البعض؟!.

-ليس هناك نصّ كتابي يمنع تعميد الأطفال؛ بل يلزم تعميدهم في أقرب وقت مُمكن خوفاً من مرضهم وموتهم فجأة.

-وأنتهم دون المعمودية لن يدخلوا ملكوت السّموات؛ فهي ضرورية للجميع بدون استثناء

للخلاص (مر ١٦: ١٦)، (يو ٣: ٥).

إنّ الأطفال يرثون الخطية الجدّية مثل الكبار تماماً.

من التشابه بين الحتان والمعمودية. وكان الحتان علامة للدّخول في عهد مع الله، وأنّ الطّفل كان

يُختن في اليوم الثامن من ميلاده، والحتان رمز للمعمودية (كو ٢: ١١-١٣) انتهى.

فإذا كان هذا في حق طائفة تؤمن بالتثليث والصلب والفداء وو إلخ فكيف بالمسلمين؟!

وهنا أمر عظيم ربما لا يلتفت إليه الكثير وهو أن الأصل عندهم الكفر ولذلك يعملون على زرع أو صبغ الطفل بالإيمان -زعموا- بتعميده؛ وعليه فهو لم يولد على الإيمان؛ فإذا ما مات الطفل قبل تعميده لم يدخل الملكوت!!؛ أين المحبة هاهنا؟!، بل أين الرحمة؟!، وما ذنب هذا الطفل المسكين ولا خطيئة له بعد؟! وعلام يعاقب بذنب غيره؟! ولم لم يعط الفرصة لغيره؟!

إن المحبة والرحمة والإيمان والتوحيد تجده في دين الإسلام والسلام والأمان والمحبة والرحمة الذي قضى بأن الطفل يولد على الفطرة^(١٧٠) على التوحيد= على الإسلام؛ فإذا مات قبل البلوغ لم يؤخذ لأنه مرفوع عنه القلم حتى يبلغ^(١٧١).

ثم إن هاهنا علم من أعلام النبوة؛ حيث أخبر أن الطفل يولد على الفطرة؛ ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾؛ ولكن أبواه يعملان على تغييرها إلى ما يضادها؛ كما هو واقعٌ منهم سواءً بسواء؛ وهذا من عمل الشيطان^(١٧٢)!.

وفي كتاب « القديس باسيليوس الكبير، حياته أبحاث عنه مواعظه»، (ص: ٣٣١)، جاء عنه فيها قوله: «إنكار الروح القدس هو كفر:

^{١٧٠} عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ...». أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

^{١٧١} عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيْقَ»؛ رواه أبو داود (٤٤٠٢)، وغيره، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٩٧) وغيره.

^{١٧٢} عَنْ عِيَّاضِ بْنِ جِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «... وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَلَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...»، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٥).

الويل لمن؟ وعلى من نحزن يا ترى؟ ومن هو الإنسان الذي يعاني الضيق والبلبله والعذاب؟ ومن يستحق القصاص الأبدى؟ أليس الكفرة؟ أليس جاحدو الإيمان؟... فأى لقب يمكن لأبناء الإيمان أن يلقبوه به؟ هو بالأكد اسم كفره، وخونة وناكري عهد خلاصهم..

وقال القديس! أمبروسيوس (أسقف ميلان) في كتاب شرح الإيمان (ص: ٦٣): «إن آريوس المعلم الأول لهذا التعليم الكفري، يقول: إن ابن الله هو كائن مخلوق تماما».

وعليه؛ فكل من قال إن المسيح مخلوق؛ فهو كافر عندهم، فماذا تعتقد أيها المسلم في المسيح أمخلوق هو؟!..

جوابك معلومٌ قطعاً، وحكمك - عندهم أيضاً - قطعاً!..

وأما كلامهم في سيد ولد آدم النبي الخاتم محمد - صلى الله عليه وسلم - ودينه وكتاب ربه، فإننا ننزه أعينكم عن رؤيته، وننزه أقلامنا عن نسخه، ونقله!، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل في كل من يصحح دين هؤلاء، أو يسكت عن بيان فسادهم، مع الحاجة الماسة إلى بيان ذلك، بل إنهم يجاملون النصارى والنصارى لا يجاملونهم، ويداهنون النصارى والنصارى لا يداهنونهم!، وقد رأينا ورأى غيرنا ذلك على الشاشات يصرحون بكفر المسلمين جهاراً نهاراً، ولا يلقون من المسلمين إلا المداهنة - إلا من رحم الله -؛ فيزدادون طغياناً!، وليس هكذا تورد يا سعد الإبل!!

ولن نطيل بذكر تكفيرهم لغيرهم من اليهودية، والمثلل، والنحل الأخرى؛ فإن ذلك معلومٌ مُسلمٌ به؛ وفيما ذكر كفاية، وغنية.

شبهات حول تكفير النصارى

وبين يدي هذه الشبهات لابد أن تعلم أن الواجب على المسلم أن يتمسك بالمحكمات، وأن يرد إليها المتشابهات؛ قال -تعالى- : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] (١٧٣).

قال علماء المجمع في التفسير الوسيط (١/ ٥١٧):

«أي وفيه آيات أخرى متشابهات، أي غير واضحة الدلالة على معانيها بنفسها؛ فهذه ترجع -في أحكامها ومعانيها- إلى ما تقرر في المحكمات التي جعلت أصلاً، ومرجعاً لأحكام القرآن، ومعانيه المتشابهة. فأطلق عليها: أم الكتاب، من أجل ذلك؛ فكما أن الولد يرجع إلى منبته وأصله وهي أمه؛ فكذلك المتشابهات، ترجع إلى المحكمات، فهي أصلها وأمها ومآلها» انتهى.

وقال شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط (٢/ ٣٠):

«المعنى: لقد اقتضت حكمتنا - يا محمد - أن ننزل عليك القرآن مشتملاً على آيات محكمات هن أم الكتاب، وعلى آخر متشابهات. فأما الفاسقون الذين في قلوبهم انحراف عن طلب الحق، وميل عن المنهج القويم، وانصراف عن القصد السوى فيتبعون ما تشابه منه، أي: يتعلقون بذلك وحده، ويعكفون على الخوض فيه، ولا تتجه عقولهم إلى المحكم ليردوا المتشابه إليه، وإنما يلزمون الأخذ بالمتشابه كما يلزم التابع متبوعه، لأنه يوافق اعوجاج نفوسهم وسوء نياتهم، وتحكم أهوائهم وشهواتهم.

وقد بين - سبحانه - أن اتباع هؤلاء الزائغين للمتشابه إنما يقصدون من ورائه أمرين:

^{١٧٣} وروى البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ...» الحديث.

أولهما: «ابتغاء الفتنة» أي طلبا لفتنة المؤمنين في دينهم، وتشكيكهم في عقيدتهم، وإثارة الريب في قلوبهم بأوهام يلقونها حول المتشابه الذي جاء به القرآن، بأن يقولوا -كما حكى القرآن عنهم- ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وبأن يقولوا: كيف يكون نعيم الجنة، وما حقيقة الروح ولماذا يعذبنا الله على أعمالنا مع أنه هو الخالق لكل شيء، إلى غير ذلك من الشبهات الزائفة التي يثيرها الذين في قلوبهم زيغ طلبا لتشكيك المؤمنين في دينهم.

وثانيهما: «وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» أي: ويتعلقون بالمتشابه ويتبعونه طلبا لتأويل آيات القرآن تأويلا باطلا، وتفسيرها تفسيراً فاسدا بعيدا عن الحق زاعمين أن تفسيرهم هذا هو الحق بعينه، لأنه يتفق مع أهوائهم وشهواتهم وميولهم الأثيمة.

وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد» انتهى.

وقال الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار (٣/ ١٣٥):

«قَالَ الْأُسْتَاذُ [أي: الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في وقته]: وَهَذَا رَدٌّ لِمَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى تَمْيِيزِ عِيسَى عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ؛ إِذْ وَرَدَ فِيهِ أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي اشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ مَعْنَاهَا حَتَّى حَاوَلْتُمْ جَعْلَهَا نَاقِضَةً لِلآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ» انتهى.

إذا ما تقرر عندك ذلك؛ من رد كل متشابه إلى المحكم؛ فإنه يبقى أن من الأمور المهمة التي ينبغي الحديث عنها في هذا الوطن، ما يتردد من شبهات على بعض الألسنة حول تكفير النصارى!، وهي شبهات يصدق عليها قول القائل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقا وكل كاسر مكسور

ومع ذلك فلا بد من ذكرها وتفنيدها ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

(١) _ لماذا تكفرون النصارى؟ وما أهمية ذلك؟

إن أول سؤال يطرح في هذا السياق؛ هو: لماذا تكفرون النصارى، وما أهمية ذلك؟!

الجواب: إن الله هو من حكم بكفرهم وليس نحن، فالتكفير حق لله -عز وجل-، وإنما نحن نخبر بحكم الله -سبحانه- فيهم، وقد كفرهم الله -تعالى- في أكثر من موطن؛ كما مر مثل قوله -جل وعلا-: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٤].

وأما أهمية ذلك فواضحة من كونها :

١ _ عقيدة ثابتة في كتاب الله رب العالمين!، وكلام رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم-؛ ولولا أهميتها لما جاءت فيهما!، ثم هو حكم يجب الإقرار والإيمان به، وإلا فهو تكذيب لكلام الله -جل وعز-، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

٢ _ ثم هو أمر مجمع عليه منذ كانت أمة الإسلام؛ لم يسمع قبل ذلك العصر -وإلى الله المشتكى-؛ والأمة لا تجتمع على ضلالة!.

٣ - وكذلك في القول به الحفاظ على أبناء المسلمين من الكفر والضلال، فبيان كفر النصارى، وأن عقيدتهم عقيدة كفرية هو حفاظ على أبناء المسلمين من الوقوع في ضلالهم واتباع كفرهم، ولو صُحح دينهم؛ لكان في ذلك مندوحة لكل أحد أن يترك دين الله ويدخل في دينهم!.

٤ - وأيضاً حرصاً على أهل هذه العقيدة الفاسدة من الموت عليها، ومن ثم الخلود في النار!، فإنه إذا اتضح لطالب الحق منهم فساد عقيدته تركها واعتقد الحق، والذي يحكم بصحة عقيدتهم هو يغشهم، ويخدعهم وهو أضر عليهم من إبليس!.

(٢) _ أليس النصارى من أهل الكتاب؟

ومما يتردد على بعض الألسنة قولهم، كيف تكفروهم وهم من أهل الكتاب، وناداهم الله بذلك في كتابه (يا أهل الكتاب)؟!

الجواب: أنهم حرفوا الكتاب وبدلوه! وقد رأيت في الفصل الأول من هذا البحث كيف تلاعبوا بكلام الله - عز وجل - ورموا رب العزة بالفظائع ورموا أنبياءه بكل موبقة، وقد قال رب العزة - سبحانه -: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والذي أخبر أنهم أهل كتاب، وخاطبهم بذلك وناداهم به؛ هو هو - سبحانه - الذي حكم بكفرهم وضلالهم وفساد عقيدتهم وأخبر به!.

ثم إن وصفهم ونداءهم بأنهم أهل كتاب، هو توبيخ لهم على كفرهم مع ما في كتابهم مما يدعوههم للإيمان، وترك الكفر والضلال، فكفرهم كفر من علم وجحد! ولذلك قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]، وقال قبلها: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٧٠]، وأخبر بعدها عن حيلهم في رد الذين آمنوا عن إيمانهم وسعيهم في تضليلهم فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧١ - ٧٣].

وقال -سبحانه-: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُوا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩٨ - ١٠٠].

وأخبر أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل الذي أنزل لا الذي حرفوه فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

وعليهم فنداؤهم بـ«يا أهل الكتاب» لا يدل على إيمانهم، بل هو توبيخ على كفرهم

قال شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (٢/ ٥٨):

«وفي التعبير عنهم بأنهم أُوتُوا الْكِتَابَ زيادة تقييح لهم فإن الاختلاف بعد إتيان الكتاب أقبح وأفحش، إذ الكتاب ما نزل إلا لهدايتهم، وسعادتهم فإذا تركوا بشاراته وتوجيهاته واتبعوا أهواءهم كان فعلهم هذا أشد قبحا وفحشا» انتهى.

(٣) _ أليسوا أتباع نبي الله عيسى؟!

ومما يلبس به الشيطان على بعضهم القول بأنهم أتباع نبي من الأنبياء وهو نبي الله عيسى -صلى الله عليه وسلم-؛ فكيف يكونون كفارا؟!، لا سيما وهم يؤمنون بكل الأنبياء؛ إلا نبي واحد؟!

الجواب: أن هذا من تلاعب الشيطان بعقول مرددي هذه الشبهة!، فهو لاء؛ كما مر لا يتبعون نبي الله عيسى -صلى الله عليه وسلم-!، وإنما يتبعون بولس محرف دين المسيح ومبدله!، والمسيح منهم براء؛ كما أخبرنا -سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

فلم يطلب منهم أن يعبدوه لا هو ولا أمه -رضي الله عنها- وإنما أمرهم بعبادة الله وحده، فلو كانوا أتباعه لالتزموا بتعاليمه -صلى الله عليه وسلم- ولكنهم خالفوها وحرفوا دينه، وغلوا فيه واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

ثم إنهم لو كانوا من أتباع المسيح حقاً لآمنوا بأخيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي بشر به المسيح وأمر أتباعه بالإيمان به^(١٧٤)، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي

^{١٧٤} قال شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (١٤ / ٣٥٩):

وبشارة عيسى - عليه السلام - بنينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة ثبوتاً قطعياً بهذه الآية الكريمة، وإذا كانت بعض الأناجيل قد خلت من هذه البشارة، فبسبب ما اعترأها من تحريف وتبديل على أيدي علماء أهل الكتاب.

ومع ذلك فقد وجدت هذه البشارة في بعض الأناجيل، كإنجيل يوحنا، في الباب الرابع عشر، قال الإمام الرازي: في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: وأنا أطلب لكم إلى أبي، حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط حتى يكون معكم إلى الأبد.

والفارقليط هو روح الحق واليقين.

ومنهم من يرى أن لفظ فارقليط معناه باليونانية: أحمد أو محمد.

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ^(١٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿[الصف: ٦] فعدم الإيمان بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، هو تكذيب للمسيح وكفر به!.

والكفر بنبي واحد هو كفر بجميع الأنبياء، ألم يقل - جل وعز -: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿[الشعراء: ١٠٥]﴾. وما جاءهم إلا رسول واحد وهو نوح، ولم يكن قبله رسول إذ هو أول الرسل، ولم يروا من بعده لأن الله أهلكهم جميعا!، فأى مرسلين هؤلاء الذين كذبوهم؟!، إن تكذيبهم لنوح هو تكذيب لكل النبيين، بل اسمع ماذا قال ربك في من يؤمن ببعض الأنبياء دون بعض! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿[النساء: ١٥٠، ١٥١].

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، فماذا تريد بعد ذلك؟!.

قال شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (١/ ٢٧٨):

«وفي القرآن الكريم آيات أخرى صرحت بأن الإسلام اسم للدين الذي دعا إليه كل الأنبياء، وانتسب إليه أتباعهم، فنوح قال لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وموسى قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾، والحواريون قالوا لعيسى - عليه السلام -: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

^{١٧٥} قال العلامة رشيد رضا في تفسيره المنار (٩/ ٢٥٣): «وَقَدْ نَقَلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَيْرَمٌ عَنْ رَحَالَةِ إِنْكَلِيزِيٍّ أَنَّهُ رَأَى فِي دَارِ الْكُتُبِ الْبَابَوِيَّةِ فِي الْفَاتِيكَانِ نُسخَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ مَكْتُوبَةً بِالْقَلَمِ الْحُمَيْرِيِّ قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِيهَا يَقُولُ الْمَسِيحُ (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) وَذَلِكَ مُوَافِقٌ لِنَصِّ الْقُرْآنِ بِالْخَرْفِ، وَلَكِنْ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْجِيلِ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الْبَشَارَاتُ الصَّرِيحَةُ، فَيُظْهِرُ أَنَّ فِي مَكْتَبَةِ الْفَاتِيكَانِ مِنْ بَقَايَا تِلْكَ الْأَنْجِيلِ وَالْكِتَابِ الَّتِي كَانَتْ مَمْنُوعَةً فِي الْقُرُونِ الْأُولَى مَا لَوْ ظَهَرَ لَأَزَالَ كُلَّ شُبْهَةٍ عَنْ إِنْجِيلِ بَرْنَابَا وَغَيْرِهِ».

بل إن فريقاً من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن أشرقت قلوبهم لدعوته وقالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾.

وإلى هنا نكون قد ذكرنا بعض الآيات الكريمة التي أرشدت إلى أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يطابق ما جاء به الأنبياء السابقون، فعليهم أن يؤمنوا به ويصدقوا، لأن كفرهم به كفر بجميع الرسل السابقين.



(٤) _ لقد مدحهم الله في كتابه:

وكثير من الناس يخلط في هذا الباب، ويلبس الحق بالباطل مدعيًا أن الله مدحهم في كتابه، ثم يأتي ببعض الآيات مستلًا لها من سياقها؛ كقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

والجواب: أن هذه الآية لها تتممة توضحها وتبينها؛ وهي قوله -تعالى- في الآية التي تليها مباشرة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٦]

فهذه الآيات إنما نزلت في من آمن منهم بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وما أنزل عليه من القرآن والذكر الحكيم، كما دل عليه قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ، لا من عاند وبقي على الكفر والضلال المبين!، ثم تحدثت عن من بقي على كفره فقالت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

ثم هب أنها في من بقي على معتقده وليست في من آمن منهم -مع أنها في من آمن منهم!!- فإنها لا تتكلم عن صحة اعتقادهم!، وإنما تتكلم عن قرب مودتهم لأهل الإيمان!، فالكفر دركات^(١٧٦) كما مر معنا، ثم ذكرت الآية ذلك بما يدل على نسبته، (أقرب) في مقابل (أشد) فهم أقرب مودة بالنسبة لشدة عداوة اليهود والذين أشركوا!، فليس قرب مطلق وإنما هو قرب نسبي!.

^{١٧٦} ولنضرب لذلك من المثال ما يتضح به المقال؛ فنقول إن أبا طالب، وأبا لهب وهما أخوان لأب واحد؛ كلاهما كافر بالله العظيم غير أن أخلاق أبي طالب ومروءته، بل ونصرته للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ على الضد من أبي لهب بمفاوز؛ ففس على ذلك.

ثم قد مر معنا بين يدي الشبهات وجوب التمسك بالمحكم؛ وقد مر معنا كثير من الآيات المصروفة بكفرهم؛ فتمسك بالمحكم؛ أحكم الله إيمانك.

(٥)_ لقد شهد الله لهم بالإيمان!

ومما يلبس به بعضهم أيضا قولهم: إن الله شهد لهم بالإيمان في كتابه؛ فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، فكيف تكفرهم وقد شهد الله لهم بالإيمان؟!

الجواب: أننا لا نجرؤ أن نكفر إلا من كفره الله!، فكيف بمن شهد الله له بالإيمان؟!، ولكن من هو الذي شهد الله له بالإيمان؟! فالآية الأولى التي ذكرتموها قد بترتموها؛ لأنها تشهد عليكم لا لكم؛ إذ هي بتمامها: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

فالآية تتكلم عمن يؤمن بما أنزل إلينا يعني القرآن، والنصارى لا يؤمنون بالقرآن!، أي أن الآية تتكلم عن المؤمنين الذين تركوا عقيدة النصارى واليهود ودخلوا في دين الله - عز وجل - وآمنوا به وبما أنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

وكذلك الآية الثانية؛ فإنها تتكلم عن من آمن بالله على مراد الله! لا على زعم النصارى الباطل - من أنه مركب من أقانيم ثلاثة! -، وغيرهم، فمن ترك ما هو عليه من باطل وآمن بالله - على مراد الله - ومنه الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خير وشره! فلا خوف عليه مما كان عليه من كفر قبل إيمانه، وليس المقصود بالإيمان بالله؛ الإيمان بوجود الله فهذا يؤمن به إبليس وعتاة الكفر من مشركي قريش! فهل إبليس مؤمن وسيدخل الجنة؟! فلمن خلقت النار إذن؟!!!! فالآية إنما تتكلم عمن آمن بالنبي الخاتم بعد بعثته أو من مات على دين نبيه قبل بعثة النبي الذي يليه، فمن آمن بموسى وبدينه ولم يحرفه ومات قبل بعثة المسيح، ومن آمن بالمسيح وبدينه ولم يحرفه ومات قبل بعثة النبي الخاتم، وهذا ما قرره أهل العلم من علماء الأزهر؛ فقد قال علماء مجمع البحوث في التفسير الوسيط (١/ ١١٤):

«وقد قررت الآية الكريم أن من آمن بالله من جميع الطوائف إيماناً لا يشوبه شرك ولا تجسيم ولا تشبيه ولا ادعاء ولد له سبحانه وآمن أيضاً باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحشر وحساب وجزاء، وضم إلى هذا الإيمان العمل الصالح، فلهم أجرهم اللائق بإيمانهم -عند ربهم- ولا خوف عليهم مما كانوا فيه من كفر، ولا هم يحزنون على فوت ثواب، فإن الإيمان يغفر ما سبقه من الكفر، والخلاصة أن هذه الآية -بهذا التوجيه- تدعو تلك الطوائف إلى اعتناق الإسلام».

وقالوا كذلك في التفسير الوسيط (٢/ ١١٢١):

«... من المؤمنين برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن اليهود المتمسكين برسالة موسى عليه السلام، قبل المسيحية ممن لم يحرفوا كتب أنبيائهم، ومن الصابئين الذين تمسكوا بملة إبراهيم عليه السلام - قبل نسخها.

ومن المسيحيين الذين تمسكوا بالمسيحية ولم يحرفوها قبل بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- هؤلاء جميعاً إذا آمنوا بالله تعالى. إيماناً صحيحاً غير ملتبس بالشرك واستمسكوا بهذا الإيمان، واتبعوا أنبياءهم وما جاء على ألسنتهم من التبشير بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وآمنوا به عند مبعثه، وآمنوا بالبعث والنشور، وبالجنة والنار وما فيهما من جزاء، وعملوا الأعمال الصالحة التي يقتضيها الإيمان بالله واليوم الآخر، طبقاً لما ورد في الكتب المنزلة السليمة من التصحيف والتحريف -إن هؤلاء جميعاً- يظفرون بالثواب الجزيل على ما قدموه من إيمان وعمل صالح، ولا خوف عليهم من عقاب، ولا يعترهم حزن من سوء الجزاء. فلا يخافون بخساً ولا رهقاً، ولا يحزنهم الفزع الأكبر».

ويقول شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط (١/ ١٥٧):

«والإيمان المشار إليه في قوله - تعالى -: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. إلخ، يفسره بعض العلماء بالنسبة لليهود والنصارى بمعنى صدور الإيمان منهم على النحو الذي قرره الدين الحق، فمن لم تبلغه منهم دعوة الإسلام، وكان ينتمى إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر ويقدم العمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه، فله أجره على ذلك عند ربه.

أما الذين بلغتهم دعوة الإسلام من تلك الفرق ولكنهم لم يقبلوها فإنهم لا يكونون ناجين من عذاب الله مهما ادعوا بأنهم يؤمنون بغيرها، لأن الشريعة الإسلامية قد نسخت ما قبلها والرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ يقول: «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي»...

وبعض العلماء يرى أن معنى ﴿مَنْ آمَنَ﴾؛ أي: من أحدث من هذه الفرق إيمانا بالنبى - صلى الله عليه وسلم -؛ وبما جاء من عند ربه، قالوا: لأن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام، وأما بيان من مضى على دين آخر قبل نسخه فلا ملابسة له بالمقام، فضلا عن أن الصابئين ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات» انتهى.

(٦) _ أحل الله الزواج منهم:

ومما يردده هؤلاء استدلالاً به على إيمانهم أن الله أحل الزواج من النصرانية فكيف لا تكون مؤمنة؟!.

والجواب: إذا كان ذلك كذلك؛ فلماذا حرم الله زواج النصراني من المسلمة؟!؛ فلو كان النصراني مؤمناً؛ لأحل الله زواجه من المسلمة، إذن؛ فليس تحليل الزواج من النصرانية اعتباراً بإيمانها، ولكنه سبحانه هو الحكيم، وبهذا شهد لنفسه سبحانه، وشهدت له ملائكته، وشهد له أهل العلم به سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

ومن المعلوم أن الحكيم لا يقضي بشيء عبثاً، ولا يضع شيئاً في غير موضعه، ولا يأمر إلا بما هو أحسن، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر/ ٢٣].

وهذا كما أنه مقتضى اسمه الحكيم، فهو كذلك مقتضى تفرد بالخلق - سبحانه -، فمنطقي أن من صنع شيئاً هو أعلم بما يصلحه ويلائمه من غيره؛ فكيف بالخلق العليم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/ ١٤].

وأما عن هذه الحكمة؛ فإن الإسلام هو الدين الحق الذي نزل من عند الله تعالى، وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه قد نسخ كل ما سواه، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة/ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء/ ١٤١].

ومعلوم أن الزوج له القوامة على زوجته، ومقامه من الأسرة أعلى من مقام زوجته، ولا يكون لكافر على مسلمة سبيل ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] وربما كان هذا سبباً لإكراه زوجته على ترك دينها واتباع دينه، أو التأثير فيها بغية ذلك ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

ومعلوم أن الأبناء يتبعون آباءهم إيماناً وكفراً، فزواج المسلمة من غير المسلم، هو ظلم لذريتها!.

وهذه الحكمة العظيمة قد ذكرها ربنا تبارك وتعالى في سياق تحريم تزويج المسلمات لغير المسلمين فقال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٢١].

وأما عن زواج الكتابية بمسلم، فإنها تتزوج برجل يؤمن بنبيها، بل وبسائر أنبياء الله، ولا يكون مسلماً إلا بهذا، ولا يحل له أن يفرق بين أحد منهم، قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَتِهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة/ ٢٨٥]، في حين أن الكتابي -من يهودي أو نصراني- لا يؤمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأنه خاتم الأنبياء، فكيف نرضى لنساء المسلمين أن يكنَّ عند رجل يكفر بنبيها ولا يؤمن به؟!، وقد يسمعها فيه ما لا ترضى، بخلاف المسلم الذي لا يقول في نبي من الأنبياء كموسى أو عيسى إلا خيراً!.

وأنعم النظر في هذا النقل؛ قال شيخ الأزهر في تفسيره الوسيط (١/ ٤٨٨):
«والمشرك في لسان الشرع: من يدين بتعدد الآلهة مع الله - تعالى - وأصله من الإشراف بمعنى أن تجعل الشيء بينك وبين غيرك شركة، فمن يعبد مع الله - تعالى - إلهاً آخر يعد مشركاً، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ويرى كثير من العلماء أن إطلاق كلمة: مشرك، ومشركين، ومشركات في القرآن الكريم تعنى عبدة الأوثان، وأنها صارت في استعمال القرآن حقيقة عرفية فيهم، ولم يطلقها القرآن على اليهود والنصارى وإنما عبر عنهم بهذا الاسم أو بأهل الكتاب، أو بوصف الكفر دون الشرك؛ كما في قوله - تعالى -: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وعليه فالمراد بالمشركات والمشركين في الآية عبدة الأوثان.
وذهب بعضهم إلى أن لفظ المشركات يشمل بمقتضى عمومها المرأة الوثنية، واليهودية، والنصرانية.

وقد ترتب على هذا الخلاف في إطلاق كلمة «مشرك» أن أصحاب الرأي الأول قالوا: إن النهي في الآية إنما هو عن زواج المشركات اللاتئي يعبدن الأوثان ولا كتاب لهن، وأنه يجوز - مع الكراهة - أن

يتزوج المسلم الكتابية، لأن القرآن يقول: الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.. الآية».

(٧) _ يقولون رحمة ربنا واسعة!

ومما يتردد أيضا بهذا الصدد قولهم: إن رحمة الله وسعتهم ووسعت كل شيء، كما قال تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فلا تضيقوا رحمة الله!

الجواب: أن هذه الرحمة التي وسعت كل شيء كتبها الله لمن يؤمن به وبرسله؛ لا سيما النبي الخاتم -صلى الله عليه وسلم-؛ فالآية بتمامها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

قال علماء مجمع البحوث التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٣/ ١٥٢٣):

«الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»: أي أن الله تعالى يكتب رحمته للذين يؤمنون

بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - من اليهود والنصارى: يؤمنون بهذا النبي الذي يجدونه مكتوبًا باسمه ونعوته عندهم في التوراة والإنجيل التي كتبتها الكافرون منهم، أو أسأؤا وتأويلها» انتهى.

فالله - عز وجل - ذو رحمة عامة لكل الخلق، ورحمة خاصة بالمؤمنين، ومن رحمته العامة بكل الخلق يشترك فيها المؤمن والكافر وهي الإحياء والرزق والشفاء... إلخ، وأما الرحمة الخاصة التي هي التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر، وصرف العوائق والصوارف التي تعوق سيرهم إلى الله وتصرفهم عن مرضاته، فهذه رحمة خاصة بالمؤمنين الموحدين المتبعين للنبي الأمين.

والله - عز وجل - كما هو رحمن رحيم فهو عزيز حكيم جبار منتقم، وقد بين لعباده ما يتقون ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقد بين لعباده طريق الحق وطريق الباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ومن رحمته التي وسعت كل شيء أن يقبل التائبين من الكافرين الذين كانوا يحاربونه ورسله، فإن تابوا تاب عليهم وغفر لهم وقبل منهم!.

(٨) _ ويقولون أيضا لكم دينكم ولي دين.

ومن أعجب ما سمعنا في هذا الباب قول بعضهم: كيف تكفرهم وقد قال الله عز وجل: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾.

الجواب: حقا هذه من العجائب، فإن صدر السورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؛ بل واسم السورة «سورة الكافرون»؛ فهذا كافٍ في الأمر.

إن الآية؛ بل السورة كلها مفصلة لا مdahنة!، فهي لا تقرهم على ما هم عليه!، يقول علماء المجمع في التفسير الوسيط (١٠/ ٢٠٣٧):

«ومعنى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: إن دينكم -وهو الإشراك- مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول إلى كما تطمعون في، فلا تعلقوا به آمالكم الكاذبة.

ومعنى ﴿وَلِيَ دِينٍ﴾: إن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول إلى، لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضا، لأن الله قد ختم على قلوبكم لسوء استعدادكم، أو لأنكم علقتموها بالمحال الذي هو عبادتي لأهتكم، أو استلامي لهم، ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ وقيل: المراد به المtarكة، أي: لكم دينكم -وهو كفركم وشرككم- ولي ديني، أي: لي توحيد -على معنى أنى نبي مبعوث لكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني ولا تدعوني إلى الشرك».

ويقول شيخ الأزهر السابق في التفسير الوسيط (١٥/ ٥٩٧):

«لكم -أيها الكافرون- دينكم وعقيدتكم التي تعتقدونها ولا تتجاوزكم إلى غيركم من المؤمنين الصادقين، فضلا عن رسولهم ومرشدهم صلى الله عليه وسلم، ولي ديني وعقيدتي التي هي عقيدة التوحيد، والتي بايعني عليها أتباعي المؤمنون، وهي مقصورة علينا، وأنتم محرومون منها، وسترون سوء عاقبة مخالفتكم لي.

... وبذلك نرى السورة الكريمة، قد قطعت كل أمل توهم الكافرون عن طريقه الوصول إلى

مداهنة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى الاستجابة لشيء من مطالبهم الفاسدة، وإنما هو صلى الله عليه

وسلم بريء براءة تامة منهم ومن معبوداتهم وعباداتهم».



(٩) _ يعتقدون أنهم على الحق

ومنها قولهم: كيف تكفرونهم وهم يعتقدون أنهم على الحق؟
والجواب: أن اعتقادهم أنهم على الحق لا يجعلهم على الحق!، فالباطل باطل مهما كان، والحق حق مهما كان، وسوء تصور الإنسان لا يقلب الحق باطلا ولا الباطل حقاً!، وإلا فإن البوذي، والمجوسي؛ وكل عباد الأوثان والمشركين يرون أنهم على الحق؛ أو تحسب أحداً من هؤلاء أو غيرهم يعتقد أنه على غير الحق؟!.

وهل السارق إذا اعتقد أن سرقة حق؛ لأنه يسرق من الأغنياء ويعطي الفقراء!، مثلاً؛ فهل هذا يصوب فعله؟! قطعاً لا؛ فلا تزال السرقة وصمة عار على مرتكبها ولو رآها حقاً!.

ولو قتل إنسان ابنك فلذة كبذك - وهو يحسب أن قتله حق -، فماذا يكون موقفك؟!
ولو اغتصب أحدهم أهلك حريمك - وهو يعتقد أنه على حق -؛ فماذا سيكون موقفك؟!
فاعتقاد هؤلاء أنهم على الحق لا ينفعهم، لأن كتابهم - على ما فيه من تحريف - هو شاهد على بطلان ما هم عليه، فضلاً عن كتاب الله الذي يتلى على مسامعهم ليل نهار!.

وعلى كل حال فهؤلاء هم من قال الله - عز وجل - فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

قال شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (٨ / ٥٨٤):

«والتحقيق أن المراد بالأخسرين أعمالا هنا: ما يشمل المشركين واليهود والنصارى، وغيرهم ممن يعتقدون أن كفرهم وضلالهم صواب وحق».

وقال علماء مجمع البحوث التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٦ / ٩٣٣):

«قيل إن المراد بهؤلاء الأخسرين: أهل الكتابين: اليهود والنصارى، ولكن ظاهر الآية الكريمة أنها عامة في كل من عبد الله على غير شريعته التي شرعها لعباده، يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول، ولكنه مخطيء وعمله مردود عليه.

أي قل أيها الرسول للمشركين خاصة، وللكافرين عامة: هل أخبركم بأشد الناس خسرانا لأعمالهم وحرماناً من ثوابها؟! ثم فسرهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: أي أن الأخسرين أعمالاً من سائر الملل والنحل هم الذين أتعبوا أنفسهم في أعمال ييغون بها ثواباً وفضلاً، فنالوا بها هلاكاً وخسراً، كالذى اشترى سلعة يرجو بها ربحاً عظيماً، فخاب رجاؤه وخسر بها خسراناً مبيناً. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾...» انتهى.

(١٠) _ أخلاقهم حسنة ونفعوا البشرية!

ومما يشاع على بعض الألسنة قول البعض: إنهم أصحاب أخلاق حسنة، ونفع للبشرية؛ ففيهم المهندس والطبيب والعالم والمخترع... إلخ.

والجواب: أن هذا لا ينفعهم شيئاً في الآخرة ما لم يؤمنوا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً، وإنما تعجل لهم طيباتهم في الحياة الدنيا؛ فعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»^(١٧٧).

وفي حديث طويل، قال فيه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- واصفاً حاله عندما دخل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «... فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسُّمٌ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعِ اللَّهَ فليوسِّعْ عَلَيَّ أُمَّتَكَ، فَإِنْ فَارَسَ وَالرُّومَ قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ!!»، فَجَلَسَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وكان مُتَكَيِّئاً-، فقال: «أَوْفِي شَكُّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!، أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي»^(١٧٨).

فبمجموع الحديثين يتبين عدم انتفاع من لم يؤمن بالله واليوم الآخر -إيماناً صحيحاً- بشيء من أعماله الحسنة التي عملها في الدنيا!، ولكن الله لا يظلم الناس شيئاً، فيجازيهم على هذه الأعمال في الدنيا.

ولذلك فلا بد أن يعلموا أنهم على كفر وضلال؛ وذلك حتى يتركوا ما هم عليه ويدخلوا في دين الله عز وجل الحق فتتفتح لهم أعمالهم وأخلاقهم ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

^{١٧٧} رواه مسلم في صحيحه برقم: (٥١٧).

^{١٧٨} أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٢٤٦٨).

ولكن أي خلق حسن مع وجود الكفر الذي هو أرذل الأخلاق وأساءها، بل كما يقال: «ليس بعد الكفر ذنب»، وقائل هذه العبارة -أخلاقهم حسنة-!، لو أن واحدا منهم سبَّ أباه، أو سبَّ أمه لرماه بكل قبيحة، فكيف وهم مجمعون على سب الله!، -إي وربي- يسبون الله ليل نهار بأن ادعوا أن الله ولدا!!؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ»^(١٧٩).

^{١٧٩} أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٩٧٤).

(١١) _ الفتنة طائفية!

ومن أكثر الشبهات المنتشرة هي قولهم: إن تكفيرهم سيسبب فتنة طائفية، والأعداء يتربصون بنا خارجيا وداخليا يريدون تقسيم البلد على إثر فتنة طائفية!

والجواب: سبحان ربي؛ فأين هذا الخوف من الفتنة الطائفية، وهم يكفروننا ليل نهار!، بل إن من أعظم الخلافات بين طائفة الأرثوذكس الشرقية التي تعيش في بلادنا؛ مع طائفة الكاثوليك الرومانية أن الكاثوليك يقولون بخلاص غير المؤمنين -أي من لم يؤمن بعقيدة النصارى- وهذا لا يصح عند الأرثوذكس بل يقولون إن عقيدة النصارى من صلبٍ وفداءٍ وتثليثٍ وألوهية المسيح هي سبب الخلاص الذي لا خلاص إلا به!! فأين الفتنة الطائفية؟!

لقد كان المسلمون من قديم يعلمون كفر النصارى ويصرحون به، ويعلم النصارى أن المسلمين يعتقدون ذلك فيهم لما ورد في كتاب ربهم من الحكم بكفرهم، وما نتج عن ذلك فتنة!.

إن الفتنة لا تحدث بامثال أمر الله -عز وجل- والتزام حكمه، ولكن بمخالفة ذلك قال -تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إن الفتن إنما تنتج عن الجهل بالحقائق الشرعية، كالجهل بمعنى الكفر وحقيقته وأسبابه وما يترتب عليه وأنواع الكافرين وأحكام معاملاتهم فهذا الذي يثمر الفتن، فإغلاق باب التكفير الشرعي الصحيح؛ بحجة سد باب التكفير بغير حق؛ هو الذي قوى التكفير والتكفيرين بغير وجه حق! والواقع خير شاهد، ولذلك فإن منع الفتنة الطائفية إنما يكون ببيان الحقيقة الشرعية في كفر هؤلاء! نعم بيان أن هؤلاء كفار ولهم حقوق!! هو الذي يمنع حدوث الفتنة الطائفية، حيث يعلم الناس أن الكفر أقسام، والكافرين أنواع، وكل نوع له حكمه، إذ لم يسو الله -عز وجل- بين المحارب وغيره؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[الممتحنة: ٨، ٩].

قال العلامة رشيد رضا في تفسيره المنار (١٠ / ١٠٤) :

«وَأَمَّا قَرِيبُهُ الْكَافِرُ فَإِنْ كَانَ مُحَارِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ فَالْكَفَرُ مَعَ الْقِتَالِ يَقْطَعَانِ لَهُ حُقُوقَ الرَّحِمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُتَحَنِّةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٦٠ : ١) الْآيَاتِ، وَإِنْ كَانَ مُعَاهِدًا أَوْ ذِمِّيًّا فَلَهُ مِنْ حَقِّ الْبِرِّ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ. قَالَ تَعَالَى فِي الْوَالِدَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (٣١ : ١٥) ثُمَّ قَالَ فِي الْكُفَّارِ عَامَّةً: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٦٠ : ٨) فَالْبِرُّ وَالْعَدْلُ مَشْرُوعَانِ عَامَّانِ فِي حُدُودِ الشَّرْعِ».

ويزيد الأمر بيانا قول شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (٤ / ١٩٥) :

«وهنا قد يرد سؤال وهو: إن الآيات الكريمة وما يشبهها من الآيات القرآنية تؤكد النهى عن موالاة غير المسلمين ومودتهم فهل هذا النهى على إطلاقه؟!.

والجواب: عن ذلك أن غير المسلمين أقسام ثلاثة: القسم الأول: وهم الذين يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم ولم ييدر منهم ما يفضى إلى سوء الظن بهم.

وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولا مانع من مودتهم والإحسان إليهم كما في قوله - تعالى - : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

والقسم الثاني: وهم الذين يقاتلون المسلمين، وسيئون إليهم بشتى الطرق وهؤلاء لا تصح مصافاتهم، ولا تجوز موالاتهم، وهم الذين عناهم الله في الآيات التي معنا وفيما يشبهها من آيات كما في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

والقسم الثالث: قوم لا يعلنون العداوة لنا ولكن القرائن تدل على أنهم لا يحبوننا بل يحبون أعداءنا، وهؤلاء يأمرنا ديننا بأن نأخذ حذرنا منهم دون أن نعتدى.

ومهما تكن أحوال غير المسلمين فإنه لا يجوز لولى الأمر المسلم أن يوكل إليهم ما يتعلق بأسرار الدولة الإسلامية. أو أن يتخذهم بطانة له بحيث يطلعون على الأمور التي يؤدى إفشاؤها إلى خسارة الأمة فى السلم أو الحرب.

وبعد أن حذر - سبحانه - المؤمنين من ولاية اليهود والنصارى، عقب ذلك بنداء آخر وجهه إليهم، وبين لهم فيه أن موالاة أعداء الله قد تجر إلى الارتداد عن الدين...».

(١٢) _ تكفيرهم سيؤدي إلى تفجيرهم وتقتيلهم.

ومن الشبهات المثارة قولهم: إن فتح باب التكفير؛ يعني فتح باب التقتيل، والتفجير، ولذلك نحن نسد البابين معا حفاظا على أمن البلد.

والجواب: أن هذا لا يسد باب التقتيل، ولا يضيق من دائرة التفجير؛ بل على العكس إنه يوسعها ويفتح الباب على مصراعيه!.

فإنه أولا- أي قولكم هذا- إقرار بأن كل كافر يقتل!، وهذا غير صحيح، فكما سبق أن الكفر أقسام، والكفار أنواع، وكل نوع له حكمه فالكافر الأصلي غير المحارب؛ أي المعاهد، أو الذمي، أو المستأمن؛ لا يجوز الاعتداء عليه بحال؛ إذ عصم الله -عز وجل- دمه، بخلاف المحارب الذي إن تمكن من قتلي قتلني!، وقد سبقت النقولات عن علماء الأزهر، وشيخه في ذلك.

ثانيا: أن الحكم بإيمانهم يوسع دائرة التفجير، ويفتح باب التقتيل!، كيف ذلك؟!.

انظر إلى هذا التكفيري حينما يقرر أن الحكم بإيمانهم، وعدم كفرهم هو تكذيب لحكم الله -عز وجل- الذي أخبر أنهم كفار!، وتكذيب حكم الله كفر! والكافر المرتد شر من الكافر الأصلي! وأولى بالقتل منه، وعليه فقتل هؤلاء الذين حكموا بإيمان النصارى، وتصحيح عقيدتهم؛ أولى من قتل النصارى أنفسهم!؛ فيفتح باب التقتيل، وتتسع دائرة التفجير لتشمل المساجد، والمباني والمؤسسات التي يسكنها هؤلاء المرتدين!.

إن المتأمل في واقع هؤلاء المفجرين الضلال؛ يجد أنهم لا يفرقون بين مسلم وغيره، فالكل عندهم سواء ما أقروا وجود الحكام الذين ليسوا على أهوائهم!، فالقتل عند هؤلاء لا يقوم على أساس شرعي!، وإنما على أساس سياسي!، وإن اتخذوا من الدين مطية وغطاء! ولكن العاقل لا ينخدع بمثل هذا، والذي يؤكد ما نقول أنك لا تجد الخوارج من الدواعش والإخوان، وغيرهم؛ يقتلون إلا «الأرثوذكس» دون غيرهم من النصارى، وذلك لوقوفهم مع حاكم البلاد -وفقه رب العباد-، وتأبيدهم له، فقتلهم انتقام سياسي؛ لا أكثر!!.

وعليه فإن غلق ملف التكفير - إن صح التعبير - لا يأتي بخير!، ولكن فتحه وتوضيح المبهم وإزالة المشكل وبيان أحكام معاملة الكافرين من بعد بيان أنواعهم؛ كما كان في صدر الأمة الأولى، وأما غلقه بحجة أنه يؤدي إلى القتل!، فإنه أشبه بفعل النعامة تغرس رأسها في الرمال تحسب أن الصياد لا يراها؛ وفي الحق أنها سهلت صيدها بلا أدنى مشقة؛ فكذلك الأمر هاهنا!.

ثم إن هذا القول تأكيد وترسيخ لمفهوم خاطئ، وهو: أن التكفير يعني التفجير والتقتيل!.

وقد سبق أن بيّنا أن الكافرين ليسوا على درجة واحدة، وأنه ليس معنى أنه كافر أنه يقتل؛ لا؛ بل يُدعى إلى دين الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن؛ قال - تعالى - : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولابد أن تعلم أن الله - جل وعز - خلق الناس فريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾؛ وهم المؤمنون، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾؛ وهم الكافرون؛ قال - سبحانه - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

واعلم أن الكفار على قسمين :

١ _ كافر أصليّ، وهو كل من ليس بمسلم.

٢ _ وكافر غير أصليّ؛ وهو كل مسلم ارتد عن دينه.

ثم اعلم أن الكافر الأصليّ على قسمين كذلك:

١ _ كافر حربيّ.

٢ _ وكافر غير حربيّ؛ وهو المعاهد، والمستأمن، والذميّ.

فأما الحربيّ المقاتل الذي يقاتل المسلمين؛ فإنه يحارب، ويقاتل؛ بخلاف من ليس بحربيّ؛ وهذا أمر

متقرر شرعا، وعقلا؛ يلخص ما مضى قول العلامة رشيد رضا في تفسير المنار (٥/ ٢٧٠):

«والكافر الحربيّ - غير المعاهد والمستأمن والذميّ - من إذا لم تقتله قتلك إذا قدر على قتلك» انتهى.

وقال -أيضا- في تفسير المنار (٨ / ١٦٦):

«ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» أي والخامس مما أتلوه عليكم من وصايا ربكم ألا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بالإسلام أو عقد الذمة أو العهد أو الاستئمان، فيدخل في عمومها كل أحد إلا الحربي.

ويطلق العهد على الثلاثة، ومنه ما ورد في النهي عن قتل المعاهد وإيذائه، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وقوله صلى الله عليه وسلم «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا» رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وقوله: «إلا بالحق» هو ما يبيح القتل شرعا كقتل القاتل عمدا بشرطه» انتهى.

وقال شيخ الأزهر السابق في تفسيره الوسيط (٤ / ١٩٥):

«وهنا قد يرد سؤال وهو: إن الآيات الكريمة وما يشبهها من الآيات القرآنية تؤكد النهي عن موالاة غير المسلمين ومودتهم فهل هذا النهي على إطلاقه؟!»

والجواب: عن ذلك أن غير المسلمين أقسام ثلاثة: القسم الأول: وهم الذين يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم ولم يبدر منهم ما يفضي إلى سوء الظن بهم.

وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولا مانع من مودتهم والإحسان إليهم كما في قوله -تعالى-: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

والقسم الثاني: وهم الذين يقاتلون المسلمين، ويسئون إليهم بشتى الطرق وهؤلاء لا تصح مصافاتهم، ولا تجوز موالاتهم، وهم الذين عناهم الله في الآيات التي معنا وفيما يشبهها من آيات كما في

قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

والقسم الثالث: قوم لا يعلنون العداوة لنا ولكن القرائن تدل على أنهم لا يحبوننا بل يحبون أعداءنا، وهؤلاء يأمرنا ديننا بأن نأخذ حذرنا منهم دون أن نعتدى.

ومهما تكن أحوال غير المسلمين فإنه لا يجوز لولى الأمر المسلم أن يوكل إليهم ما يتعلق بأسرار الدولة الإسلامية. أو أن يتخذهم بطانة له بحيث يطلعون على الأمور التي يؤدى إفشاؤها إلى خسارة الأمة في السلم أو الحرب.

وبعد أن حذر - سبحانه - المؤمنين من ولاية اليهود والنصارى، عقب ذلك بنداء آخر وجهه إليهم، وبين لهم فيه أن موالاة أعداء الله قد تجر إلى الارتداد عن الدين ...».

فإذا تقرر ذلك عندك؛ فقد تبين لك أنه ليس كل كافر يستباح دمه؛ ولك في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة؛ وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي^(١٨٠)؛ وهذا فيه أنه يعيش معه في المدينة وفي آخر حياته يهودا؛ وغير ذلك كثير؛ نعم قاتل المقاتلة، وحارب المحاربين!، ولكن سالم المسلمين، وكذلك أصحابه - رضى الله عنهم - ولولا ذلك ما بقي على الأرض - أو على الأقل في بلاد المسلمين - سوى المسلمين، ولكنهم بإجماع ما قتلوا كل كافر، ولا استباحوا دم كل من ليس بمسلم.

^{١٨٠} البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣)، وغيرهما.

الخاتمة: نداء إلى الأعلام، والإعلام:

عزيزنا - القارئ الكريم - بعد هذه الجولة الشائقة الشائكة؛ فهذه كلمة ونداء لأعظم مؤثرين في

عقول الأمة:

«الإعلام، والعلماء الأعلام».

كنا قد كتبناها في ردنا على التنظيم الدموي «داعش» المخالف لحقيقة الإسلام -أصولا

وفروعا- في كتابنا «حقيقة تنظيم الدولة ... داعش»^(١٨١) وقد رأينا نقلها هنا لأهميتها.

أولا: العلماء والإرشاد الديني:

فإنه واجب على العلماء والدعاة تصحيح مفاهيم الناس، وانتشالهم من الضلالة إلى الهدى، فهذه وظيفتهم وهي خير وظيفة وظيفه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ ولذلك وجب على الخطباء والوعاظ في الأوقاف تعليم الناس معتقداتهم الصحيحة، وما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه قولاً وعملاً، وتحذيرهم من كل ما يخالف ذلك سواء من فكر الخوارج التكفيريين، أو غيرهم من أهل الضلالة والبدعة، ومن هاهنا نعلم أن أهل السنة والجماعة هم أقدر الناس على محاربة الأفكار الردية بما هم عليه من الطريقة المرضية، والسبيل السوية، ولقد كان الواقع خير دليل وشاهد!، ولذلك وجب فتح وفسح الطريق لهم على كل منبر في مسجد أو غيره من منابر الكلمة المسموعة، والمكتوبة؛ ليقولوا كلمة الحق، وأما أن يكون الأمر على الضد بأن يُحاربوا مع كونهم من أحرص الناس على البناء وسلامة البلاد والعباد؛ فهذا هو العجب العجيب!!.

وعلى أهل الإرشاد الديني جميعاً، لا سيما الرسميين منهم أن يعلموا، ويُعلموا أن المداهنة في الدين لا تزيد الطين إلا بلة، وأنهم يزيدون أفكار الشباب المغرر بهم احتقاناً وسوداوية، لا سيما عندما يداهنون في صلب معتقد المسلمين^(١٨٢)، كالمداهنة في وحدانية الله -عز وجل-، كأمر الاعتقاد في كفر النصارى بل والبوذيين أيضاً!! فضلاً عن غيرهم، وليعلموا أن نشر المعتقد الصحيح بوضوح ليس

^{١٨١} (ص: ٢٤٩)، من طبعته الثانية.

^{١٨٢} وانظر في ذلك رسالة شيخنا الفضال عادل السيد -حفظه الله- بعنوان: «نفي الدسائس في تحريم تفجير الكنائس».

معناه قتل هؤلاء طالما لم يكونوا محاربين فإن كانوا محاربين فإن كل شريعة سماوية أو وضعية لا تقول إلا بمحاربة المحارب والدفاع عن النفس والمال والعرض، ولا يفهم من ذلك أننا لا نقول بجهاد الطلب الذي يكون مع من يحاربون دعوة الإسلام ويمنعون نشرها؛ فعاد الأمر إلى المحاربة دفعا وطلبا.

وأما سوء فهم البعض كالتكفيرين للمنهج الصحيح منهج السلف الصالح لا يحمل على تشويهه وإنكاره وإخفائه؛ بل يحمل على إظهاره ونشره، وبيان ضوابطه ردا عليهم وتصحيحا لهم فيعم الحق ويزهق الباطل!.

ثانيا: الإعلام:

فإن الإعلام منذ القديم من أكبر وسائل تغيير المفاهيم سواء بالحق أو بالباطل، والواجب على القائمين على الإعلام بوسائله المختلفة أن يغيروا المفاهيم بالحق لا بضده؛ فإن في الأول بناء المجتمعات وتنميتها وفي الآخر هدمها وتدميرها، ولقد كان الواقع خير برهان على ذلك؛ فإن كثيرا من الإعلاميين ولا نقول: كلهم!، كانوا من أسباب نشر الفكر التكفيري سواء مباشرة أو غير مباشرة، فأما المباشرة فظاهرة في كثير من قنوات التكفير ومواقع التدمير والتفجير، وأما غير المباشرة فالقنوات العلمانية، وأفراخهم؛ فإنها الإرهاب بالتسبب، أو هم النافخون في كير التكفير؛ ليزداد اشتعالا؛ فهما وجهان لعملة واحدة^(١٨٣).

«فَمِنْ الْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ وَالْأُصُولِ الْمُسْتَقَرَّةِ أَنَّ الْمُغَالَاةَ فِي مُحَارِبَةِ انْحِرَافٍ تَوَلَّدَ انْحِرَافًا آخَرَ، وَمِنْ الْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ أَيْضًا أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَحَارِبُونَ التَّطَرُّفَ وَيُوجِّهُونَ الْإِرْهَابَ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ ازْدِيَادِ اشْتِعَالِ نَارِهِ وَمِنْ أَكْبَرِ الْعَامِلِينَ عَلَى تَوْجُّعِ أَوَارِهِ، لَا شَكَّ أَنَّ مِصْرَ حَفِظَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبٍ ضَرُوسٍ، وَلَا شَكَّ أَيْضًا أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَتَصَدَّدُونَ لِلْخَائِضِينَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ بِلِسَانِهِ أَوْ بِنَاتَانِهِ لَا يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ تِلْكَ الْحَرْبِ، وَلَا يَعْرِفُونَ طَبِيعَةَ الْمُعْرَكَةِ؛ إِنَّ الْحَرْبَ الَّتِي

^{١٨٣} واستمع في ذلك لخطبة مائة لشيوخنا عادل السيد - حفظه الله -، على موقعه بعنوان: «داعش، والبحيري وجهان لعملة واحدة».

يُشعلُ نارها التكفيريون حَرْبَ عَقْدِيَّة، حَرْبَ عَقِيدَةٍ مُسْتَقَرَّةٍ فِي أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ، تَدْفَعُهُمْ تِلْكَ الْعَقِيدَةُ إِلَى التَّضَحِّيَةِ بِالدُّنْيَا تَارَةً وَإِلَى الْجُودِ بِالنَّفْسِ لَطَلِبِ الشَّهَادَةِ تَارَةً أُخْرَى، إِنَّهُمْ يُصَدَّرُونَ جَمِيعًا عَنْ عَقِيدَةٍ رَاسِخَةٍ بِتَكْفِيرِ خُصُومِهِمْ وَرِدَّةٍ مُخَالِفِهِمْ، وَهِيَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي تُبَرِّرُ لَهُمْ قَتْلَ الْمَرْضَى فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ، وَاسْتِهْدَافَ رُكَّابِ الْقَطَارَاتِ، وَالْاعْتِدَاءَ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِيَّاتِ؛ وَالسُّؤَالُ الْآنَ: كَيْفَ حُورِبَ هَذَا الْانْحِرَافُ؟! وَالْجَوَابُ: خَرَجَ أَقْوَامٌ مِنَ الْعُلَمَانِيِّينَ وَالْحَدَّثَاتِيِّينَ وَالضَّائِعِينَ الْمُرُورِينَ مِنَ الْإِعْلَامِيِّينَ وَالصَّحَافِيِّينَ خَرَجُوا لِيَهَاجِمُوا ثَوَابِتَ الدِّينِ، فَطَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَمَوْهُمْ بِالْعِظَائِمِ وَوَصَمَوْهُمْ بِالْكِبَائِرِ، وَأَنْكَرُوا السُّنَّةَ وَاسْتَهَانُوا بِالْكِتَابِ، وَوَصَفُوا الْأُئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ أَبَا حَنِيفَةَ وَمَالِكًا وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ بِالنِّصَابِ الْأَرْبَعَةَ، وَرَمَوْا الْبَخَارِيَّ وَمُسْلِمًا وَعُلَمَاءَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهَ بِالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَطَاوَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَعَلَى الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْعَقُ بِهِ أَوْلَئِكَ فِي خَرَائِبِ الْإِعْلَامِ مِنْ مَسْمُوعٍ وَمَنْظُورٍ وَمَقْرُوءٍ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يُجَارِبُونَ التَّطَرُّفَ وَيُوَاجِهُونَ الْإِرْهَابَ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ازْدِيَادِ الْإِرْهَابِ وَتَجَدُّدِهِ.

(إِنَّكَ لَنْ تُرَاوِلَ الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ هُوَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ) إِنَّهَا كَلِمَةٌ قَالَهَا أَشْجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَهُ عَلَيْهَا وَمَدَحَهُ، مَعَ أَنَّ الدِّينَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِ الْأَشْجِّ الْمُرَادُ بِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّكَ لَنْ تُرَاوِلَ الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ هُوَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا.

إِنَّ الْعُلَمَانِيِّينَ وَالْحَدَّثَاتِيِّينَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْغَرَضِ، وَأَصْحَابِ الْمَرْضِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْفُرْصَةَ الَّتِي أُتِيحتْ لَهُمْ، سَيُؤَدِّي اسْتِغْلَالُهَا إِلَى تَغْيِيرِ دِينِ الْإِسْلَامِ فِي قُلُوبِ الْمَصْرِيِّينَ وَعَقُولِهِمْ إِلَى دِينِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مِصْرَ سَيَقْبَلُونَ مِنْهُمْ الطَّعْنَ فِي ثَوَابِتِ دِينِهِمْ وَأَصُولِ اعْتِقَادِهِمْ، وَيَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْبِدْءَ وَالشَّتْمَ وَالْاسْتِطَالَةَ فِي أَعْرَاضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ سَتُقَابَلُ بِالْإِسْتِحْسَانِ لِأَنَّهَا تَجْدِيدٌ وَتَنْوِيرٌ، وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ مَخْدُوعُونَ وَاهْمُونَ، وَهُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ يَعْطُونَ الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحُجَّةِ لِلَّذِينَ يَخُوضُونَ حَرْبًا عَقَائِدِيَّةً مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ، فَيَذْبَحُونَ

ويُحرقون ويقتلون ويفجرون وينسفون وهم يقولون: ما ازددنا في المرتدين إلا بصيرة وإنّا لعلّى الحقّ المبين.

إنّ هؤلاء العلمانيين والحدّاثيين وكذلك من لفّ لفّهم من أصحاب الغرض والمرضى والهوى والزيغ، هؤلاء جميعاً عبءٌ على القيادة لأنهم يُبدون بأقوالهم وأعمالهم وتوجهاتهم ومسالكهم أنهم يحاربون الدين، وأنهم لا يريدون للإسلام في مصر أن تقوم له قائمة، يريدون حصّاره حتى يصير إلى المحاريب وحتى يُجسّس في المساجد وفي الزوايا والتكايا، بحيث لا يشارك بأمرٍ ولا حكمٍ في شأنٍ من الشؤون؛ إنّ هؤلاء بما يأتون وما يدعون، وما يأخذون وما يذرون عبءٌ على القيادة، لأنّ القيادة تريد لهذا البلد الدين والتقدم للوطن حتى يرقى إلى مصافّ الأمم الكبرى والدول العظمى بإعمال العقل الصحيح في مجالات الحياة من أجل استكناه أسرار المادة، ومن أجل تطوير الحياة والارتقاء بها، ومن أجل ألا نكون عالةً على غيرنا في ميدانٍ من الميادين، وكلّ ذلك يكون مؤسساً على دين الإسلام العظيم، فهم لا يُنكرون سنّةً ولا يحاربونها ولا يهاجمون الأئمة ولا يقفون ضدهم، وإنّما يريدون الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شك أنّ به ترقى الأمم، ويعلو كعبها في الرقي والنهوض والتقدم، ولكنّ هؤلاء يُعطون الحجة للتكفيريين من أجل تكفير الحاكم والمحكوم على السواء، ومن أجل أن يُحكّم على المجتمع كلّهُ من رأسه إلى ذنبه بالردة عن دين الإسلام العظيم، وحينئذ تُستباح الحرمات من الدماء والأعراض والأموال، هؤلاء عبء، هؤلاء خونة.

إنّ مقابلة التطرف في الفكر بالتطرف في الفكر لا يزيد المتطرف إلا تطرفاً، ولا المعتد اعتقاداً خاطئاً إلا ثباتاً وتصلباً؛ إنّ ترك الذين يتكلمون في الدين بغير علم ولا هدى ولا سلطانٍ مُنير، إنّ تركهم تهديدٌ للأمن القومي المصري في صميمه، وهو أكبرُ مَقْوُضٍ لدعائم وأركان الدولة المصرية، وهو أعظم حُجَجِ التكفيريين في اقناع الشباب بالمصير إليهم، والانضمام إلى صفوفهم، لأنهم يستغلون حماسة الشباب الدينية، فيقولون لهم هؤلاء مُرتدون وقد وجب عليكم القتال وجوباً عينياً، فينبغي عليكم أن تنضموا إلينا لأننا نجاهد في سبيل الله؛ من أكبر حُجَجِ هؤلاء على هؤلاء ما يأتي به أولئك

مِنْ خَبِطٍ بِلَا عِلْمٍ وَلَا وَعِيٍّ وَلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ مُنِيرٍ فِي ثَوَابِتِ الْأُمَّةِ، فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، غَرَضُهُمْ مَعْرُوفٌ، وَمَنْ كَانَ مُتَابِعًا فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّسْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي، مَنْ كَانَ مُتَابِعًا لَمَّا يَكْتَبُهُ فَرَجُ فُودَةٍ وَمُحَمَّدُ سَعِيدُ الْعَشَاوِيِّ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعُلَمَائِينَ وَمِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَدَاثِيِّينَ وَكَانَتْ لَهُ ذَاكِرَةُ التَّقَطُّتِ بَعْضُ مَا قَالَ أَوْلَيْكَ يَجِدُ هَؤُلَاءِ أَعْنِي: الْفَرْقَةُ الْحَادِثَةُ الْآنَ تُرَدِّدُ كَلَامَ هَؤُلَاءِ أَوْ أَوْلَيْكَ حَذُو النِّعْلِ بِالنِّعْلِ، يَقْتَصُّونَ آثَارَهُمْ وَيَنْطَقُونَ بِكَلَامِهِمْ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ؛ فَكَانَ مَاذَا؟! فَكَانَ مَا تَرَوْنَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

إِنَّ الْمَغَالَاةَ فِي مُعَالَجَةِ انْحِرَافٍ تَوَلَّدَ انْحِرَافًا آخَرَ؛ إِذَا كَانَتِ الْجَمَاعَاتُ الَّتِي تُكْفِّرُ وَتُفَجِّرُ وَتُحْرِقُ تَخَوُّضَ فِي اعْتِقَادِهَا حَرْبًا عَقَائِدِيَّةً تَسْتَحِلُّ بِهَا الدِّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَعْرَاضَ، أَعْتِقَابَلِ هَذِهِ الْحَرْبِ الْعَقَائِدِيَّةُ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى ثَوَابِتِ الدِّينِ وَالتَّحُلُّلِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالْإِنْعَتَاقِ مِنْ قِيُودِ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ بِحُجَّةٍ مُحَارِبَةِ التَّطَرُّفِ وَالتَّصَدِي لِلْإِرْهَابِ؟!، وَمَنْ الَّذِي أُعْطِيَ أَوْلَيْكَ الْإِذْنَ بِأَنْ يَقُولُوا مَا قَالُوا؟!، هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَصْلًا وَلَا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَهُمْ يَعْيُونَ عَلَى كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَأْذُونًا لَهُ فِي الْكَلَامِ بِالْدِّينِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: عِنْدَنَا مُحَمَّدَانُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي، يَقُولُ: مُحَمَّدُ الْقُرْآنِ وَمُحَمَّدُ السُّنَّةِ؛ وَيَقُولُ بِجَهْلٍ فَاضِحٍ وَخُبْثٍ ظَاهِرٍ: مَا هِيَ الصُّورَةُ الْحَقَّةُ مِنْ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ؟، وَلَا تَفَاوُتَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ مَا يَصْنَعُهُ وَيَقُولُهُ الْعُلَمَائِيُّونَ وَالْحَدَاثِيُّونَ وَأَكْثَرُ الْأَعْلَامِيِّينَ وَأَغْلَبُ الْفَنَانِينَ؛ إِنَّ لَمْ يَكُنْ مَا يَقُولُونَهُ وَيَصْنَعُونَهُ تَطَرُّفًا وَإِرْهَابًا فِكْرِيًّا فَمَا هُوَ التَّطَرُّفُ وَالْإِرْهَابُ إِذْنٌ؟!

إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ الْعُظْمَى لِلدِّينِ وَالْوَطَنِ أَنْ يَتَصَدَّى لِلْإِرْهَابِيِّينَ وَالْمُتَطَرِّفِينَ مَنْ لَا يَفْهَمُ طَبِيعَةَ الْمَعْرَكَةِ مَعَهُمْ، وَلَا يَعْيِي حَقِيقَةَ الْمُوَاجَهَةِ لَهُمْ، إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ الْعُظْمَى لِلدِّينِ وَالْوَطَنِ أَنْ يُعْصَى الطَّرْفُ عَنْ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُذْهَبُوا صَدَاعًا إِذَا هُمْ قَدْ أَحْدَثُوا جُدَامًا، إِنَّ عِلَاجَ هَؤُلَاءِ لظَاهِرَةِ التَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ، يَزِيدُ الدَّاءَ وَيُبْعِدُ عَنِ الْمَرِيضِ الدَّوَاءَ وَيُؤْثِّرُهُ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ؛ وَأَقُولُ لِهَؤُلَاءِ لَا تَتَكَلَّمُوا

فيمًا لا تعلمون، ولا تُعطوا التكفيريين الحُجَجَ والبراهين التي يصطادون بها الشباب والصبيّة والأغرار والمفتونين، ويدفعون بها في وجوه من يُقيمون عليهم الحُجَجَ ويُفندون ما لديهم من الشُّبهات والأضاليل، وليعلم العلمانيون والحداثيون والمنحرفون من كلّ فئة وقبيل أنّ دين الإسلام العظيم بثوابته ومبادئه وأحكامه وعلمائه ورجاله راسخٌ في نفوس المصريين وعقولهم رسوخُ الجبال، ودائرٌ في عروق المصريين دورانَ الدِّماء، فليعلموا أنّهم لن يُضروا المسلمين إلّا أذى، ولن يبلُغوا من إيمانهم وعقيدتهم ما يبلغُ من العينِ القَدَى...

هذه الفرقة الجديدة التي هي وبألٍ على قيادة هذه الأمة المصرية، لأنّ التكفيريين يقولون هذه الزندقة، وهذه الهرطقة، وهذا الانعتاق من قيود الدين، وهذا الخروجُ على ثوابته إنها يُمَرَّرُ بمعرفة القيادة وهي قادرةٌ على وأدِه حيث هو، وعلى كِبَتِه حيث يكون، فيقولون سُكوتُهم عليه رِضا به، ومن رضي بالكُفْرِ كَفَرَ؛ فيَسْتَلُّونَ مِنَ المضاجعِ الأغمارِ الأغرارِ الَّذِينَ يتدثرون تحت الأغطية في برودة الليل وفي ظلامه، يعبثُ العابثُ منهم على مواقعِ التواصلِ الاجتماعي فيَسْتَلُّونَهُمْ لِيُهَاجِرُوا هاهنا وهناك من أجلِ نُصرةِ دينِ الله ومُحاربةِ المرتدين.

هذه الفرقةُ أخبثُ الفرقِ في مصر، وهي الظَّهيرُ الفعّال للتكفيريين في الحقيقة، كأنّهم يصدُّرون من نبعٍ واحد، من حمأةٍ واحدةٍ آسنةٌ نِتنة...»^(١٨٤).

^{١٨٤} «هؤلاء يساندون التكفير والإرهاب» خطبة جمعة مفرغة على موقع الشيخ الأزهرى الدكتور محمد سعيد رسلان.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦ - ١٧٩]

المحتويات

مقدمة

2	
9	تمهيد
9	أهمية الموضوع:
9	أسباب الموضوع:
10	منهج البحث:
11	الخطّة الإجمالية:

الفصل الأول: تحريف الكتاب

13	أولاً : بعض نصوص القرآن الدالة على تحريف أهل الكتاب = ((اليهود، والنصارى)) كتابهم!، وتفسير علماء الأزهر له :
13	
24	فصل في ضياع كثير من الإنجيل، وتحريف كتب النصارى المقدسة
39	ثانياً : بعض نصوص الكتاب المقدس بعهديه الدالة على وجود التحريف:
39	أ- من العهد القديم:
41	ب- في العهد الجديد:
46	مثال على الزيادة:
47	مثال على النقصان:
47	مثال على التحريف غير المتعمد!
48	مثال على التحريف المتعمد:
50	مثال على التناقضات
51	هل يوجد دليل على أن الإنجيل هو كلمة الله
57	حقيقة الكتاب المقدس:

الفصل الثاني: قضية الصلب، والفداء

64	
80	نظرة في روايات صلب المسيح بالعهد الجديد:
83	تناقض الأناجيل في قصة الصلب:
112	تنبؤ المسيح بنجاته:
115	عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية
119	الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب

- 121 أسئلت حول الصلب والفداء:
- 127 شبهات النصارى على إنكار القرآن للصلب
- 139 **الفصل الثالث: قضية التثليث، والاهية المسيح**
- 146 أولا: بيان حقيقة المسيح، ونفي ألوهيته وبنوته لله تعالى.
- 185 ثانيا: ما جاء عن علماء الأزهر في بيان فساد ما يسمى بالتثالوث!
- 196 عقيدة التثليث لا وجود لها في الكتاب المقدس:
- 207 نصوص التوحيد في العهد الجديد:
- 211 نصوص نفي الألوهية عن المسيح:
- 215 عقيدة التثليث عقيدة وثنية قديمة:
- 224 **الفصل الرابع: حقيقة بولس**
- 224 بولسية لا مسيحية:
- 226 تنبؤ المسيح ببولس
- 227 بولس ونقض الشريعة:
- 232 وإليك بعض الأمثلة لنفاق بولس وتلونه كالحرياء:
- 235 من هو بولس وكيف آمن بالمسيح؟
- 241 **الفصل الخامس: مباحث في التكفير**
- 243 الكفر لغة، واصطلاحاً
- 246 أنواع الكفر:
- 250 أنواع الكافرين:
- 253 تكفير علماء الأزهر للنصارى
- 263 التكفير عند النصارى
- 264 التكفير في العهد القديم:
- 264 التكفير في العهد الجديد:
- 266 التكفير عند علماء الكنيسة للطوائف النصرانية المخالفة، ولغير النصرانية:
- 271 شبهات حول تكفير النصارى
- 274 (١) لماذا تكفرون النصارى؟ وما أهمية ذلك؟

275	(٢) _ أليس النصارى من أهل الكتاب؟
277	(٣) _ أليسوا أتباع نبي الله عيسى؟!.
280	(٤) _ لقد مدحهم الله في كتابه:
282	(٥) _ لقد شهد الله لهم بالإيمان!
285	(٦) _ أحل الله الزواج منهم:
288	(٧) _ يقولون رحمة ربنا واسعة!
289	(٨) _ ويقولون أيضا لكم دينكم ولي دين.
291	(٩) _ يعتقدون أنهم على الحق
293	(١٠) _ أخلاقهم حسنة ونفعوا البشرية!
295	(١١) _ الفتنة طائفة!
298	(١٢) _ تكفيرهم سيؤدي إلى تفجيرهم وتقتيلهم.
302	الخاتمة: نداء إلى الأعلام، والإعلام:
302	أولا: العلماء والإرشاد الديني:
303	ثانيا: الإعلام:
308	المحتويات



فإنَّ موضوعَ «عقيدة النصارى» من الأهمية بكماني؛ ليس بذائني؛ وفقطاً؛ ولكنْ -أيضاً-
لأنَّهُ حديثُ السَّاعةِ، وكمرٌ كثرَ فيه اللَّغَطُ؛ واستندَ عليه الغلطُ، واستحكمَ منه الشَّطَطُ
!

فمن قومٍ استباحوا دماءهم، وأعرضهم بغيرِ وجيِّ حقٍّ، وخالفوا عهدَ اللَّهِ، وعهدَ
رسولِهِ -صلى اللَّهُ عليه وسلَّم-، وكانوا عاراً على الأمة؛ وسبباً لكلِّ مُلمّةٍ مُدْهَميّةٍ
، وإنا لنحمدُ اللَّهَ -جلَّ وعلا- أنْ طَهَرَ قُلُوبَنَا؛ قبلَ أيدينا من الدِّماءِ المَعْصوميّةِ؛ نعم؛
قلوبنا قبلَ أيدينا؛ فكمْ من يدٍ نظيفَةٍ ظاهراً من الدِّماءِ، ومن ودائعها قلوبٌ مُترعةٌ
بالجثثِ، والأشلاءِ!

ومن قومٍ حكموا بإيمانهم -إي؛ واللَّهُ بإيمانهم-؛ فناقضوا دينَ اللَّهِ -جلَّ وعزَّ-، ودينَ
رسولِهِ -صلى اللَّهُ عليه وسلَّم-؛ وكانوا وبالاً على المسلمين، وحرّاً على هذا الدِّينِ؛
فوجبَ البيانُ ردّاً لكيدِ الكائدين من التكفيرين الغلاة المُفْطَين، وصدّاً لمكرِ المُنْهَوِّكين
من العلمانيين الجفّاة المُفْطَين؛ والحقُّ فضيلةٌ بين رذيلتين؛ ليسَ جفاءً، ولا شَطَطاً؛
قال -تعالى-: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}.